

النسقُ الدلاليّ لوزنيّ (أفعلّ ، وفعلّ) في القرآن الكريم

إعداد
علاء الدين محمد عايد المساعيد

المشرف
الأستاذ الدكتور عبد الكريم مجاهد مرداوي

قدّمت هذه الرسالة استكمالاً لمتطلبات درجة الماجستير في تخصّص
اللغة العربية وآدابها / اللغويات

عمادة البحث العلمي والدراسات العليا في الجامعة الهاشمية
الزرقاء - الأردن

١٧- تموز - ٢٠١٠م

نوقشت هذه الرسالة وأجيزت بتاريخ ١٨ / ٧ / ٢٠١٦ م

التوقيع

أعضاء لجنة المناقشة

.....

الأستاذ الدكتور عبد الكريم مجاهد مرداوي / مشرفاً ورئيساً

أستاذ اللغويات العربية

.....

الأستاذ الدكتور حسن موسى الشاعر / عضواً

أستاذ النحو والصرف

.....

الدكتورة إيمان "محمد أمين" الكيلاني / عضواً

أستاذ مشارك في اللسانيات الحديثة

.....

الأستاذ الدكتور يحيى عطية عبابنة / عضواً

أستاذ اللغويات العربية

جامعة مؤتة

الإهداء

أهدي هذا العمل إلى

والدي العزيز , أطال الله عمره .

والدتي الحنونة , أدام الله عليها الصحة والعافية .

رفيقة دربي ... زوجتي الغالية .

نور عينيّ ... زيد ... وأحمد

الشكر

بعد شكر المولى عزّ وجلّ على نعمه التي لا تُحصى , أتوجّه بجزيل الشكر والعرفان إلى أستاذي الفاضل , الدكتور عبد الكريم مجاهد , فأشكره على ما مدّني به من ثقة , وأشكره على المتابعة الدقيقة , والتوجيهات السديدة في أثناء العمل على هذه الدراسة .

كما أتوجّه بالشكر الجزيل إلى نخبة من أساتذة اللغة , فأشكر أعضاء لجنة المناقشة , الأستاذ الدكتور حسن الشاعر , والدكتورة إيمان الكيلاني , والأستاذ الدكتور يحيى عابنه .

وأشكر كلّ من كانت له يد عون ومساعدة . والله ولي التوفيق .

قائمة المحتويات

ب	قرار لجنة المناقشة
ج	الإهداء
د	الشكر
هـ	قائمة المحتويات
ز	ملخص باللغة العربية
١	المقدمة
٨	التمهيد في دلالات (أفعل , وفعل) في العربية
١٤	الفصل الأول : الأفعال التي جاءت ضمن دلالات التمكين
١٥	بدل , وأبدل
٢٧	ثبت , وأثبت
٣٣	عظم , وأعظم
٣٥	عمى , وأعمى
٣٧	غشى , وأغشى
٤٠	كبر , وأكبر
٤٤	كثر , وأكثر
٤٧	كره , وأكره
٥٠	مكن , وأمكن
٥٦	مهّل , وأمهّل

٥٩ الفصل الثاني : الأفعال التي جاءت ضمن دلالات الإيصال
٦٠ بَلَّغَ , وَأَبْلَغَ
٦٦ بَيَّنَّ , وَأَبَانَ
٧٥ دَلَّى , وَأَدَلَّى
٧٨ صَلَّى , وَأَصَلَّى
٨٣ عَجَّلَ , وَأَعَجَلَ
٨٧ نَبَأَ , وَأَنْبَأَ
١٠٧ نَزَلَ , وَأَنْزَلَ
١٥٨ وَصَّى , وَأَوْصَى
١٦٥ الفصل الثالث : الأفعال التي جاءت ضمن دلالات الرعاية
١٦٦ ثَوَّبَ , وَأَثَابَ
١٧١ كَرَّمَ , وَأَكْرَمَ
١٧٥ كَفَّلَ , وَأَكْفَلَ
١٧٩ مَسَّكَ , وَأَمْسَكَ
١٨٨ نَجَّى , وَأَنْجَى
٢١٧ نَعَّمَ , وَأَنْعَمَ
٢٢٤ وَفَّى , وَأَوْفَى
٢٣٨ الخاتمة وأهم النتائج
٢٤٢ قائمة المصادر والمراجع
٢٥٠ ملخص باللغة الإنجليزية

ملخص

النسقُ الدلالي لوزني (أفعل , وفعل) في القرآن الكريم

إعداد

علاء الدين محمد عايد المساعيد

المشرف

الأستاذ الدكتور عبد الكريم مجاهد مرداوي

تتناول هذه الدراسة الأفعال التي جاءت على وزني (أفعل , وفعل) في القرآن الكريم بمعنى , وعدد هذه الأفعال (٢٥) فعلا . فتحاول الدراسة أن تبين دلالات كل وزن , اعتمادا على سياق الآيات .

تتكون هذه الدراسة من : تمهيد , وثلاثة فصول , وخاتمة . أما التمهيد فيعرض دلالات وزني (أفعل , وفعل) في العربية عرضا موجزا , ذلك أن كتب اللغة قد تناولتها بالتفصيل .

وأما الفصول الثلاثة , فيشتمل الفصل الأول على الأفعال التي جاءت ضمن دلالات التمكين . ويشتمل الفصل الثاني على الأفعال التي جاءت ضمن دلالات الإيصال . ويشتمل الفصل الثالث على الأفعال التي جاءت ضمن دلالات الرعاية . والطريقة المتبعة في تقسيم الأفعال على الفصول الثلاثة هي الدلالات المشتركة . فيتم الحديث عن دلالات كل فعل عندما جاء على وزن (أفعل) , وعندما جاء على وزن (فعل) , اعتمادا على كتب التفسير واللغة .

وأما الخاتمة فتشتمل على أهم نتائج البحث , حيث يتبين أن هنالك دلالات لكل من الوزنين , منها ما يتعلق بالمعنى المعجمي , ومنها ما يتعلق ببنية السياق , ومنها ما يتعلق بلغة الخطاب داخل السياق .

مقدمة :

الحمد لله ربّ العالمين حمدا كثيرا يليق بمقامه , والصلاة والسلام على أفصح من نطق بالضاد , سيدنا محمد وعلى آله وأصحابه وبعد .

فمما أنعم الله تعالى به على هذه الأمة أن جعل فيها القرآن الكريم , ومما خصّ به العرب من نعمه أن جعله بلسان عربي مبين , قال تعالى : " إِنَّا أَنْزَلْنَاهُ قُرْآنًا عَرَبِيًّا " . [يوسف/٢] فازدادت اللغة العربية بالقرآن الكريم رفعة وشرفا , وشاء الله تعالى لها أن تحفظ بحفظه , قال تعالى : " إِنَّا نَحْنُ نَزَّلْنَا الذِّكْرَ وَإِنَّا لَهُ لَحَافِظُونَ " . [الحجر/٩] فقيّض لها رجالا عبر التاريخ , وفتح عليهم ما فتح , فأقبلوا على لغة القرآن يتأملونها , ويتدبرون معانيها , ويؤلّفون فيها . فنتشعبت علوم العربية , وتعدّدت فروعها , ودوّنت أصولها . وما ذلك كلّه إلا خدمةً لكتاب الله .

ومن نعمه تعالى على أهل زماننا أن وصلت إلينا مؤلفات سلفنا الصالح , فزخرت المكتبات بكتب علوم القرآن , وعلوم اللغة , وغيرها . فهي سبيلنا لفهم كتاب الله تعالى , فاتكأت عليها العديد من الدراسات الحديثة , ولعلّ هذه الدراسة ممّا يُضاف إليها , إذ تقوم على دراسة وزني (أفعل , وفعل) في القرآن الكريم من حيث الدلالة , فتحاول أن تبين دلالات التشديد والتخفيف في الوزنين , في مجموعة من آيات القرآن الكريم , والرابط بين هذه الآيات أن جاءت على التشديد في مواضع , وجاءت على التخفيف في مواضع آخر .

تتناول هذه الدراسة وزني (أفعل , وفعل) في القرآن الكريم , فيما ورد من الأفعال على هذين الوزنين معا . فجاءت تحت عنوان : (النسق الدلاليّ لوزني أفعل , وفعل في القرآن الكريم) . ويُقصد بالنسق : " ما جاء من الكلام على نظام واحد " ^(١) . " يقالُ انتسقتُ هذه

1 . ابن منظور , لسان العرب , ط١ ، ١٩٦٨م , دار صادر ، بيروت , مادة (نسق) .

الأشياء بعضها إلى بعض أي تتسقت ، وحرُوفُ العطفِ يسميها النحويون حرُوفَ النسق ، لأن الشيء إذا عطفته على شيء صارَ نظاماً واحداً " (١) . والمقصود بالنسق الدلالي لوزني (أفعلَ ، وفعلَ) : دلالات (أفعلَ ، وفعلَ) فيما جاء من الأفعال على هذين الوزنين بمعنى واحد . فقد ورد وزن (أفعلَ) في القرآن الكريم (٢٦٣) مرة ، في نحو (٣٣٩١) موضعاً ، وورد وزن (فعلَ) في القرآن الكريم (١٧٢) مرة ، في نحو (١٣١٦) موضعاً (٢) . وبعد تتبع هذه الأفعال ، تبين أن عدد الأفعال التي وردت على الوزنين معا بلغت (٤٨) فعلاً . فوردت هذه الأفعال على وزن (فعلَ) في مواضع ، ووردت على وزن (أفعلَ) في مواضع آخر .

ثم وُجد أن هذه الأفعال تنقسم إلى قسمين : القسم الأول : أفعال اتفقت في الجذر واختلفت في الدلالة ، نحو : (أبرأ ، وبرأ) ، ففي قوله تعالى مخبراً عن سيدنا عيسى عليه السلام : " وَأَبْرَأُ الْكُفْمَةَ وَاللَّابْرَصَ " . [آل عمران/٤٩] جاء الفعل (أبرأ) بمعنى شفاؤه من مرضه ، "أي أشفيهما وأصحهما" (٣) . وفي قوله تعالى : " يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تَكُونُوا كَالَّذِينَ آذَوْا مُوسَى فَبَرَّأَهُ اللَّهُ مِمَّا قَالُوا " . [الأحزاب/٦٩] جاء الفعل (برأ) بمعنى : أظهر براءته ، "أي فأظهر براءته صلى الله عليه وسلم مما قالوا في حقه" (٤) . فدل كل من الفعلين (أبرأ ، وبرأ) على معنى مختلف وإن اشتركا في معنى الخلاص من الشيء .

-
- 1 . الأزهرى ، تهذيب اللغة ، تحقيق محمد عوض مرعب ، ط١ ، ٢٠٠١م ، دار إحياء التراث العربي ، بيروت . مادة (نسق) .
 - 2 . انظر : عبد الحميد مصطفى السيد ، الأفعال في القرآن الكريم ، ص٧ .
 - 3 . البغوي ، معالم التنزيل ، تحقيق محمد عبد الله النمر وزملائه ، ط٤ ، ١٩٩٧م ، دار طيبة للنشر والتوزيع . ج١ ، ص٣٠٣ .
 - 4 . أبو السعود ، إرشاد العقل السليم إلى مزايا القرآن الكريم ، ط٢ ، ١٩٩٠م ، دار إحياء التراث العربي ، بيروت . ج٧ ، ص١١٧ .

ومن ذلك (أعرضَ , وعرضَ) , ففي قوله تعالى : " وَإِذَا أَنْعَمْنَا عَلَى الْإِنْسَانِ أَعْرَضَ وَنَأَى بِجَانِبِهِ " . [الإسراء/٨٣] جاء الفعل (أعرضَ) بمعنى تَوَلَّى^(١) , أي : " أعرض عن ذكرنا وقد كان بنا مستغيثاً"^(٢) . وفي قوله تعالى: "وَلَا جُنَاحَ عَلَيْكُمْ فِيمَا عَرَضْتُمْ بِهِ مِنْ خِطْبَةِ النِّسَاءِ" . [البقرة/٢٣٥] جاء الفعل (عرضَ) للدلالة على التلويح^(٣) . " فالتعريض هو الكلام الذي لا تصريح فيه , كأنه يعرض لفكر المتكلم به"^(٤) , " فَيُضْمَنُ الْكَلَامَ دَلَالَةً عَلَى مَا يَرِيدُ " ^(٥) .

ومن ذلك: (أقلَّ , وقَلَّ) , ففي قوله تعالى : " حَتَّى إِذَا أَقَلَّتْ سَحَابًا نَقَالًا " . [الأعراف/٥٧] جاء الفعل (أقلَّ) بمعنى حملَ , أي : " حتى إذا حملت الرياح سحابا ثقالا " ^(٦) . وفي قوله تعالى : " وَيَقَلُّكُمْ فِي أَعْيُنِهِمْ " . [الأنفال/٤٤] جاء الفعل (قلَّ) بمعنى : جعل عددكم قليلا . أي : " قلَّ عدد المؤمنين في أعين المشركين ... فصار ذلك سبباً لاستيلاء المؤمنين عليهم " ^(٧) .

ومن ذلك : (أعدَّ , وعدَّدَ) , ففي قوله تعالى : " وَأَعَدَّ لِلْكَافِرِينَ عَذَابًا أَلِيمًا " . [الأحزاب/٨] دلَّ الفعل (أعدَّ) على التجهيز والإعداد ^(٨) . وفي قوله تعالى : " الَّذِي جَمَعَ مَالًا وَعَدَّدَهُ " . [الهمزة/٢] جاء الفعل (عدَّدَ) بمعنى "أحصاه" ^(٩) .

-
- 1 . انظر: توفيق أسعد, صيغة أفعال ودلالاتها في القرآن الكريم , ط١ , ١٩٩٠م , منشأة المعارف , الأسكندرية. ص ٢٠١ .
 - 2 . الطبري , جامع البيان عن تأويل آي القرآن , ط١ , ١٤٠٥هـ , دار الفكر , بيروت . ج١٥ , ص١٥٣ .
 - 3 . انظر : أحلام ماهر, صيغة فعل في القرآن الكريم , ط١ , ٢٠٠٨م , دار الكتب العلمية, بيروت. ص ٩٦ .
 - 4 . ابن عطية , المحرر الوجيز , ط١ , ١٩٩٣م , دار الكتب العلمية . ج١ , ص٣١٥ .
 - 5 . الواحدي , الوجيز في تفسير الكتاب العزيز , ط١ , ١٤١٥هـ , دار القلم , دمشق . ج١ , ص١٧٤ .
 - 6 . الشوكاني , فتح القدير , (د.ط.ت) , دار الفكر , بيروت , ج٢ , ص٢١٤ .
 - 7 . فخر الدين الرازي , التفسير الكبير , ط١ , ٢٠٠٠م , دار الكتب العلمية . ج١٥ , ص١٣٦ .
 - 8 . انظر : الشوكاني , فتح القدير , ج٤ , ص٢٦٤ .
 - 9 . تفسير البغوي , ج٤ , ص٥٢٤ .

القسم الثاني : أفعال وردت على وزني (أفعل، وفعل) اتفقت في الجذر والدلالة ، وهذه الأفعال هي موضوع الدراسة . وقد بلغ عددها خمسة وعشرين فعلا منها : بَدَلَ وأبَدَلَ ، وبلَّغَ وأبلَّغَ ، وكرَّمَ وأكرَّم ، ونَزَلَ وأنزَلَ ، ونَجَّى وأنجى ، وغيرها . وستحاول الدراسة الوقوف على دلالات كل من التشديد والتخفيف في هذه الأفعال ، ثم الوقوف على الدلالات الفرعية ضمن الوزن الواحد .

تتكوّن هذه الدراسة من: تمهيد، وثلاثة فصول، وخاتمة . أمّا التمهيد فيعرض دلالات وزني (أفعل ، وفعل) في العربية عرضا موجزا ، ذلك أنّ كتب اللغة قد تناولتها بالتفصيل . وأمّا الفصل الأول فيشتمل على الأفعال التي جاءت ضمن دلالات التمكين وهي : بَدَلَ وأبَدَلَ ، وثَبَّتَ وأثَبَّتَ ، وعَظَّمَ وأعظَّمَ ، وعمَّى وأعمى ، وغشَّى وأغشى ، وكبَّرَ وأكبر ، وكثَّرَ وأكثرَ ، وكرهَ وأكرهَ ، ومكَّنَ وأمكنَ ، ومهَّلَ وأمهَّلَ . وأمّا الفصل الثاني فيشتمل على الأفعال التي جاءت ضمن دلالات الإيصال وهي : بلَّغَ وأبلَّغَ ، وبيَّنَ وأبانَ ، ودلَّى وأدلى ، وصلَّى وأصلَّى ، وعجَّلَ وأعجلَ ، ونبأَ وأنبأَ ، ونزَلَ وأنزَلَ ، ووصَّى وأوصى . وأمّا الفصل الثالث فيشتمل على الأفعال التي جاءت ضمن دلالات الرعاية وهي : ثوبَ وأثابَ ، وكرَّمَ وأكرَّم ، وكفَّلَ وأكفَّلَ ، ومسكَ وأمسكَ ، ونجَّى وأنجى ، ونعمَ وأنعمَ ، ووفَّى وأوفى .

والطريقة المتبعة في تقسيم الأفعال على الفصول الثلاثة هي الدلالات المشتركة ، فجمعت الأفعال التي ظهرت فيها دلالات مشتركة على معنى التمكين في الفصل الأول ، وعلى معنى الإيصال في الفصل الثاني ، وعلى معنى الرعاية في الفصل الثالث . ثم يبدأ الحديث عن هذه الأفعال ، بحيث يُعرض الفعل الأول الذي ورد على الوزنين ، فيبدأ الحديث أولا عن وزن (فعل) ، ثم يليه الحديث عن وزن (أفعل) ، ذلك أنّ الدلالة في التشديد أظهر منها في التخفيف ، فإذا تبيّنت الدلالة في مواضع التشديد ، تبيّنت دلالة تركها في مواضع التخفيف .

أمّا الدراسات السابقة حول هذا الموضوع , فلم أجد – بحدود ما اطلعت عليه – دراسة تناولت وزني (أفعل، وفعل) موازنة بينهما في السياقات القرآنية على المستوى الدلالي , وإنما كان هنالك دراسات تناولت هذين البنائين على وجه العموم , أو على وجه الخصوص لواحد منهما. ولعل أقرب الدراسات إلى هذه الدراسة :

١. توفيق أسعد , صيغة أفعل ودلالاتها في القرآن الكريم .

قدم هذه الدراسة الدكتور توفيق أسعد , وقد تتبع من خلالها صيغة أفعل في القرآن الكريم . وتقع هذه الدراسة في مقدمة وثمانية وعشرين بابا مقسمة على حروف العربية , فتبدأ بباب الهمزة , ثم الباء , ثم التاء وهكذا . ثم يتناول الباحث في كل باب مجموعة من المواد مرتبة بشكل معجمي , فتجد مثلا في باب الخاء : مادة (خ, ب, ت) , ومادة (خ, ر, ب) , ومادة (خ, ر, ج) وهكذا . ثم يتناول الباحث الأفعال التي وردت في كل مادة على بناء أفعل في القرآن الكريم . فيحللها مبيّنا الزيادة الطارئة عليها , ومعناها المعجمي , ودلالاتها العامة .

٢. مصطفى النمّاس, بحث في صيغة (أفعل) بين النحويين واللغويين واستعمالاتها العربية .

يتناول هذا البحث استعمالات صيغة (أفعل) في اللغة سواء أكانت اسما أم فعلا فيقول: "وقد جعلت حديثي عن هذه الصيغة من ناحية فعليتها أولا واسميتها ثانيا , ذكرا ما يتعلق بها من أحكام متفرقة من السماع والقياس والشذوذ والندور , وما إليها من الأحكام اللغوية لهذه الصيغة العربية." (مجلة الجامعة الإسلامية ع٥٣ , ج ٢٤ , ٤١٩ص) وقد طرح الباحث مجموعة من الأفكار في هذا البحث كحديثه عن صيغة (أفعل) بين العربية وأخواتها السامية .

٣. أحلام ماهر , صيغة فَعَلَ في القرآن الكريم , دراسة صرفية دلالية .

هذا الكتاب في الأصل رسالة دكتوراه قدّمت سنة ٢٠٠٣ م, ثم طُبعتُ كتاباً عام ٢٠٠٨ م. وقد رصدت فيه الدكتوراه أحلام ماهر الأفعال التي جاءت في القرآن الكريم على صيغة (فَعَلَ) متبَعَةً الطريقة الآتية بقولها : " أحصيت الأفعال الواردة في القرآن الكريم على هذه الصيغة , ثم صنفتها على مجالات رئيسة معتمدة في تحديدها على المعنى المعجمي , وبغية الوصول إلى المزيد من الدقة في التصنيف , قسّمت المجالات الرئيسية على مجالات وسطية وفرعية , معتمدة في تحديدها على السياق الذي ترد فيه الأفعال وتنوعاته , وبعد ذلك آثرت أن أنهج توزيع الأفعال مع مجالاتها حسب معاني صيغة (فَعَلَ) الصرفية التي جاءت عليها, فكان أولها التكثر والمبالغة فالصيرورة والمعاني الأخرى." (أحلام ماهر, صيغة فَعَلَ في القرآن الكريم, ص ٦)

٤. فاضل السامرائي , بلاغة الكلمة في التعبير القرآني .

وهو كتاب مطبوع , يتناول نماذج من بلاغة الكلمة في القرآن الكريم , وممّا أورده المؤلف فيه ما جاء تحت عنوان (فَعَلَ وَأَفْعَلَ بِمَعْنَى). وحديثه هذا يقع في اثنتي عشرة صفحة, فيتحدّث عن قيمة التشديد بشكل عام في بعض الأفعال التي وردت على الوزنين في القرآن الكريم , وخلاصة حديثه أنّ وزن (فَعَلَ) يستعمل لما هو أهم وأكّد , وذلك من خلال السياق .

٥. هلال الجحيشي , العدول الصرفي في القرآن الكريم , دراسة دلالية .

رسالة دكتوراه تناول الباحث في الفصل الأول منها مصدري الوزنين (أَفْعَلَ , وَفَعَلَ) تحت عنوان (العدول عن مصادر الأفعال المزيدة), فتناول المصدرين (الإفعال , والتفعيل), أما الأفعال فتناولها في الفصل الثاني في ثلاث صفحات تحت عنوان (العدول عن الفعل) .

٦. أيمن العتوم , تناوب معاني الأبنية الصرفية في لغة القرآن الكريم .

رسالة دكتوراه قدمها الباحث أيمن علي العتوم. وهي لم تدرس أبنية الأفعال بشكل عام, وإنما درست أبنية المشتقات والمصادر, يقول الباحث في المقدمة : " تبحث هذه الدراسة تناوب معاني الأبنية الصرفية في لغة القرآن , وتختص بدراسة المشتقات والمصادر , وتترك بقية الأبنية الصرفية لأن في الأولى غناءً من حيث تشكيلها النسبة الكبرى من المباني الصرفية من جهة , ولأن الإحاطة بكل دقائق التصريف ومفرداته أمر متعذر على أطروحة جامعية من جهة أخرى ". (أيمن العتوم , تناوب معاني الأبنية الصرفية في لغة القرآن الكريم , ص ١)

تختلف هذه الدراسة عما سبق في أنها تتناول جميع الأفعال التي جاءت في القرآن الكريم على وزني (أفعل , وفعل) بمعنى. فتتحدث عن الفروق الدلالية العامة بين ما جاء من الأفعال على الوزنين بمعنى , ثم تتحدث عن دلالات كل وزن بحسب السياقات التي وردت فيها الأفعال.

التمهيد في دلالات (فَعَلَ , وَأَفْعَلَ) في العربية

من المواضيع التي لاقت اهتماما منذ القدم موضوع الزيادة في مباني الأفعال , فتحدّث العلماء عن ثلاثة أوزان اختصّت بالثلاثي المزيد بحرف هي : فَعَلَ , وَأَفْعَلَ , وِفَاعَلَ^(١) . فدلّ كلّ من هذه الأوزان على دلالات إنّما أتت بسبب الزيادة , وممّا اشتهر به الوزنان (أَفْعَلَ , وِفَعَلَ) أنّهما كثيرا ما يردان للتعدية , فيصبح اللّازم متعدّيا إلى مفعول , ويصبح المتعدّي متعدّيا إلى أكثر من مفعول . وقد تحدث اللغويون عن دلالات كلّ من (أَفْعَلَ , وِفَعَلَ) في العربية , وفيما يلي عرض موجز لأشهر معانيها :

(أَفْعَلَ) :

اشتهر هذا الوزن بدلالاته على التعدية , قال سيبويه : " تقول : دَخَلَ وَخَرَجَ وَجَلَسَ . فإذا أخبرت أنّ غيره صيّرهُ إلى شيء من هذا قلت : أخرجته وأدخلته وأجلسه " (٢) . أي أنّ اللّازم صار متعدّيا من خلال الهمزة , جاء في شرح الشافية : " اعلم أنّ المعنى الغالب في أَفْعَلَ تعدية ما كان ثلاثيا , وهي أنّ يُجْعَلَ ما كان فاعلا للّازم مفعولا لمعنى الجعل , فاعلا لأصل الحدث على ما كان , فمعنى (أَذْهَبْتُ زَيْدًا) جعلتُ زيدا ذاهبا " (٣) . وقال الجرجاني : " وَأَفْعَلَ للتعدية غالبا . نحو : أَجْلَسْتُهُ " (٤) , وقال ابن عقيل : " ويجيء بناء أَفْعَلَ للتعدية نحو أَجْلَسَ وأُخْرِجَ وأَقَامَ " (٥) . وقد سبق الحديث عن معنى التعدية , فيصبح اللّازم متعدّيا إلى

1 . انظر : ابن عقيل , شرح ابن عقيل على ألفية ابن مالك , تحقيق محمد محيي الدين , ط ٢ , ١٩٨٥م , دار الفكر , دمشق . ج ٤ , ص ٢٥٩ .

2 . سيبويه , كتاب سيبويه , تحقيق عبد السلام محمد هارون , ط ١ , ١٩٩١م , دار الجيل , بيروت . ج ٤ , ص ٥٥ .

3 . الاسترأبادي , شرح شافية ابن الحاجب , تحقيق محمد نور وزملائه , ط ١ , ٢٠٠٥م , دار إحياء التراث العربي , بيروت . ج ١ , ص ٦٣ .

4 . الجرجاني , المفتاح في الصرف , تحقيق علي توفيق الحمد , ط ١ , ١٩٨٧م , مؤسسة الرسالة , بيروت , ج ١ , ص ٤٩ .

5 . ابن عقيل , شرح ابن عقيل , ج ٤ , ص ٢٦٣ .

مفعول واحد , ويصبح المتعدّي إلى واحد متعديا إلى اثنين , ويصبح المتعدّي إلى اثنين متعديا إلى ثلاثة .

ويأتي وزن (أفعل) للدلالة على السلب , " أي يجيء لسلبك عن مفعول أفعل ما اشتق منه , نحو أشكيتك : أي أزلت شكواه " (١) . فجاءت الزيادة بالهمزة لسلب المعنى من شكى , قال ابن جني : " تصريف (ش ك و) أين وقع ذلك فمعناه إثبات الشك والشكوى والشكاة وشكوت واشتكيت . فالباب فيه كما تراه لإثبات هذا المعنى , ثم إنهم قالوا : أشكيت الرجل إذا (زلّت له عما يشكوه) فهو إذا لسلب معنى الشكوى لا لإثباته (٢) . ومثل ذلك قولك : " أعجمت الكتاب إذا أزلت العجمة " (٣) , قال ابن سيده : " أعجمت الكتاب نَقَطْتُهُ " (٤) .

ويأتي للدلالة على التعريض , قال سيبويه : " وتجيء أفعلته على أن تعرّضه لأمر , وذلك قولك : أقتلته أي عرضته للقتل " (٥) , ومعنى التعريض أن " تفيد الهمزة أنك جعلت ما كان مفعولا للثلاثي معرّضا لأن يكون مفعولا لأصل الحدث , سواء صار مفعولا له أو لا , نحو أقتلته : أي عرضته لأن يكون مقتولا قُتِلَ أو لا , وأبعت الفرس : أي عرضته للبيع " (٦) .

ويأتي للدلالة على الصيرورة , " أي لصيرورة ما هو فاعل أفعل صاحب شيء , وهو على ضربين : إمّا أن يصير صاحب ما اشتق منه , نحو ألحم زيد : أي صار ذا لحم ... وإمّا أن يصير صاحب شيء هو صاحب ما اشتق منه , نحو : أجرب الرجل : أي صار ذا إيل ذات

1 . الاسترأبادي , شرح شافية ابن الحاجب , ج ١ , ص ٦٧ .

2 . ابن جني , الخصائص , تحقيق محمد علي النجار , ط ١ , ٢٠٠١م , عالم الكتب , بيروت . ج ٣ , ص ٧٧ .

3 . الزمخشري , المفصل في صنعة الإعراب , تحقيق علي بو ملح , ط ١ , ١٩٩٣م , مكتبة الهلال , بيروت . ص ٣٤١ .

4 . ابن سيده , المخصص , تحقيق خليل إبراهيم جفال , ط ١ , ١٩٩٦م , دار إحياء التراث العربي , بيروت . ج ٤ , ص ٣٧٨ .

5 . سيبويه , الكتاب , ج ٤ , ٥٩ .

6 . الاسترأبادي , شرح شافية ابن الحاجب , ج ١ , ص ٦٤ .

جرب ... ومن هذا النوع دخول الفاعل في الوقت المشتق منه , نحو : أصبح وأمسى " (١) . قال سيبويه : " تقول : أصبحنا , وأمسينا , وأسحرنا , وأفجرنا , وذلك إذا صرت في حين صبح ومساءٍ وسحر " (٢) . وهو ما عبّر عنه بالدخول في مكان أو زمان , نحو : أصرح , وأعرق , وأتهم , وأنجد , وأصبح , وأمسى , وأضحى " (٣) .

ويأتي وزن (أفعل) " بمعنى الدعاء , نحو : أسقيته : أي دعوت له بالسقيا " (٤) , ويأتي " للمصادفة , نحو : أبخلته , وأعظمته " (٥) , قال الزمخشري : " ولوجود الشيء على صفة نحو : أحمده أي وجدته محموداً , وأحييت الأرض أي وجدتها حية النبات " (٦) . ويأتي " بمعنى فعَل , نحو قَلْتُهُ وَأَقَلَّتُهُ " (٧) .

وقد يأتي للدلالة على غير هذه المعاني , جاء في شرح الشافية : " وقد يجيء (أفعل) لغير هذه المعاني , وليس له ضابطة كضوابط المعاني المذكورة كأبصره : أي رآه , وأوعزت إليه : أي تقدمت , وقد يجيء مطاوع (فعَل) , كفطرته فأفطر , وبشرته فأبشر , وهو قليل " (٨) .

1 . المرجع نفسه , ج ١ , ص ٦٦ .

2 . سيبويه , الكتاب , ج ٤ , ص ٦٣ .

3 . انظر : ابن عقيل , شرح ابن عقيل , ج ٤ , ص ٢٦٣ .

4 . الاسترأبادي , شرح شافية ابن الحاجب , ج ١ , ص ٦٧ .

5 . ابن عقيل , شرح ابن عقيل , ج ٤ , ص ٢٦٣ .

6 . الزمخشري , المفصل في صنعة الإعراب , ص ٣٧٣ .

7 . الجرجاني , المفتاح في الصرف , ج ١ , ص ٤٩ .

8 . الاسترأبادي , شرح شافية ابن الحاجب , ج ١ , ص ٦٧ .

(فَعَلَ) :

غالبا ما يرد وزن (فَعَلَ) للدلالة على التكرير والمبالغة . " تقول : كسرتُها وقطعتُها , فإذا أردت كثرة العمل قلت : كسرتُه وقطعتُه ومزقتُه " (١) . " فمجيئه للتكرير هو الغالب عليه نحو قولك قطعت الثياب " (٢) , قال الجرجاني : " فَعَلَ للتكرير غالبا , نحو : غَلَقْتُ , وَقَطَعْتُ , وَجَوَلْتُ , وَطَوَّقْتُ " (٣) . وقال ابن فارس : " فَعَلْتُ يكون بمعنى التكرير نحو : غَلَقْتُ الأبوابَ " (٤) . وقد تحدث ابن جنِّي عن سبب وقوع التضعيف على حرف العين خاصة فقال : " جعلوا تكرير العين في المثال دليلا على تكرير الفعل , فقالوا كسّر , وقطّع , وفتح , وغلق . وذلك أنهم لما جعلوا الألفاظ دليلا المعاني , فأقوى اللفظ ينبغي أن يقابل به قوة الفعل , والعين أقوى من الفاء واللام , وذلك لأنها واسطة لهما , ومكونة بهما , فصارا كأنهما سياج لها " (٥) .

ويرد للدلالة على التعدية , " وذلك قولك : فرِحَ وفرِحْتُهُ , وإن شئت قلت أفرِحْتُهُ . وغرمَ وغرَمْتُهُ , وأغرمتُهُ إن شئت " (٦) . فالتضعيف في اللغة العربية أحد طرائق التعدية , قال الزمخشري : " للتعدية أسباب ثلاثة : وهي الهمزة , وتثقيب الحشو , وحرف الجر " (٧) . فما كان لازما يصير متعديا إلى مفعول , وما كان متعديا إلى مفعول يصير متعديا إلى اثنين , وما كان متعديا إلى اثنين يصير متعديا إلى ثلاثة " (٨) .

1 . سيبويه , الكتاب , ج ٤ , ص ٦٤ .

2 . الزمخشري , المفصل في صنعة الإعراب , ص ٣٧٣ .

3 . الجرجاني , المفتاح في الصرف , ج ١ , ص ٤٩ .

4 . ابن فارس , الصحابي في فقه اللغة , تحقيق عمر فاروق الطباع , ط ١ , ١٩٩٣م , مكتبة المعارف , بيروت . ص ٢٢٥ .

5 . ابن جنِّي , الخصائص , ج ٢ , ص ١٥٥ .

6 . سيبويه , الكتاب , ج ٤ , ص ٥٥ .

7 . الزمخشري , المفصل في صنعة الإعراب , ص ٣٤١ .

8 . انظر : الاسترأبادي , شرح شافية ابن الحاجب , ج ١ , ص ٦٨ .

ويرد للدلالة على السلب , " تقول : أمرضته , أي جعلته مريضاً , ومرضته , أي قمت عليه ووليتته . ومثله أفذيتُ عينه أي جعلتها قذية , وقذيتُها : نظفتُها " (١) . فالسلب بمعنى الإزالة . " قرئتُ البعير : أي أزلتُ قراده , وجلدته : أي أزلتُ جلده بالسُلخ " (٢) . وقد تحدّث ابن جنّي العلاقة بين الزيادة الطارئة على الفعل ودلالاته على معنى السلب فقال : " السلب معنى حادث على إثبات الأصل الذي هو الإيجاب , فلما كان السلب معنى زائداً حادثاً لاق به من الفعل ما كان ذا زيادة , من حيث كانت الزيادة حادثة طارئة على الأصل الذي هو الفاء والعين واللام , كما أنّ التأنيث لما كان معنى طارئاً على التذكير , احتاج إلى زيادة في اللفظ علماً له كناء طلحة وقائمة , وألفي بشري وحمراء " (٣) .

ويرد للدلالة على النحت , وهو " اختصار حكاية المركب نحو : كبر , وهلل , وحمد , وسبح " (٤) أي قال : الله أكبر , ولا إله إلا الله , والحمد لله , وسبحان الله . و " ظاهرة النحت هي ضرب من ضروب الاشتقاق ... لاختصار الكلمات , أو الإيجاز الذي يسهل قوله وأخف على اللسان في الجملة , وكذلك لتقوية دلالاته , كالدلالة على التعظيم نحو : كبر , أو على التعجب عن التسبيح " (٥) .

وقد " يكون بنيةً لا لمعنى نحو : كلمت . ويكون فعلاً نسبتُ , كقولك : شجعتَه , وظلمته : نسبته إلى الشجاعة والظلم " (٦) , وقد يرد لغير ذلك , فيأتي للدلالة على الصيرورة , كورق : أي صار ذا ورق , وروض المكان : أي صار روضاً . ويأتي بمعنى عمل الشيء في الوقت

-
- 1 . سيبويه , الكتاب , ج ٤ , ص ٦٢ .
 - 2 . الاسترلابادي , شرح شافية ابن الحاجب , ج ١ , ص ٦٨ .
 - 3 . ابن جنّي , الخصائص , ج ٣ , ص ٨٠ .
 - 4 . ابن عقيل , شرح ابن عقيل , ج ٤ , ص ٢٦٣ .
 - 5 . أحلام ماهر محمد حميد , صيغة فعل في القرآن الكريم , ص ٤٦ .
 - 6 . ابن فارس , الصحابي في فقه اللغة , ص ٢٢٥ .

المشتق منه , كهجَّرَ : أي سار في الهاجرة . ويأتي بمعنى المشي إلى الموضع المشتق منه
 كغَوَّرَ : أي مشى إلى الغور , وشرَّقَ : أي مشى إلى الشرق . ويأتي للدلالة على أنّ الفاعل
 يشبه ما أخذ منه الفعل نحو قوَّس ظهره : أي انحنى حتى أشبه القوس . (١) " ويكون مضافاً
 لأفعلتُ نحو أفرطتُ : جُرْتُ الحدَّ . وفرطتُ : قصرتُ " (٢) . وهناك دلالات أخرى قد يدلّ
 عليها , كاستقبال الشيء , وقبول الشيء , وبمعنى فاعل , وبمعنى تفعل , وغيرها (٣) .

إنّ كلا من وزني (أفعل , وفعل) له دلالاته في العربية , فقد يأتي كلٌّ منهما لدلالة
 معينة , وقد يأتيان في معنى واحد , وقد يأتيان في معنيين متضادين , قال سيبويه : " قد يجيء
 فَعَلْتُ وَأَفَعَلْتُ في معنى واحد مشتركين , كما جاء فيما صيرته فاعلاً ونحوه , وذلك وعزّت إليه
 وأوعزت إليه , وخبرت وأخبرت , وسميتُ وأسميتُ . وقد يجيئان مفترقين , مثل علّمته وأعلمته
 , فعلمتُ : أدبْتُ , وأعلمتُ : آذنتُ , وآذنتُ : أعلمتُ , وأذنتُ : النداء والتصويت بإعلان " (٤)

-
- 1 . انظر : الاسترلابادي , شرح شافية ابن الحاجب , ج ١ , ص ٦٩ . وكذلك : ابن عقيل , شرح ابن عقيل , ج ٤ , ص ٢٦٣ .
 - 2 . ابن فارس , الصحابي في فقه اللغة , ص ٥٦ .
 - 3 . انظر : أحلام ماهر , صيغة فعل في القرآن الكريم , ص ٤٦ - ٥٠ .
 - 4 . سيبويه , الكتاب , ج ٤ , ص ٦٢ .

الفصل الأول

(الأفعال التي جاءت ضمن دلالات التمكين)

بَدَّلَ ، وَأَبْدَلَ

ثَبَّتَ ، وَأَثَبَتَ

عَظَّمَ ، وَأَعْظَمَ

عَمَّى ، وَأَعَمَّى

غَشَّى ، وَأَغَشَى

كَبَّرَ ، وَأَكْبَرَ

كَثَّرَ ، وَأَكْثَرَ

كَرَّرَ ، وَأَكَرَّرَ

مَكَّنَ ، وَأَمَكَّنَ

مَهَّلَ ، وَأَمَهَّلَ

(بَدَلٌ ، وَأَبْدَلٌ)

" الباء والداد واللام أصل واحد وهو قيام الشيء مقام الشيء الذاهب، يُقال هذا بدلُ الشيء وبديلهُ ، ويقولون بدلتَ الشيءَ إذا غيرته وإن لم تأت له ببديل... وأبدلته إذا أتيت له ببديل" (١) .
 و" بَدَلُ الشيءِ وَبَدَلُهُ وَبَدِيلُهُ الْخَلْفُ مِنْهُ ، وَالْجَمْعُ أَبْدَالٌ ... وَتَبَدَّلَ الشَّيْءُ وَتَبَدَّلَ بِهِ وَاسْتَبَدَّلَهُ وَاسْتَبَدَّلَ بِهِ ، كُلُّهُ : اتَّخَذَ مِنْهُ بَدَلًا . وَأَبْدَلَ الشَّيْءَ مِنْ الشَّيْءِ وَبَدَّلَهُ ... وَالْأَصْلُ فِي التَّبَدُّلِ تَغْيِيرُ الشَّيْءِ عَنْ حَالِهِ وَالْأَصْلُ فِي الْإِبْدَالِ جَعْلُ شَيْءٍ مَكَانَ شَيْءٍ آخَرَ " (٢) . " أَبْدَلْتُهُ بِكَذَا إِبْدَالًا ، نَحِيثَ الْأَوَّلِ وَجَعَلْتُ الثَّانِيَّ مَكَانَهُ ، وَبَدَّلْتُهُ تَبَدُّلًا بِمَعْنَى غَيَّرْتُ صَوْرَتَهُ تَغْيِيرًا " (٣) .

ورد الفعل (بَدَلٌ) في القرآن الكريم ثلاثا وعشرين مرّة ، وورد الفعل (أَبْدَلٌ) ثلاث مرّات ، وقد أفاد كلٌّ من الفعلين معنى التغيير الذي أشار إليه المعجميون ، وانسجمت السياقات القرآنية التي ورد فيها الفعلان مع الفرق الدلالي بين معنى التبديل والإبدال الذي أشار إليه المعجميون ، فاختصَّ الفعل (بَدَلٌ) بتغيير الشيء عن حاله دون إبداله بشيء آخر ، واختصَّ الفعل (أَبْدَلٌ) بجعل شيء مكان شيء آخر ، وفيما يلي بيان ذلك :

(بَدَلٌ) :

ورد الفعل (بَدَلٌ) للدلالة على تغيير الشيء عن حاله دون إبداله بشيء آخر ، وقد أفاد

الفعل (بَدَلٌ) هذا المعنى من خلال الدلالات الآتية :

- 1 . ابن فارس ، مقاييس اللغة، تحقيق عبد السلام محمد هارون ، ط٢، ١٩٩٩م ، دار الجيل ، بيروت. مادة (بذل) ، ج١ ، ص٢١٠ .
- 2 . ابن منظور ، لسان العرب ، مادة (بدل) ، ج١١ ، ص٤٨ .
- 3 . الفيومي ، المصباح المنير، ط١، ١٩٩٤م ، المكتبة العلمية ، بيروت . مادة (بدل) ، ج١ ، ص٣٩ .

أ . التجديد :

ورد ذلك في قوله تعالى : ﴿ كَلَّمَا نَضِجَتْ جُلُودُهُمْ بَدَّلْنَاهُمْ جُلُودًا غَيْرَهَا ﴾ . [النساء/٥٦]

قال الواحدي : " يعني أن جلودهم إذا نضجت واحترقت جُدَّت بأن تردَّ إلى الحال التي كانت عليها غير محترقة" (١) . وقال الكلبي : " وقيل تبديل الجلود تغيير صفاتها بالنار " (٢) ، وعلى هذا يكون " المراد بالغيرية التغيرات في الصفة " (٣) ، " وإنما سمَّاه تبديلا لأن أوصافه تتغير ثم يعاد كما تقول بدّل من خاتمي هذا خاتما وهي فضته بعينها ، فالبديل إنما وقع في تغيير الصفات " (٤) .

فتتغير صفات الجلود المحترقة لتعود جديدة كما كانت . كما دلّ الفعل (بدّل) على تكرار الحدث . قال ابن جنى : " جعلوا تكرير العين دلالة على تكرير الفعل " (٥) . فقد " روي عن النبي صلى الله عليه وسلم : (تبدّل جلودهم كل يوم سبع مرات) وعن الحسن سبعين مرة " (٦) .

وقال الطبري : " ننضجهم في اليوم سبعين ألف مرة " (٧) .

ب . النسخ :

والمقصود بالتبديل هنا تغيير بعض أحكام الشريعة لحكمة يعلمها الله تعالى ، وقد ورد ذلك في قوله تعالى : ﴿ وَإِذْ بَدَّلْنَا آيَةَ مَكَانِ آيَةِ ﴾ . [النحل/١٠١] أي : " يبذل حكما مكان آخر

-
- 1 . الواحدي ، الوجيز في تفسير الكتاب العزيز ، تحقيق صفوان عدنان داوودي . الطبعة الأولى ، ١٤١٥هـ ، دار القلم ، الدار الشامية . ج ١ ، ص ٢٦٩ .
 - 2 . الكلبي ، التسهيل لعلوم التنزيل ، ط ٤ ، ١٩٨٣م ، دار الكتاب العربي ، لبنان . ج ١ ، ص ١٤٦ .
 - 3 . فخر الدين الرازي ، التفسير الكبير ، ط ١ ، ٢٠٠٠م ، دار الكتب العلمية ، بيروت . ج ١٠ ، ص ١٠٩ .
 - 4 . ابن عطية ، المحرر الوجيز في تفسير الكتاب العزيز ، تحقيق عبد السلام عبد الشافي محمد ، ط ١ ، ١٩٩٣م ، دار الكتب العلمية ، لبنان . ج ٢ ، ص ٦٩ .
 - 5 . ابن جنى ، الخصائص ، ج ٢ ، ص ١٥٥ .
 - 6 . الزمخشري ، الكشاف ، تحقيق عبد الرزاق المهدي ، دار إحياء التراث العربي ، (د.ط) ، ١٩٩٧م ، بيروت . ج ١ ، ص ٥٥٥ .
 - 7 . الطبري ، جامع البيان عن تأويل آي القرآن ، ط ١ ، ١٤٠٥هـ ، دار الفكر ، بيروت . ج ٥ ، ص ١٤٢ .

لحكمته ورحمته " (١) . قال النسفي : " تبديل الآية مكان الآية هو النسخ ، والله تعالى ينسخ الشرائع بالشرائع لحكمة رآها " (٢) . وقال الزمخشري : " الله تعالى ينسخ الشرائع بالشرائع لأنها مصالح ، وما كان مصلحة أمس يجوز أن يكون مفسدة اليوم ، وخلافه مصلحة " (٣) . فالمعنى في الآية الكريم هو تبديل وليس إبدال ، ذلك أن الآية الناسخة لا توضع مكان الآية المنسوخة بعد تنحية الثانية ، بل تبقى الآيات المنسوخة في كتاب الله تعالى ويتغير حكمها بالناسخ ، فالتبديل لا يقع على الآيات عينها وإنما على أحكامها . ولعل هذا المعنى ينسجم مع قوله تعالى : ﴿ إِنَّا نَحْنُ نَزَّلْنَا الذِّكْرَ وَإِنَّا لَهُ لَحَافِظُونَ ﴾ . [الحجر/٩] فكل لفظ تلقاه الرسول صلى الله عليه وسلم من الله تعالى محفوظ بأمر الله إلى يوم الدين .

ج . التحريف :

ورد الفعل (بَدَّلَ) للدلالة على تحريف الشيء عن حقيقته في أكثر من موضع ، فورد للدلالة على تحريف آيات القرآن في قوله تعالى : ﴿ وَإِذَا تُلْتِ عَلَيْهِمْ آيَاتُنَا بَيِّنَاتٍ قَالَ الَّذِينَ لَا يَرْجُونَ لِقَاءَنَا آتِ بِقُرْآنٍ غَيْرِ هَذَا أَوْ بَدِّلْهُ قُلْ مَا يَكُونُ لِي أَنْ أُبَدِّلَهُ مِنْ تَلْقَاءِ نَفْسِي ﴾ . [يونس/١٥] والتبديل هنا بمعنى تغيير آيات القرآن الكريم وتحريفها ، وليس أن يُبدل القرآن بقرآن آخر . قال أبو حيان : " والتبديل هنا هو في الصفة ، وهو أن يزال بعض نظمه بأن يجعل مكان آية العذاب آية الرحمة ، ولا يراد بالتبديل هنا أن يكون في الذات ، لأنه يلزم جعل الشيء المقتضي للتغاير هو الشيء بعينه، لأن التبديل في الذات هو الإتيان بقرآن غير هذا " (٤) .

-
- 1 . السعدي ، تيسير الكريم الرحمن في تفسير كلام المنان، تحقيق ابن عثيمين ، (د.ط) ، ٢٠٠٠م، مؤسسة الرسالة ، بيروت . ج ١، ص ٤٤٩ .
 - 2 . النسفي ، تفسير النسفي ، ج ٢ ، ص ٢٧٠ .
 - 3 . الزمخشري ، الكشاف ، ج ٢ ، ص ٥٩٢ .
 - 4 . أبو حيان الأندلسي ، البحر المحيط ، تحقيق الشيخ عادل أحمد عبد الموجود وزملائه ، ط ١ ، ٢٠٠١م، دار الكتب العلمية ، بيروت . ج ٥ ، ص ١٣٦ .

وورد في قوله تعالى : ﴿سَلِّبْنَا بَنِي إِسْرَائِيلَ كَمَا آتَيْنَاهُم مِّنْ آيَةٍ بَيِّنَةٍ وَمَنْ يُبَدِّلْ نِعْمَةَ اللَّهِ مِنْ بَعْدِ مَا جَاءَتْهُ فَإِنَّ اللَّهَ شَدِيدُ الْعِقَابِ﴾. [البقرة/٢١١] قال النسفي : " حرفوا آيات الكتب الدالة على دين محمد عليه السلام " (١). وقال ابن عطية: " والتوراة أيضا نعمة على بني إسرائيل، أرشدتهم وهدتهم ، فبدلوا بالتحريف لها ووجد أمر محمد صلى الله عليه وسلم " (٢). وقال الزمخشري : " أو حرفوا آيات الكتب الدالة على دين محمد صلى الله عليه وسلم " (٣) .

وورد للدلالة على تحريف وصية الميت في قوله تعالى : ﴿فَمَنْ بَدَّلَهُ بَعْدَمَا سَمِعَهُ فَإِنَّمَا إِثْمُهُ عَلَى الَّذِينَ يُبَدِّلُونَهُ﴾. [البقرة/١٨١] وتفسيرها : "غير وصية الميت" (٤)، قال الطبري: "فمن غير ما أوصى به الموصي من وصيته بالمعروف لوالديه أو أقربيه الذين لا يرثونه بعد ما سمع الوصية، فإنما إثم التبديل على من بدل وصيته" (٥).

وورد للدلالة على تحريف القول في أوامر الله تعالى بقصد الاستهزاء في قوله تعالى: ﴿وَإِذْ قُلْنَا ادْخُلُوا هَذِهِ الْقَرْيَةَ فَكُلُوا مِنْهَا حَيْثُ شِئْتُمْ رَغَدًا وَاَدْخُلُوا الْبَابَ سُجَّدًا وَقُولُوا حِطَّةً نَغْفِرْ لَكُمْ خَطَايَاكُمْ وَسَنَزِيدُ الْمُحْسِنِينَ ، فَبَدَّلَ الَّذِينَ ظَلَمُوا قَوْلًا غَيْرَ الَّذِي قِيلَ لَهُمْ﴾. [البقرة/٥٨] قال الطبري: "وتأويل قوله : (فبدل) فغير ... عن مجاهد قال : أمر موسى قومه أن يدخلوا المسجد ويقولوا: حطة. وطوطئ لهم الباب ليخفصوا رؤوسهم، فلم يسجدوا ودخلوا على أستاذهم إلى الجبل - وهو الجبل الذي تجلى له ربه - وقالوا: حنطة. فذلك التبديل الذي قال الله عز وجل" (٦). فقد حرف قوم سيدنا موسى ما أمروا به فقالوا : حنطة بدل حطة ، ليخالفوا ما أراد الله منهم من

1 . تفسير النسفي ج ١ ، ص ١٠١

2 . ابن عطية ، المحرر الوجيز ، ج ١ ، ص ٢٨٤ .

3 . الزمخشري ، الكشاف ، ج ١ ، ص ٢٨١ .

4 . الفيروز آبادي ، تنوير المقباس من تفسير ابن عباس ، (د.ط) ، ٢٠٠٠م ، دار الكتب العلمية ، لبنان . ج ١ ، ص ٢٥ .

5 . الطبري ، جامع البيان عن تأويل آي القرآن ، ج ٢ ، ص ١٢٢ .

6 المرجع نفسه ، ج ١ ، ص ٣٠٤ .

قول الاستغفار. قال أبو حيان: "معنى الآية أنهم وضعوا مكان ما أمروا به من التوبة والاستغفار قولاً مغايراً له مشعراً باستهزائهم بما أمروا به"^(١). وقد ورد ذلك في سورة الأعراف أيضاً^(٢).

وورد للدلالة على تغيير أوامر الله وتحريفها بدافع الطمع في قوله تعالى: ﴿سَيَقُولُ الْمُخَلَّفُونَ إِذَا انطَلَقْتُمْ إِلَى مَغَانِمٍ لِتَأْخُذُوهَا ذَرُونَا نَتَّبِعْكُمْ يُرِيدُونَ أَنْ يُبَدِّلُوا كَلَامَ اللَّهِ قُلْ لَنْ تَتَّبِعُونَا كَذَلِكَ قَالَ اللَّهُ مِنْ قَبْلُ فَسَيَقُولُونَ بَلْ تَحْسُدُونَنَا بَلْ كَانُوا لَا يَفْقَهُونَ إِلَّا قَلِيلًا﴾. [الفتح/١٥] قال الشوكاني: "الذي أرادوا أن يبدلوه هو مواعيد الله لأهل الحديبية خاصة بغزيمة خيبر"^(٣). "فكانهم قالوا: ما قال الله كذلك من قبل ، بل تحسدوننا"^(٤). وقال أبو السعود: "أي ليس ذلك النهي حكم الله، بل تحسدوننا أن نشارككم في الغنائم"^(٥). فكان القوم أرادوا تحريف بعض أوامر الله فيما يختص بالغنائم ، قال الجوزي: "قصداً أن يجيز لهم رسول الله صلى الله عليه وسلم ما يخالف أمر الله فيكون تبديلاً لأمره"^(٦).

وورد للدلالة على التحريف في القول أو العمل ، قال تعالى : ﴿مَا يُبَدِّلُ الْقَوْلَ لَدَيَّ وَمَا أَنَا بِظَلَّامٍ لِلْعَبِيدِ﴾. [ق/٢٩] قال الطبري: "ما يغير القول الذي قلته لكم في الدنيا، وهو قوله: (لَأْمَلَنَّ جَهَنَّمَ مِنَ الْجِنَّةِ وَالنَّاسِ أَجْمَعِينَ)"^(٧). وقال البغوي: "يعني لا يُغَيِّرُ عَنْ جِهَتِهِ ، وَلَا يُحَدِّثُ مِنْهُ ، وَلَا يُزَادُ فِيهِ"^(٨).

-
- 1 . أبو حيان ، البحر المحيط ، ج ١ ، ص ٣٨٧ .
 - 2 . ورد في : [الأعراف/١٦١-١٦٢] .
 - 3 . الشوكاني ، فتح القدير ، ج ٥ ، ص ٤٩ .
 - 4 . فخر الدين الرازي ، التفسير الكبير ، ج ٢٨ ، ص ٧٩ .
 - 5 . أبو السعود ، إرشاد العقل السليم إلى مزايا القرآن الكريم ، ج ٨ ، ص ١٠٨ .
 - 6 . الجوزي ، زاد المسير في علم التفسير ، ج ٧ ، ص ٤٣٠ .
 - 7 . الطبري ، جامع البيان عن تأويل آي القرآن ، ج ٢٦ ، ص ١٦٨ .
 - 8 . السمرقندي ، بحر العلوم ، ج ٣ ، ص ٣٢٠ . وانظر : الشوكاني ، فتح القدير ، ج ٥ ، ص ٧٧ .

وقال تعالى : ﴿مِنَ الْمُؤْمِنِينَ رِجَالٌ صَدَقُوا مَا عَاهَدُوا اللَّهَ عَلَيْهِ فَمِنْهُمْ مَن قَضَىٰ نَحْبَهُ وَمِنْهُمْ مَن يَنْتَظِرُ وَمَا بَدَّلُوا تَبْدِيلًا﴾. [الأحزاب/٢٣] قال ابن كثير: " ما غيِّروا عهد الله ولا نقضوه ولا بدلوه" (١). وقال الطبري: " ما شكوا وما ترددوا في دينهم" (٢).

د . التحويل إلى الضدّ : أفاد الفعل (بدل) تحويل الشيء إلى ضده ، فأفاد تحويل الخوف إلى أمن في قوله تعالى : ﴿وَعَدَ اللَّهُ الَّذِينَ آمَنُوا مِنْكُمْ وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ لَيَسْتَخْلِفَنَّهُمْ فِي الْأَرْضِ كَمَا اسْتَخْلَفَ الَّذِينَ مِنْ قَبْلِهِمْ وَلَيُمَكِّنَنَّ لَهُمْ دِينَهُمُ الَّذِي ارْتَضَىٰ لَهُمْ وَلَيُبَدِّلَنَّهُمْ مِنْ بَعْدِ خَوْفِهِمْ أَمْنًا﴾. [النور/٥٥] والمقصود بالتبديل تغيير حال الشيء إلى ضده ، قال الطبري : "وليغيِّرَنَّ حالهم عمّا هي عليه من الخوف إلى الأمن" (٣).

وأفاد تحويل الشدة إلى رخاء في قوله تعالى : ﴿ثُمَّ بَدَّلْنَا مَكَانَ السَّيِّئَةِ الْحَسَنَةَ حَتَّىٰ عَفَوْا﴾. [الأعراف/٩٥] وليس المقصود بالسيئة والحسنة هنا ما يكتب للإنسان مقابل عمله ، وإنما "معنى الحسنة والسيئة ههنا الشدة والرخاء" (٤) ، قال ابن كثير: "أي حولنا الحال من شدة إلى رخاء ، ومن مرض وسقم إلى صحة وعافية ، ومن فقر إلى غنى، ليشكروا على ذلك، فما فعلوا. وقوله : (حتى عَفَوْا) أي كثروا وكثرت أموالهم وأولادهم" (٥). فالأحوال الأولى هي (الشدة ، والمرض ، والفقر) ، وقد تمّ تحويلها إلى (الرخاء ، والصحة ، والغنى).

وأفاد تحويل السيئات إلى حسنات في قوله تعالى : ﴿إِلَّا مَنْ تَابَ وَآمَنَ وَعَمِلَ عَمَلًا صَالِحًا فَأُولَٰئِكَ يُبَدِّلُ اللَّهُ سَيِّئَاتِهِمْ حَسَنَاتٍ وَكَانَ اللَّهُ غَفُورًا رَحِيمًا﴾. [الفرقان/٧٠] قال الطبري : "هم الذين يتوبون فيعملون بالطاعة ، فيبدل الله سيئاتهم حسنات حين يتوبون... وقال آخرون : بل

1 . ابن كثير ، تفسير القرآن العظيم ، ج ٣ ، ص ٤٧٦ .

2 . الطبري ، جامع البيان عن تأويل آي القرآن ، ج ٢١ ، ص ١٤٨ .

3 . المرجع نفسه ، ج ١٨ ، ص ١٥٩ .

4 . فخر الدين الرازي ، التفسير الكبير ، ج ١٤ ، ص ١٥٠ .

5 . ابن كثير، تفسير القرآن العظيم ، ج ٢ ، ص ٢٣٤ .

معنى ذلك ، فأولئك يبذل الله سيئاتهم في الدنيا حسنات لهم يوم القيامة" (١) ، وقال البغوي: " يبذل الله سيئاتهم التي عملوها في الإسلام حسنات يوم القيامة " (٢) ، وقال السعدي : " وتتبدل نفس السيئات التي عملوها ثم أحدثوا عن كل ذنب منها توبة وإنابة وطاعة ، تبدل حسنات كما هو ظاهر الآية" (٣) ، ولعلّ هذا يتوافق مع قول النبي صلى الله عليه وسلم : "ليتمنين أقواماً لو أكثروا من السيئات : الذين بدل الله عز وجل سيئاتهم حسنات" (٤) . وهذا من كرم الله عز وجل ، فهينٌ عليه تعالى أن يبذل السيئات نفسها إلى حسنات لمن تاب عنه كرماً منه تعالى .

وأفاد تحويل السوء إلى صلاح في قوله تعالى : ﴿إِلَّا مَنْ ظَلَمَ ثُمَّ بَدَّلَ حُسْنًا بَعْدَ سُوءٍ فَإِنِّي غَفُورٌ رَحِيمٌ﴾. [النمل/١١] والمقصود من (بدل) أي غير حاله وأصلحه ، بمعنى "ثم تاب من بعد ظلمه وإساءته" (٥) ، قال ابن عاشور: "أي تاب عن فعله وأصلح حاله" (٦) . وقال الفخر الرازي : "فالمراد حسن التوبة وسوء الذنب" (٧) . فالتبديل في هذه الآية بمعنى أن يغير الإنسان حاله من السوء إلى الإصلاح . والخطاب موجه لكل مسيء وإن نزلت الآية في حق موسى عليه السلام، "فأفرغ هذا التطمين لموسى في قالب العموم تعميماً للفائدة" (٨) .

-
- 1 . الطبري ، جامع البيان في تأويل القرآن ، ج ١٩ ، ص ٤٧ .
 - 2 . البغوي ، معالم التنزيل ، ج ٦ ، ص ٩٧ .
 - 3 . السعدي ، تيسير الكريم الرحمن في تفسير كلام المنان السعدي ، تحقيق ابن عثيمين ، ط ٢ ، ٢٠٠٠ م ، مؤسسة الرسالة ، بيروت . ج ١ ، ص ٥٨٧ .
 - 4 . الهندي ، كنز العمال في سنن الأقوال والأفعال ، تحقيق بكرى حياني ، ط ٥ ، ١٩٨١ م ، صفوة السقا ، مؤسسة الرسالة . ج ٤ ، ص ٢١٦ .
 - 5 . السيوطي ، الدر المنثور ، ط ١ ، ١٩٩٣ م ، دار الفكر ، بيروت . ج ٦ ، ص ٣٤٢ .
 - 6 . ابن عاشور ، التحرير والتنوير المعروف بتفسير ابن عاشور ، الطبعة الأولى ، مؤسسة التاريخ العربي ، بيروت ، ٢٠٠٠ م . ج ١٩ ، ص ٢٢٨ .
 - 7 . فخر الدين الرازي ، التفسير الكبير ، ج ٢٤ ، ص ١٥٨ .
 - 8 . ابن عاشور ، التحرير والتنوير ، ج ١٩ ، ص ٢٢٩ .

وأفاد تحويل النعمة إلى الكفر في قوله تعالى : ﴿الَّذِينَ تَرَى إِلَى اللَّهِ نِعْمَةً لِلَّهِ كُفْرًا وَأَحَلُّوا قَوْمَهُمْ دَارَ الْبُورِ﴾. [إبراهيم/٢٨] والتبديل هنا بمعنى التغيير والتحويل . قال النسفي: "كأنهم غيروا الشكر إلى الكفر وبدلوه تبديلا ، وهم أهل مكة، أكرمهم بمحمد عليه السلام ، فكفروا نعمة الله بدل ما لزمهم من الشكر" (١) . وقال السعدي: " نعمة الله هي إرسال محمد صلى الله عليه وسلم إليهم يدعوهم إلى إدراك الخيرات في الدنيا والآخرة ، فبدلوا هذه النعمة بردها والكفر بها والصد عنها" (٢) .

وأفاد تحويل الكفر إلى إيمان وتوحيد في قوله تعالى: ﴿وَقَالَ فِرْعَوْنُ ذَرُونِي أَقْتُلْ مُوسَى وَلْيَدْعُ رَبَّهُ إِنِّي أَخَافُ أَنْ يُبَدِّلَ دِينَكُمْ﴾. [غافر/٢٦] يظهر فرعون أمام الناس بصورة الناصح الذي يخاف على قومه ، ويخشى أن يغيّر موسى عليه السلام دينهم ويحوّله من الكفر والشرك إلى التوحيد ، قال ابن كثير: " يخشى فرعون أن يُضِلَّ موسى الناس ويغيّر رسومهم وعاداتهم . وهذا كما يقال في المثل : صار فرعون مُذَكَّرًا" (٣) . فرعون يرى عبادة قومه له أمرا صحيحا ، ويرى نفسه أفضل منهم وإلها لهم ، لذلك هو يخشى أن يغيّر موسى السلام دينهم ، قال الخازن: "يعني يقول فرعون: أخاف أن يغيّر دينكم الذي أنتم عليه" (٤) .

وأفاد تحويل الجنات من الثمر والحسن إلى الشوك في قوله تعالى : ﴿لَقَدْ كَانَ لِسَبَإٍ فِي مَسْكَنِهِمْ آيَةٌ جَنَّتَانِ عَنْ يَمِينٍ وَشِمَالٍ كُلُوا مِنْ رِزْقِ رَبِّكُمْ وَاشْكُرُوا لَهُ بَلْدَةٌ طَيِّبَةٌ وَرَبٌّ غَفُورٌ ، فَأَعْرَضُوا فَأَرْسَلْنَا عَلَيْهِمْ سَيْلَ الْعَرِمِ وَبَدَّلْنَاهُمْ بِجَنَّتَيْهِمْ جَنَّتَيْنِ ذَوَاتِي أُكُلٍ خَمْطٍ وَأَثَلٍ وَشَيْءٍ مِنْ سِدْرٍ قَلِيلٍ﴾. [سبأ/١٦، ١٥] فتبدلت الجنتان من الثمار والفاكهة والأعشاب إلى الأراك والسدر ذي

1 . تفسير النسفي ، ج ٢ ، ص ٢٣٠ .

2 . السعدي ، تيسير الكريم الرحمن في تفسير كلام المنان ، ج ١ ، ص ٤٢٦ .

3 . ابن كثير ، تفسير القرآن العظيم ، ج ٤ ، ص ٧٨ .

4 . الخازن ، لباب التأويل في معاني التنزيل ، ج ٦ ، ص ٩٣ .

الشوك ونحوهما. قال ابن كثير: "بعد الثمار النضيجة والمناظر الحسنة، والظلال العميقة والأنهار الجارية، تبدلت إلى شجر الأراك والطرفاء والسدّر ذي الشوك الكثير والثمر القليل" (١). فقد حوّل الله تعالى الجنّتين من الحسن والإثمار والفائدة إلى ضدّ هذه الأوصاف، قال أبو السعود: "كان شجرهم خير الشجر، فصيره الله تعالى من شرّ الشجر بأعمالهم، وتسمية البديل جنّتين للمشاكلّة والتهمك" (٢). وقال الواحدي: "أهلك أشجارهم المنثرة وأنبت بدلها الأراك والطرفاء والسدّر" (٣). فدلّ الفعل (بدّل) على تحويل الجنّتين عن حالهما إلى الضدّ، قال الكلبي: "المعنى أنه لما أهلك الجنّتان المذكورتان قيل أبدلهم الله منها جنّتين بضدّ وصفهما في الحسن والأرزاق" (٤).

هـ . تغيير صور المخلوقات :

ورد ذلك في قوله تعالى : ﴿عَلَىٰ أَنْ نُبَدِّلَ أَمْثَالَكُمْ وَنُنشِئْكُمْ فِي مَآلَا تَعْلَمُونَ﴾ [الواقعة/٦١] قال ابن كثير: " أي : نغير خلقكم يوم القيامة " (٥)، وهذا التغيير واقع على الصور " أي صوركم وأشخاصكم لما تقدم في الشورى من أن المثل في الأصل هو الشيء نفسه" (٦)، أو على الصفات ، "وقيل نبديل صفاتكم فنجعلكم قردة وخنزير كما فعلنا بمن كان قبلكم" (٧). فالتبديل هنا بمعنى تغيير صورة الشيء دون إبداله بآخر .

وورد في قوله تعالى: ﴿يَوْمَ تُبَدَّلُ الْأَرْضُ غَيْرَ الْأَرْضِ وَالسَّمَوَاتُ﴾ [إبراهيم/٤٨] قال أبو حيان: "اختلفوا في التبديل هنا ، أهو في الذات ، أو في الصفات ، فقال ابن عباس : تمد كما يمد

- 1 . ابن كثير ، تفسير القرآن العظيم ، ج ٣ ، ص ٥٣٤ .
- 2 . أبو السعود ، إرشاد العقل السليم إلى مزايا القرآن الكريم ، ج ٧ ص ١٢٨
- 3 . الواحدي ، الوجيز في تفسير الكتاب العزيز ، ج ٢ ص ٨٨٢
- 4 . الكلبي ، التسهيل لعلوم التنزيل ج ٣ ص ١٤٩
- 5 . ابن كثير ، تفسير القرآن العظيم ، ج ٤ ، ص ٢٩٦ .
- 6 . البقاعي ، نظم الدرر في تناسب الآيات والسور ، تحقيق عبد الرزاق غالب المهدي ، ط ٢ ، ١٩٩٥م ، دار الكتب العلمية ، بيروت . ج ٨ ، ص ٤١٦ .
- 7 . الخازن ، لباب التأويل في معاني التنزيل ، ط ١ ، دار الفكر ، بيروت . ج ٧ ، ص ٢٢ .

الأديم ، وتزال عنها جبالها وآكامها وشجرها، وجميع ما فيها حتى تصير مستوية لا ترى فيها عوجاً ولا أمثاً، وتبدل السموات بتكوير شمسها، وانتثار كواكبها، وانشقاقها، وخسوف قمرها" (١).
فالتبديل هنا بمعنى تغيير الشيء دون إبداله بآخر .

وورد في قوله تعالى: ﴿عَلَىٰ أَنْ نُبَدِّلَ خَيْرًا مِنْهُمْ وَمَا نَحْنُ بِمَسْبُوقِينَ﴾. [المعارج/٤١]

قال ابن كثير: "أي : يوم القيامة نعيدهم بأبدان خير من هذه" (٢)، وقال البقاعي: " أي بالخلق أو تحويل الوصف، فيكونوا أشد بسطة في الدنيا وأكثر أموالاً وأولاداً وأعلى قدراً وأكثر حشماً ووجاهة وحزماً وخدماء" (٣).

وورد في قوله تعالى: ﴿نَحْنُ خَلَقْنَاهُمْ وَشَدَدْنَا أَسْرَهُمْ وَإِذَا شِئْنَا بَدَّلْنَا أَمْثَالَهُمْ

تَبْدِيلًا﴾. [الإنسان/٢٨] قال مقاتل أي: " { وَشَدَدْنَا أَسْرَهُمْ } حين صاروا شباناً يعني أسرة" (٤) الشباب، وما خلق الله شيئاً أحسن من الشباب، منور الوجه أسود الشعر واللحية قوي البدن، وقال: { وَإِذَا شِئْنَا بَدَّلْنَا أَمْثَالَهُمْ } ذلك السواد والنور بالبياض والضعف" (٥) . وقال البقاعي: " جننا بأمثالهم بدلا منهم وخلائف لهم ، أو يكون المراد - وهو أفعد - بالمثل الشخص ، أي بدلنا أشخاصهم لتصير بعد القوة إلى ضعف ، وبعد الطول إلى قصر ، وبعد البياض إلى سواد ، وغير ذلك من الصفات كما شوهد في بعض الأوقات في المسخ وغيره " (٦) . " وقيل المعنى مسخناهم إلى أسمح صورة وأقبح خلقة " (٧) .

1 . أبو حيان ، البحر المحيط ، ج ٥ ، ٤٢٧ .

2 . ابن كثير ، تفسير القرآن العظيم ، ج ٤ ، ص ٤٢٤ .

3 . البقاعي ، نظم الدرر في تناسب الآيات والسور ، ج ٨ ، ص ١٥٩ .

4 . " الأسر: شِدَّةُ الخَلْقِ ... وفي التنزيل : (نحن خلقناهم وشددنا أسرهم) ؛ أي شددنا خلقهم " . (ابن منظور ، لسان العرب ، مادة : أسر ، ج ٤ ، ص ١٩) .

5 . مقاتل، تفسير مقاتل ، تحقيق أحمد فريد ، ط ١ ، ٢٠٠٣م، دار الكتب العلمية، بيروت. ج ٣ ، ص ٤٣٤ .

6 . البقاعي ، نظم الدرر في تناسب الآيات والسور ، ج ٨ ، ص ٢٧٨ .

7 . الشوكاني ، فتح القدير ، ج ٥ ، ص ٣٥٤ .

(أبدال) :

ورد الفعل (أبدال) في القرآن الكريم ثلاث مرّات ، وقد دلّ على إبدال الشيء بشيء آخر من خلال مرحلتين : مرحلة أولى يتم فيها تنحية الأول بفعل مستقل من شأنه أن يفك الارتباط بين الشيء الأول وصاحبه . ومرحلة ثانية يؤتى من خلالها بالشيء الثاني ليكون بديلاً للأول . مع احتمال وجود مدّة زمنية — قد تطول أو تقصر — بين تنحية الأول والمجيء بالثاني . فزوال الأول يكون بالتنحية ، والبديل يكون ذاتا ثانية ، وبيان ذلك على النحو الآتي :

ورد الفعل (أبدال) في قوله تعالى حكاية عن أصحاب الجنة التي أهلكها الله تعالى: ﴿عَسَى رَبُّنَا أَنْ يُبَدِّلَنَا خَيْرًا مِنْهَا إِنَّا إِلَى رَبِّنَا رَاغِبُونَ﴾. [القلم/٣٢] فهم يطلبون من الله تعالى أن يرزقهم جنة أخرى غير جنتهم الأولى التي أهلكت ، وتزبد عليها حسنا ، "يعني خيراً من جنتنا التي هلكت" (١) ، أي : "أن يعوضنا ربنا في الآخرة (خيراً منها) من هذه الجنة" (٢) . فالجنة التي يلتمسونها من الله تعالى غير الجنة الأولى . " قال عبد الله بن مسعود : بلغني أن القوم أخلصوا وعرف الله منهم الصدق ، فأبدلهم بها جنة يقال لها الحيوان فيها عنب يحمل البغل منه عنقوداً واحداً" (٣) ، وقال الجوزي : "التبديل تغيير حال الشيء وصفته والعين باقية، والإبدال إزالة الشيء ووضع غيره مكانه، ونقل أن القوم أخلصوا فبدلهم الله جنة العنقود منها وقر (٤) بغل" (٥) .

1 . مقاتل ، تفسير مقاتل بن سليمان ، ج ٣ ، ص ٣٨٩ .

2 . الفيروز آبادي ، تنوير المقباس من تفسير ابن عباس ، ج ١ ، ص ٤٨١ .

3 . تفسير البغوي ، ج ٤ ، ص ٣٨١ .

4 . " الوقرُ : الحمل الثقيل ، وأكثر ما استعمل الوقرُ في حمل البغل والحمار ، والوسقُ في حمل البعير " . (ابن

منظور ، لسان العرب ، مادة : وقر ، ج ٥ ، ص ٢٨٩)

5 . الجوزي ، زاد المسير ، ج ٨ ، ص ٣٣٩ .

وورد في قوله تعالى : ﴿عَسَى رَبُّهُ إِنْ طَلَّقَنَّ أَنْ يُبْدِلَهُ أَزْوَاجًا خَيْرًا مِنْكَ﴾. [التحریم/٥]
قال الفخر الرازي: "إنه تعالى كان عالماً أنه لا يطلقهنّ ، لكن أخبر عن قدرته أنه إن طلقهنّ
أبدله خيراً منهنّ تخويلاً لهنّ" (١) . فالإبدال هنا بمعنى الزواج من أخريات .
وورد في قوله تعالى حكاية عن الخضر: ﴿وَأَمَّا الْغُلَامُ فَكَانَ أَبَوَاهُ مُؤْمِنَيْنِ فَخَشِينَا أَنْ
يُرْهَقَهُمَا طُغْيَانًا وَكُفْرًا، فَأَرَدْنَا أَنْ يُبْدِلَهُمَا رَبُّهُمَا خَيْرًا مِنْهُ زَكَوَةً وَأَقْرَبَ رُحْمًا﴾. [الكهف/٨٠، ٨١]
والإبدال هنا بأن يرزقهما الله تعالى ولداً آخر غير ولدهما الأول ، قال الفخر الرازي: "أي أردنا
أن يرزقهما الله تعالى ولداً خيراً من هذا الغلام زكاة ، أي ديناً وصلاً" (٢) .

يُلاحظ من خلال الآيات السابقة أن الأشياء التي يقع عليها الإبدال تُتَحَّى بفعل مستقل يسبق
الإتيان بالبدل ، فالفعل المسؤول عن تحية الجنة التي أهلكتها الله هو الإهلاك ، والفعل المسؤول
عن تحية زوجات النبي — إن حصل ذلك — هو الطلاق ، والفعل المسؤول عن تحية الغلام
هو القتل . والآيات الثلاث تحتل — بمعناها — مرور مدة من الزمن قد تطول أو تقصر بين
تحية الأول والإتيان بالثاني ، فالسبب في تحية الأول لم يكن بسبب الإتيان بالثاني ، وإنما
بسبب أفعال أخرى (الإهلاك ، والطلاق ، والقتل) . كما يُلاحظ أن الآيات الثلاثة جاءت في
سياق تطلع العبد إلى كرم الله عز وجل ، وبما أن المعطي هو الله تعالى فإن العطاء سيكون
جزلاً ، وبالتالي هو عطاء مختلف عن العطاء الذي قبله ، فيزيد عليه فضلاً وخيراً . لذلك جاء
التطلع إلى العطاء الجديد مقترناً في جميع الآيات بكلمة (خير) . فالمقصود من الإبدال ليس
تغيير حال العطاء الأول في الآيات السابقة — الجنة التي أحرقت الله ، وأزواج الرسول ، وابن
الصالحين الذي قتله الخضر — ، وإنما إبدالها بأخر أفضل منها كرماً من الله تعالى .

1 . فخر الدين الرازي ، التفسير الكبير ، ج ٣٠ ، ص ٤٠ .

2 . المرجع نفسه ، ج ٢١ ، ص ١٣٧ .

(ثَبَّتَ , وَأَثَبَتَ)

" الثاء والباء والتاء كلمة واحدة وهي دوام الشيء " (١) . يُقال : " ثَبَّتَ الشيءُ يَثْبُتُ ثَبَاتًا وَثُبُوتًا فهو ثابتٌ وثَبِيتٌ وَثَبَّتْ ، وَأَثَبَتْهُ هو ، وَثَبَّتَهُ بمعنى . وشيءٌ ثَبَّتَ : ثابتٌ . ويقال للجَرَادِ إِذَا رَزَّ أَذْنَابهَ لِيَبْيَضَ : ثَبَّتَ وَأَثَبَتْ وَثَبَّتَ . ويقال : ثَبَّتَ فلانٌ في المكانِ يَثْبُتُ ثُبُوتًا ، فهو ثابتٌ إِذَا أَقامَ به . وَ أَثَبَّتَهُ السُّقْمُ إِذَا لم يُفَارِقْهُ . وَثَبَّتَهُ عن الأمرِ كَثَبَّتْهُ " (٢) . " وَثَبَّتَتْ في رأيه وأمره إِذَا لم يَعْجَلْ وَتَأَنَّى فيه ، وَاسْتَثَبَّتْ في أمره إِذَا شاورَ وَفحص عنه ، وَأَثَبَتْ فلانٌ فهو مُثَبَّتٌ إِذَا اسْتَدَّتْ به عِلَّتُهُ وَأَثَبَّتَتْهُ جِرَاحُهُ فلم يَتَحَرَّكَ ، وَرجلٌ ثَبَّتَ وَثَبِيتٌ إِذَا كان شجاعاً وَقُوراً " (٣) .

ورد الفعل (ثَبَّتَ) في القرآن الكريم عشر مرّات، وورد الفعل (أَثَبَّتَ) مرتين، وقد أشار الفعلان إلى معنى الرسوخ والاستقرار. "تدور المادة في الأصل حول الرسوخ والاستقرار ، ضدّ التزلزل والاضطراب ... وَأَثَبَتْهُ وَثَبَّتَهُ بمعنى، أي أَفْعَلَ وَفَعَلَ بمعنى واحد" (٤) . وبعد تتبع الآيات القرآنية التي ورد فيها كلّ من الفعلين (ثَبَّتَ ، أَثَبَّتَ) ، يُلاحظ أن هناك دلالاتٍ لكلّ من التثبيت والإثبات ، فالتثبيت كان وسيلة لتحقيق أمرٍ ما، أمّا الإثبات فكان تحقيقاً لأمرٍ ما، أي كان نتيجة مرجوةً أو محققةً ، وبيان ذلك على النحو الآتي :

(ثَبَّتَ) :

ورد الفعل (ثَبَّتَ) في القرآن الكريم عشر مرّات ، وكان التثبيت في هذه الآيات وسيلةً لتحقيق أمرٍ ما ، نحو تثبيت الأقدام في أثناء القتال لتحقيق النصر ، وتثبيت القلوب لتحقيق

1 . ابن فارس ، مقاييس اللغة ، مادة (ثَبَّتَ) ، ج ١ ، ص ٣٩٩ .

2 . ابن منظور ، لسان العرب ، مادة (ثَبَّتَتْ) ، ج ٢ ، ص ١٩ .

3 . الأزهرى ، تهذيب اللغة ، تحقيق محمد عوض مرعب ، ط ١ ، ٢٠٠١م ، دار إحياء التراث العربي ، بيروت . ج ١٤ ، ص ١٩٠ .

4 . توفيق أسعد، صيغة أفعال ودلالاتها في القرآن الكريم، ط ١، ١٩٩٠م، منشأة المعارف، الإسكندرية. ص ٦٣.

الاطمئنان والاستمرار على الإيمان . وقد أفاد الفعل (تَبَّتْ) هذا المعنى من خلال الدلالات الآتية :

أ . تثبيت الأقدام في أثناء القتال :

قال تعالى : ﴿وَلَمَّا بَرَزُوا لِجَالُوتَ وَجُنُودِهِ قَالُوا رَبَّنَا أَفْرِغْ عَلَيْنَا صَبْرًا وَتَبَّتْ أقدامَنَا وَأَنْصَرْنَا عَلَى الْقَوْمِ الْكَافِرِينَ﴾. [البقرة/٢٥٠] ومعنى "تبت أقدامنا، أي هب لنا كمال القوة والرسوخ عند المقارعة بحيث لا تتزلزل"^(١). فتثبيت الأقدام وسيلة من وسائل النصر التي يريها المؤمنون من الله تعالى ، وسؤالهم "فيه ترتيب بليغ إذ سألوا أولاً إفراغ الصبر في قلوبهم الذي هو ملك الأمر ، ثم ثبات القدم في مداحض الحرب المسبب عنه ، ثم النصر على العدو المترتب عليهما غالباً"^(٢) .

وورد مرتين في قوله تعالى : ﴿ وَيُنزِلُ عَلَيْكُمْ مِنَ السَّمَاءِ مَاءً لِيُطَهَّرَكُمْ بِهِ وَيُدْهَبَ عَنْكُمْ رِجْزَ الشَّيْطَانِ وَلِيَرْبِطَ عَلَى قُلُوبِكُمْ وَيُنَبِّتَ بِهِ الْأَقْدَامَ ، إِذْ يُوحِي رَبُّكَ إِلَى الْمَلَائِكَةِ أَنِّي مَعَكُمْ فَتَبَّتْ أقدام المؤمنون فوقها^(٣) ، وأنزل الملائكة لمعونتهم وتبشيرهم بالنصر^(٤) . والتثبيت هنا — سواء أكان مشاركة بالقتال أم تبشيراً بالنصر — وسيلة من وسائل تحقيق النصر . وقد ورد ذلك في مواضع أخر^(٥) .

- 1 . الألويسي ، روح المعاني ، ط ١ ، ١٩٨٠م ، دار إحياء التراث العربي ، بيروت . ج ٢ ، ص ١٧٢ .
- 2 . البيضاوي ، تفسير البيضاوي ، دار الفكر - بيروت . ج ١ ، ص ٥٤٨ .
- 3 . انظر : الفيروز آبادي ، تنوير المقباس من تفسير ابن عباس ، ج ١ ، ص ١٤٦ .
- 4 . انظر : البغوي ، معالم التنزيل ، ج ٣ ، ص ٣٣٤ .
- 5 . ورد أيضا في : آل عمران/١٤٧ ، ومحمد/٧ .

ب . تثبيت الأئمة واطمئنانها :

وهذا التثبيت وسيلة لأداء أمر الله . وقد ورد في قوله تعالى: ﴿وَكَلَّمَ نَقصُ عَلَيْكَ مِنْ أَنْبَاءِ الرُّسُلِ مَا نُثَبَّتْ بِهِ فُؤَادَكَ﴾. [هود/١٢٠] والخطاب موجّه إلى الرسول صلى الله عليه وسلم، فالتثبيت هنا من وسائل أداء الرسالة، قال الفخر الرازي : " تثبيت الفؤاد على أداء الرسالة وعلى الصبر واحتمال الأذى " (١) . وكذلك في قوله تعالى: ﴿وَقَالَ الَّذِينَ كَفَرُوا لَوْلَا نُزِّلَ عَلَيْهِ الْقُرْآنُ جُمْلَةً وَاحِدَةً كَذَلِكَ لِنُثَبِّتَ بِهِ فُؤَادَكَ وَرَتَّلْنَاهُ تَرْتِيلًا﴾. [الفرقان/٣٢] " أي كذلك أنزلناه مفردا لنقوي بتفريقه فؤادك على حفظه وفهمه " (٢) .

وورد في قوله تعالى: ﴿قُلْ نَزَّلَهُ رُوحُ الْقُدُسِ مِنْ رَبِّكَ بِالْحَقِّ لِيُثَبِّتَ الَّذِينَ آمَنُوا﴾. [النحل/١٠٢] " أي ليحفظ قلوب الذين آمنوا على الإسلام " (٣) ، فتثبيت قلوب المؤمنين وسيلة لإبقائهم على أمر الله .

ج . التثبيت بمعنى العصمة من الفتنة :

والتثبيت هنا من وسائل العصمة من الفتنة . وقد ورد ذلك في قوله تعالى: ﴿وَلَوْلَا أَنْ تُثَبِّتَكَ لَقَدْ كُنْتَ تَرَكُنْ إِلَيْهِمْ شَيْئًا قَلِيلًا﴾. [الإسراء/٧٤] والمعنى : "ولولا أن تثبتاك يا محمد بعصمتنا إياك عما دعاك إليه هؤلاء المشركون من الفتنة" (٤) . فقد روي " أن أمية بن خلف وأبا جهل ورجالا من قريش أتوا رسول الله صلى الله عليه وسلم فقالوا : تعال فتمسح بآهتنا وندخل

1 . فخر الدين الرازي ، التفسير الكبير ، ج١٨ ، ص٦٤

2 . البيضاوي ، تفسير البيضاوي ، ج٤ ، ص٢١٦ .

3 . السمرقندي ، بحر العلوم ، اسم المؤلف ، ج٢ ، ص٢٩٢ .

4 . الطبري ، جامع البيان عن تأويل آي القرآن ، ج١٥ ، ص١٣١ .

معك في دينك. وكان رسول الله صلى الله عليه وسلم يشتد عليه فراق قومه ويحب إسلامهم , فرق لهم فأنزل الله تعالى هذه الآية^(١) , وثبت نبيه على الحق .

وورد في قوله تعالى: ﴿يُثَبِّتُ اللَّهُ الَّذِينَ آمَنُوا بِالْقَوْلِ الثَّابِتِ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَفِي الْآخِرَةِ﴾. [إبراهيم/٢٧] والتثبيت هنا بمعنى العصمة من الفتنة في الدنيا وفي القبر. والقول الثابت "هو قول لا إله إلا الله محمد رسول الله في الحياة الدنيا ... وفي القبر بتلقين الجواب وتمكين الصواب"^(٢). فالتثبيت وسيلة للعصمة من الفتنة في الدنيا , ووسيلة للعصمة من الفتنة في القبر. قال الزمخشري: " وتثبيتهم به في الدنيا: أنهم إذا فتنوا في دينهم لم يزلوا , كما ثبت الذين فتنهم أصحاب الأخدود , والذين نشروا بالمناشير ومشطت لحومهم بأمشاط الحديد ... وتثبيتهم في الآخرة أنهم إذا سئلوا عند تواقف الشهداء عن معتقدهم ودينهم لم يتلعثموا ولم يبهتوا , ولم تحيرهم أهوال الحشر . وقيل معناه الثبات عند سؤال القبر"^(٣).

لقد تناسب إيراد الفعل مشدداً مع المعاني التي ورد فيها , فالتثبيت يكون في أوقات الشدة, كتثبيت الأقدام وقت المعركة , وتثبيت الأفئدة من أجل الصبر على الدعوة والاستمرار على إقامة أمر الله , والتثبيت وقت الفتن للعصمة من الوقوع فيها . وإيراد الفعل مشدداً يدل على تكرار حدث التثبيت , وهذا يتناسب مع معاني الآيات. فكان التثبيت تواسلاً بين العبد وربّه, فجعله الله تعالى وسيلة من وسائل نصرته لعباده , فقد ثبت الله تعالى الأقدام بتقويتها, أو بتثبيت الأرض تحتها من خلال إنزال المطر على الرمال. وقد ثبت الأفئدة بسرد قصص الأنبياء , أو بإنزال القرآن مفرقا. وقد ثبت من الفتنة, فعصم النبي عنها, وثبت المؤمنين على التوحيد في

1 . الألويسي , روح المعاني ، ج١٥ ، ص١٢٨ .

2 . النسفي , تفسير النسفي ، ج٢ ، ص٢٣٠ .

3 . الزمخشري , الكشاف ، ج٢ ، ص٥٢٠ .

الدنيا , وحسن الجواب في القبر . وهذه كلها وسائل يمنحها الله تعالى عباده ليحققوا النتيجة المرجوة في كل آية , وقد اختصّ الفعل (ثَبَّتَ) بهذه المعاني . فتناسب الفعل (ثَبَّتَ) مع موقف الدعاء , فالداعي ربّه يتضرّع له ويلتمس الإجابة , خصوصا عندما يكون الدعاء في أثناء أوقات عصيبة كالمعارك , فكأنّ الداعي يتضرّع لربّه باللفظ المشدّد الدال على شدّة الموقف , ليلتمس من الله تعالى أكثر قدرٍ من التثبيت , فثباتهم وقت المعركة يعني استمرار الدعوة , واستمرار الهداية , واستمرار ازدياد عدد المسلمين , وبالتالي تحقيقهم للهدف الذي خلّفوا من أجله وهو عبادة الله تعالى .

(أثبت)

ورد الفعل (أثبت) في القرآن الكريم مرتين , فورد في قوله تعالى: ﴿وَإِذْ يَمْكُرُ بِكَ الَّذِينَ كَفَرُوا لِيُثْبِتُوكَ أَوْ يَقْتُلُوكَ أَوْ يُخْرِجُوكَ وَيَمْكُرُونَ وَيَمْكُرُ اللَّهُ وَاللَّهُ خَيْرٌ الْمَاكِرِينَ﴾. [الأنفال/ ٣٠] والمقصود من الإثبات هنا التقييد , أي: " ليثبتوك بالوثاق , ويعضده قراءة ابن عباس: ليقيدوك"^(١) , "وقيل ليسجنوك , وقيل ليحبسوك , وقيل ليثبتوك في بيت , فحذف المحل لوضوح معناه"^(٢). فقد سعى الكفار إلى النيل من سيدنا محمد صلى الله عليه وسلم , فأشار أبو جهل أن يجتمع عليه أكثر من شاب فيضربوه ضربة رجل واحد ليضيع دمه بين القبائل , " فتفرقوا على رأي أبي جهل مجتمعين على قتله . فأخبر جبريل عليه السلام رسول الله صلى الله عليه وسلم وأمره أن لا يبيت في مضجعه , وأذن الله له في الهجرة , فأمر علياً رضي

1 . الألويسي , روح المعاني , ج ٩ , ص ١٩٧ .

2 . فخر الدين الرازي , التفسير الكبير , ج ١٥ , ص ١٢٥ .

الله عنه فنام في مضجعه ... فلما أصبحوا ثاروا إلى مضجعه ، فأبصروا علياً فبهتوا وخيب الله عز وجل سعيهم"^(١).

لقد تناسب الفعل (أثبت) مع السياق القرآني ، ذلك أن النتيجة التي أرادها الكفار هي حدوث التقييد للنبي عليه الصلاة والسلام ، أي إثباته ، فحدوث الإثبات يعني حدوث التقييد أو الحبس . وهذه هي الغاية والنتيجة المرادة ، فتحقيقه يعني تحقيق منال الكفار . أما الفعل (تثبت) — كما مرّ سابقاً — فقد كان وسيلةً لتحقيق نتيجةٍ ما .

وورد في قوله تعالى: ﴿يَمْحُوا اللَّهُ مَا يَشَاءُ وَيُثَبِّتُ وَعِنْدَهُ أُمُّ الْكِتَابِ﴾. [الرعد/٣٩] أي أنه تعالى "يمحو ما شاء من الشرائع والفرائض فينسخه ويبدله، ويثبت ما يشاء من ذلك فلا ينسخه ولا يبدله، وقال ابن عباس : يمحو الله ما يشاء ويثبت إلا الرزق والأجل والسعادة والشقاوة"^(٢). وفي هذه الآية فإن تحقق الإثبات لما يريده الله تعالى يعني أن الأمر يُقدَّرُ بمجرد أن يثبتَه الله عزَّ وجلَّ . فالإثبات هنا ليس وسيلةً لتحقيق نتيجةٍ ما، وإنما هو النتيجة ذاتها ، فيقدِّره تعالى ويشاء حلوله في الوقت الذي يريد . قال ابن عطية: " إذا ردَّ الأمر للقضاء والقدر فقد محا الله ما محا وثبت ما ثبت . وجاءت العبارة مستقلة بمجيء الحوادث ، وهذه الأمور فيما يستأنف من الزمان ، فينتظر البشر ما يمحو أو ما يثبت ، وبحسب ذلك خوفهم ورجاؤهم ودعاؤهم"^(٣).

يُلاحظُ أنَّ الفعل (أثبت) في الآيتين السابقتين دلَّ على تحقق نتيجةٍ ما بمجرد تحقق الإثبات. فتوثيق الرسول صلى الله عليه وسلم — الذي أراده الكفار — كائنٌ بتحقيق إثبات النبي. ومشية الله سبحانه وتعالى لأي أمرٍ بحدوثه أو عدم حدوثه كائنةً بإثباته تعالى لما يشاء .

1 . الزمخشري ، الكشاف ، ج ٢ ، ص ٢٠٥ .

2 . الخازن ، لباب التأويل في معاني التنزيل ، ج ٤ ، ص ٢٧ .

3 . ابن عطية ، المحرر الوجيز، ج ٣ ، ص ٣١٧ .

(عَظَّمَ ، وَأَعْظَمَ)

" العين والطاء والميم أصلٌ واحدٌ صحيحٌ يدلُّ على كِبَرٍ وَقُوَّةٍ. فالعِظْمُ مصدرُ الشَّيْءِ العظيم. نقول: عَظُمَ يَعْظُمُ عِظْمًا، وعَظَّمْتُهُ أَنَا. فإذا عَظُمَ في عينيك قلت: أعْظَمْتُهُ واستَعْظَمْتُهُ"^(١)، و"عَظَّمَ الأَمْرَ كَبَّرَهُ. وَأَعْظَمَهُ واستَعْظَمَهُ رآه عَظِيمًا... وَأَعْظَمَ الأَمْرَ وَعَظَّمَهُ: فَخَّمَهُ"^(٢).

ورد الفعل (عَظَّمَ) مرتين في القرآن الكريم، وورد الفعل (أَعْظَمَ) مرّةً وحيدة. وقد أشار الفعلان إلى العِظْمِ الذي هو مصدر الشيء العظيم. فجاء الفعل (عَظَّمَ) للدلالة على تعظيم شعائر الله، وجاء الفعل (أَعْظَمَ) للدلالة على إدخال الله تعالى المؤمنين الجنة. وبيان ذلك على النحو الآتي :

(عَظَّمَ) :

ورد الفعل (عَظَّمَ) مرتين في القرآن الكريم ، فورد في قوله تعالى: ﴿ذَلِكَ وَمَنْ يُعِظَّمْ حُرْمَاتِ اللَّهِ فَهُوَ خَيْرٌ لَهُ﴾. [الحج/٣٠] و"الظاهر من الآية عموم كل حرمة في الحج وغيره كما يفيد اللفظ"^(٣). وفي قوله تعالى: ﴿ذَلِكَ وَمَنْ يُعِظَّمْ شَعَائِرَ اللَّهِ فَإِنَّهَا مِنْ تَقْوَى الْقُلُوبِ﴾. [الحج/٣٢] ويُحْمَلُ هذا التعظيم أيضا على كل شعائر الله ، قال القرطبي : " الشعائر جمع شعيرة ، وهو كل شيء لله تعالى فيه أمرٌ أشعرَ به وأعلمَ ... لا سيما ما يتعلّق بالمناسك"^(٤) .

-
- 1 . ابن فارس ، مقاييس اللغة ، مادة (عظم) ، ج ٤ ، ص ٣٥٥ .
 - 2 . ابن منظور ، لسان العرب ، مادة (عظم) ج ١٢ ، ص ٤١٠ .
 - 3 . الشوكاني ، فتح القدير ، ج ٣ ، ص ٤٥١ .
 - 4 . القرطبي ، الجامع لأحكام القرآن ، ج ١٢ ، ص ٥٦ .

(أعظم) :

ورد الفعل (أعظم) في قوله تعالى: ﴿وَمَنْ يَتَّقِ اللَّهَ يُكَفِّرْ عَنْهُ سَيِّئَاتِهِ وَيُعْظِمْ لَهُ أَجْرًا﴾. [الطلاق/٥] أي "يعطيه من الأجر في الآخرة أجرا عظيما وهو الجنة"^(١), "فيجزل له الثواب على عمله ذلك وتقواه , ومن إعظامه له الأجر عليه أن يدخله جنته فيخلده فيها " ^(٢) .

بعد تتبع السابقة يُلاحظ أن الفعل (عظم) دلّ على تعظيم حرّمات الله تعالى وشعائره , فجاء الفعل المشدّد دالا على التكثر , فحرّمات الله كثيرة, وكذلك شعائره, وهذا الأمر يتطلب تكرارا ومواظبة من العبد ليحقق التعظيم لأمر الله تعالى. "فالتضعيف في الفعل بصيغة المضارعة يفيد التكثر والاستمرار, فالقلوب النقية مستمرة على تعظيم شعائر الله والعمل بها ومراعاتها " ^(٣) .

وتناسب الفعل (أعظم) مع المعنى أيضا , فقد ورد الفعل مزيدا بالهمزة مخففا . وجاء الفعول به (أجرا) مفردا. وكان المعنى المراد من الفعل هو مضاعفة الأجر لمن يتق الله بإدخاله الجنة ليخلد فيها. أما الدلالة على التكرار فقد أداها الفعل (يكفر) عندما جاء مشدّدا, فكلما صدر من العبد فعلٌ دالٌّ على تقوى الله تعالى كفرَ الله به سيئاته, لذلك جاء المفعول به للفعل (يكفر) على صيغة الجمع , فقال : ﴿يُكَفِّرْ عَنْهُ سَيِّئَاتِهِ﴾. ثم يضاعفُ الله تعالى له الأجر يوم القيامة بأن يدخله الجنة فيخلده فيها , فتناسب الفعل المخفّف (يُعظم) مع إدخال المؤمنين الجنة بسلام وهدوء وطمأنينة , قال تعالى: ﴿ادْخُلُوهَا بِسَلَامٍ آمِنِينَ﴾. [الحج/٤٦]. وقال تعالى: ﴿ادْخُلُوهَا بِسَلَامٍ ذَلِكَ يَوْمُ الْخُلُودِ﴾. [ق/٣٤]

1 . الشوكاني , فتح القدير , ج ٥ , ص ٢٤٢ .

2 . الطبري , جامع البيان عن تأويل آي القرآن , ج ٢٨ , ص ١٤٤ .

3 . أحلام ماهر , صيغة فعل في القرآن الكريم , ص ١٠٤ .

(عمى , وأعمى)

"العين والميم والحرف المعتل أصل واحد يدل على ستر وتغطية" (١). و"العمى : ذهابُ البَصَرِ كُلِّهِ ... عَمِيَ يَعْمَى عَمَى فَهُوَ أَعْمَى ... وَرَجُلٌ أَعْمَى وَامْرَأَةٌ عَمِيَاءٌ ، وَلَا يَقَعُ هَذَا النِّعْتُ عَلَى الْعَيْنِ الْوَاحِدَةِ لِأَنَّ الْمَعْنَى يَقَعُ عَلَيْهِمَا جَمِيعًا، يُقَالُ: عَمَيْتُ عَيْنَاهُ ، وَامْرَأَتَانِ عَمِيَاوَانِ ، وَنِسَاءٌ عَمِيَاوَاتٌ ، وَقَوْمٌ عُمِيٌّ... وَقَوْلُهُمْ: مَا أَعْمَاهُ إِنَّمَا يُرَادُ بِهِ مَا أَعْمَى قَلْبَهُ، لِأَنَّ ذَلِكَ يَنْسَبُ إِلَيْهِ الْكَثِيرُ الضَّلَالِ ، وَلَا يُقَالُ فِي عَمَى الْعَيُونِ مَا أَعْمَاهُ لِأَنَّ مَا لَا يَتَزَيَّدُ لَا يُتَعَجَّبُ مِنْهُ" (٢).

ورد كل من الفعلين (عمى, وأعمى) مرةً وحيدة في القرآن الكريم , فورد الفعل (عمى) في قوله تعالى حكاية عن سيدنا نوح: ﴿قَالَ يَا قَوْمِ أَرَأَيْتُمْ إِن كُنتُمْ عَلَىٰ بَيْنَةٍ مِّن رَّبِّي وَأَنِّي رَحْمَةٌ مِّنْ عِنْدِهِ فَعَمَّيْتُ عَلَيْكُمُ نَارًا مِّن لَّهَبٍ فَسَوَّيْتُ وَلِيَّكُمْ آلَ يَامُوتَ وَبَارَكْتُ عَلَيْكُمْ أَلَيْسَ لِي بِعِزَّةٍ عِندَ رَبِّي تَذَكَّرُ فِيهَا مَن يَشَاءُ﴾ [هود/٢٨] "والمراد بتلك الرحمة إما النبوة وإما المعجزة الدالة على النبوة. فعميت عليكم أي صارت مظنةً مشتبهةً ملتبسةً في عقولكم" (٣). قال أبو حيان: "وبذلك يحصل الذم لهم من أنه أتى بالمعجزة الجليلة الواضحة ، وأنها على وضوحها واستتارها خفيت عليهم ، وذلك بأنه تعالى سلبهم علمها ومنعهم معرفتها" (٤).

وورد الفعل (أعمى) في قوله تعالى: ﴿أُولَٰئِكَ الَّذِينَ لَعَنَهُمُ اللَّهُ فَأَصَمَّهُمْ وَأَعَمَّى أَبْصَارَهُمْ، أَفَلَا يَتَذَكَّرُونَ الْقُرْآنَ أَمْ عَلَىٰ قُلُوبٍ أَقْفَالُهَا﴾. [محمد/٢٤، ٢٣] أي أن الله تعالى "أصمهم عن استماع الحق , وأعمى أبصارهم عن مشاهدة ما يستدلون به على التوحيد والبعث وحقية سائر ما

1 . ابن فارس , مقاييس اللغة ، مادة (عمى) ، ج ٤ ، ص ١٣٣ .

2 . ابن منظور , لسان العرب ، مادة (عمى) ، ج ١٥ ، ص ٩٥ – ٩٧ .

3 . فخر الدين الرازي , التفسير الكبير ، ج ١٧ ص ١٧١ .

4 . أبو حيان الأندلسي , البحر المحيط ، ج ٥ ، ص ٢١٦ .

دعاهم إليه رسول الله صلى الله عليه وسلم^(١). فما أصيبوا به من صمم وعمى " استعارة لعدم سمعهم , فكأنهم عمي وصم^(٢) .

بعد تتبع الآيات السابقة , يُلاحظ أن الفعل (عمى) جاء للدلالة على التعمية, و"التعمية: أن تُعمى على الإنسان شيئاً فتلبسه عليه تلبساً"^(٣), وما جاء في الآية الكريمة " هو من باب القلب, لأن البينة أو الرحمة لا تعمى وإنما يُعمى عنها"^(٤), والتعمية عنها تكون بسبب تكذيب القوم لها أصلاً, فالقوم قد اختاروا التكذيب وأصروا عليه , لذلك قال تعالى:(أنلزمكموها). أي : "أنلزمكم قبولها ونضطركم إلى معرفتها إذا كرهتم .

أما الفعل (أعمى) فقد ورد في سياق تفرغ للمنافقين , فجاء إعماء أبصار المنافقين بعد لعنتهم و إصمامهم . فتناسب الفعل (أعمى) في وزنه مع الفعل الذي سبقه وهو (أصم) . ثم أخبر الله تعالى في الآية التي بعدها أن قلوب المنافقين كالأفقال مغلقة عن الطاعة . ففي قوله تعالى : (أَفَلَا يَتَذَكَّرُونَ الْقُرْآنَ أَمْ عَلَى قُلُوبٍ أَقْفَالُهَا), أي : "بل على قلوب أقفالها"^(٥), أي محققة لقوله تعالى:(فَأَصَمَّهُمْ وَأَعَمَّى أَبْصَارَهُمْ) . فأشعر الفعل (أعمى) بإعماء الأبصار, فعطل الله تعالى أسماعهم وأبصارهم لأن قلوبهم قد أقفلت عن الطاعة , "أي :جعلهم بمنزلة الصمّ ... وبمنزلة العمى"^(٦) .

-
- 1 . الشوكاني , فتح القدير , ج ٥ ص ٣٨ .
 - 2 . ابن عطية , المحرر الوجيز في تفسير الكتاب العزيز , ج ٥ ص ١١٨ .
 - 3 . ابن منظور , لسان العرب , مادة (عمي) , ج ١٥ , ص ١٠٠ .
 - 4 . الشوكاني , فتح القدير , ج ٢ ص ٤٩٤ .
 - 5 . الخازن , لباب التأويل في معاني التنزيل , ج ٦ , ص ١٨٢ .
 - 6 . السمعاني , تفسير القرآن , تحقيق ياسر بن إبراهيم , ط ١ , ١٩٩٧م , دار الوطن , السعودية . ج ٥ , ص ١٨١ .

(غَشَى , وَأَعَشَى)

" الغين والشين والحرف المعتل أصل صحيح يدلّ على تغطية شيء بشيء " (١).
 و"الغشاء: الغطاء. غَشِيَتِ الشَّيْءَ تَغْشِيَةً إِذَا غَطَّيْتَهُ... والغشاوة: ما غَشِيَ الْقَلْبَ مِنَ الطَّبَعِ. وقال بعضهم: الغشاوة جِلْدَةٌ غَشِيَتِ الْقَلْبَ فَإِذَا انْخَلَعَ مِنْهَا الْقَلْبُ مَاتَ صَاحِبُهُ... تقول: غَشِيَتِ الشَّيْءَ تَغْشِيَةً إِذَا غَطَّيْتَهُ، وقد غَشَى اللَّهُ عَلَى بَصَرِهِ وَأَعَشَى... وَغَشِيَهُ الْأَمْرُ وَتَغَشَّاهُ وَأَغْشَيْتَهُ إِيَّاهُ وَغَشَّيْتَهُ" (٢). "وجعل على بصره غشوةً بفتح الغين وضمها وكسرهما وغشاوةً بالكسر أي غطاء... والغائبيّة القيامة لأنها تَغْشَى بأفراعها" (٣).

ورد الفعل (غَشَى) ثلاث مرّات في القرآن الكريم، وورد الفعل (أَعَشَى) أربع مرّات، وقد أشار الفعلان إلى معنى التغطية بشكل عام، إلّا أنّ التشديد قد جاء في مواقف خاصة للدلالة على التمكن والمبالغة، وتوضيح ذلك على النحو الآتي :

(غَشَى) :

ورد الفعل (غَشَى) ثلاث مرّات في القرآن الكريم ، فدلّ على التغطية بمعنى التمكن، وكان ذلك من خلال دلالاته على النعاس ، ودلالاته على العذاب . أمّا دلالاته على النعاس فقولته تعالى: ﴿إِذْ يُغَشِّكُمُ النُّعَاسَ أَمَنَةً مِّنْهُ﴾ [الأنفال/١١] ومعنى الآية أنّ الله تعالى "أنزل الأمن على المؤمنين وأزال عنهم الخوف الذي كان بهم حتى نعسوا وغلّبهم النوم" (٤). فهذا النعاس الذي أنزله الله تعالى على المؤمنين كالنعاس الذي أنزله عليهم في غزوة أحد ، قال ابن كثير: "أما

1 . ابن فارس ، مقاييس اللغة ، مادة (عشي) ، ج ٤ ، ص ٤٢٥ .

2 . ابن منظور ، لسان العرب ، مادة (غشا) ، ج ١٥ ، ص ١٢٦ .

3 . الرازي ، مختار الصحاح ، تحقيق محمود خاطر ، ط ٢ ، ١٩٩٥ ، مكتبة لبنان ناشرون ، بيروت . مادة (غشو) ، ص ١٩٩ .

4 . تفسير النسفي ، ج ١ ، ص ١٨٥ .

النحاس فقد أصابهم يوم أحد وأمر ذلك مشهور جدا . وأما الآية الشريفة إنما هي في سياق قصة بدر , وهي دالة على وقوع ذلك أيضا , وكأن ذلك كائنٌ للمؤمنين عند شدة اليأس لتكون قلوبهم آمنة مطمئنة بنصر الله" (١) . كما تناسب إيراد الفعل (يغشيكم) مشدداً مع الأفعال المشددة في الآية , فتناسبت الأفعال المشددة مع معنى الآية الذي يشير إلى شدة عناية الله بالمؤمنين في ذلك الموقف الصعب , فجاءت الأفعال : يغشي , وينزل , ويطهر , ويثبت , مشددة لتدل على التكثير والمبالغة .

وأما دلالاته على العذاب فقوله تعالى: ﴿وَتَمُودَ فَمَا أَبَقَى , وَقَوْمَ نُوحٍ مِنْ قَبْلُ إِنَّهُمْ كَانُوا هُمْ أَظْلَمَ وَأَطْغَى , وَالْمُؤْتَفِكَةَ أَهْوَى , فَغَشَّاهَا مَا غَشَّى﴾ . [النجم/٥١-٥٥] أي : "ألبسها الله الحجارة المنضودة المسومة" (٢), وهذا يدل على عظم العذاب الذي حلّ بهؤلاء الأقوام الكفرة, فجاء الفعل مشدداً ومكرراً "تهويلاً وتعظيماً لما صبّ عليها من العذاب , وأمطر عليها من الصخر المنضود" (٣) . وهذا الأسلوب "فيه من التهويل والتفضيع مالا غاية وراءه" (٤) . قال الشوكاني : " هذه العبارة تهويلٌ للأمر الذي غشاها به وتعظيمٌ له " (٥) .

(أغشى) :

ورد الفعل (أغشى) أربع مرات في القرآن الكريم, وقد دلّ على التغطية بمعنى تعاقب الليل والنهار, وبمعنى إضلال الكفار, وبمعنى كآبتهم يوم القيامة. ففي قوله تعالى : ﴿يُغْشِي اللَّيْلَ النَّهَارَ يَطْلُبُهُ حَثِيثًا﴾ . [الأعراف/٥٤] وقوله تعالى: ﴿يُغْشِي اللَّيْلَ النَّهَارَ﴾ . [الرعد/٣] دلّ

1 . ابن كثير , تفسير القرآن العظيم ، ج ٢ ، ص ٢٩٢ .

2 . البغوي ، معالم التنزيل ، ج ٧ ص ٤٢٠ .

3 . تفسير النسفي ، ج ٤ ، ص ١٩٣ .

4 . أبو السعود ، إرشاد العقل السليم إلى مزايا القرآن الكريم ، ط ٢ ، ١٩٩٠م ، دار إحياء التراث العربي ، بيروت . ج ٨ ، ص ١٦٥ .

5 . الشوكاني ، فتح القدير ، ج ٥ ، ص ١١٧ .

الفعل (أغشى) على تعاقب الليل والنهار , " فيذهب بالليل ويجيء بالنهار , ويذهب بالنهار ويجيء بالليل " (١) .

وفي قوله تعالى: ﴿فَأَغْشَيْنَاهُمْ فَهُمْ لَا يُبْصِرُونَ﴾. [يس/٩] دلّ الفعل (أغشى) على إضلال الكفار عن الهدى, "أي غطينا على أبصارهم , وذلك أيضا مجاز يراد به إضلالهم" (٢) .

وفي قوله تعالى: ﴿كَأَنَّمَا أُغْشِيَتْ وُجُوهُهُمْ قِطْعًا مِنَ اللَّيْلِ مُظْلِمًا أُولَئِكَ أَصْحَابُ النَّارِ هُمْ فِيهَا خَالِدُونَ﴾ . [يونس/٢٧] دلّ الفعل (أغشى) على كآبة أهل النار , أي : " تلوهم كآبة وكسوف ... كأنما من الحزن ألبست وجوههم قطعا من السواد " (٣) , " فكأنما ألبست ذلك لفرط سوادها وظلمتها" (٤) .

بعد تتبع الآيات السابقة, يُلاحظ أن الفعل (غشى) جاء للدلالة على تمكّن النعاس من المسلمين في أثناء القتال. وجاء للدلالة على تمكّن العذاب النازل على الأقوام الكافرة. فجاء التشديد للتعبير عن التغطية على وجه التمكين في مواقف معيّنة كان الأمر فيها شديدا. أمّا الفعل (أغشى) فدلّ على التغطية بمعنى أعم, فالتعاقب بين الليل والنهار متواصل, وإضلال الكفار عن طريق الهدى مستمر بسبب رفضهم وعنادهم إلى أن تقوم الساعة, وكآبة أهل النار يوصف بها كل من هو من أهل النار يوم القيامة.

-
- 1 . الفيروز آبادي ، تنوير المقباس من تفسير ابن عباس ، ج ١ ، ص ٢٠٥ .
 - 2 . الكلبي ، التسهيل لعلوم التنزيل ، ج ٣ ، ص ١٦١ .
 - 3 . الفيروز آبادي ، تنوير المقباس من تفسير ابن عباس ، ج ١ ، ص ١٧٣ .
 - 4 . الألوسي ، روح المعاني ، ج ١١ ، ص ١٠٥ .

(كَبَّرَ , وَأَكْبَرُ)

" الكاف والباء والراء أصل صحيح يدل على خلاف الصغر" (١) . "والكَبِيرُ في صفة الله تعالى العظيمُ الجليلُ، والمُتَكَبِّرُ الذي تَكَبَّرَ عن ظلم عباده... وكَبَّرَ الأمرَ جعله كبيراً، واستكَبَّرَهُ رآه كبيراً... وكَبَّرَ قال: الله أكبر. والتكبيرُ التعظيم" (٢). وقال الرازي: "أكْبَرَ الشيءَ استعظَّمَهُ ، والتكبيرُ التعظيم ، والتكَبُّرُ والاستكْبَارُ التعظُّمُ" (٣) .

ورد الفعل (كَبَّرَ) أربع مرات في القرآن الكريم ، وورد الفعل (أكبر) مرّةً وحيدة . فدلّ الفعل (كَبَّرَ) على تكبير الله تعالى ، ودلّ الفعل (أكبر) على استكبار ما هو دون الله ، وقد أفاد كلا الفعلين معناه من خلال الدلالات الآتية :

(كَبَّرَ) :

اختصّ التكبير بالله عزّ وجلّ ، فجاء بمعنى تعظيمه تعالى ، وقد ورد تكبير الله تعالى ضمن معنيين ، الأول معنى عقدي يُنزّه فيه الله تعالى ويُعظّمُ عمّن سواه ، فيتفرّدُ تعالى باستحقاق العبودية . وهذا التكبير ردا على كل مزاعم الكفار . والثاني بمعنى قيام المسلمين بتكبير الله تعالى في أثناء أداء الشعائر والعبادات ، وهو قولهم : الله أكبر . وبيان ذلك على النحو الآتي :

أ . تعظيم الله اعتقاداً بوحديته :

وورد ذلك في آياتٍ تحدّثت عن توحيد الله وتنزيهه ، فكان التكبير بمعنى تعظيم الله تعالى وتنزيهه اعتقاداً بوحديته ، فلا شريك له ، ولا ولد له ولا زوجة ، ولا يُنسب إليه إي شيء يتعارض مع ما أثبتته لنفسه من صفات . فجاء التعظيم بمعنى وصف الله تعالى بالعظمة

1 . ابن فارس ، مقاييس اللغة ، مادة (كبر) ، ج ٥ ، ص ١٧٤ .

2 . ابن منظور ، لسان العرب ، مادة (كبر) ، ج ٥ ، ص ١٢٥ - ١٢٧ .

3 . الرازي ، مختار الصحاح ، مادة (كبر) ، ص ٢٣٤ .

والكبرياء ، وتفردّه بذلك الوصف بعيدا عما يزعم الكفار والمنافقون من كفرٍ وشركٍ وغير ذلك . قال تعالى : ﴿ وَقُلِ الْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي لَمْ يَتَّخِذْ وَلَدًا وَلَمْ يَكُنْ لَهُ شَرِيكٌ فِي الْمُلْكِ وَلَمْ يَكُنْ لَهُ وَلِيٌّ مِنَ الذُّلِّ وَكَبَّرَهُ تَكْبِيرًا ﴾ . [الإسراء/١١١] والمعنى : " أي عظمه وأجلّه عما يقول الظالمون المعتدون علوا كبيرا " (١) ، و "يحتمل هذا التكبير أن يكون بالقلب وهو التعظيم ، أو باللسان وهو قوله أن يقول الله أكبر مع قوله الحمد لله " (٢) .

ويتضح معنى التكبير في هذه الآية أكثر عند الوقوف على أسباب نزولها ، فقد جاءت هذه الآية ردًا على من شكك بوحدانية الله وعظمته ، قال ابن كثير : " إن اليهود والنصارى قالوا اتخذ الله ولدا ، وقالت العرب لبيك لا شريك لك إلا شريكا هو لك تملكه وما ملك ، وقال الصابئون والمجوس لولا أولياء الله لذلّ ، فأنزل الله هذه الآية " (٣) . لذلك جاء التكبير في هذه الآية بأسلوب بليغ ، قال ابن عطية في قوله (كبره تكبيرا) : " أبلغ لفظة للعرب في معنى التعظيم والإجلال ، ثم أكدها بالمصدر تحقيقا لها وإبلاغا في معناها " (٤) .

وورد الفعل (كبر) في قوله تعالى : ﴿ قُمْ فَأَنْذِرْ ، وَرَبَّكَ فَكَبِّرْ ﴾ . [المدثر/٣] والخطاب موجّه للنبي صلى الله عليه وسلم . والمعنى أي : " فعظمّ عما يقوله عبدة الأوثان " (٥) ، فالتعظيم هنا متعلّق بوحدانية الله تعالى، وما يدّعيه عبدة الأوثان من كفرٍ وإشراك. قال الألوسي: " وخصص

-
- 1 . ابن كثير ، تفسير القرآن العظيم ، ج ٣ ، ص ٧٠ .
 - 2 . الكلبي ، التسهيل لعلوم التنزيل ، ج ٢ ، ص ١٨١ .
 - 3 . ابن كثير ، تفسير القرآن العظيم ، ج ٣ ، ص ٧١ .
 - 4 . ابن عطية ، المحرر الوجيز ، ج ٣ ، ص ٤٩٣ .
 - 5 . الفيروز آبادي ، تنوير المقباس من تفسير ابن عباس ، ج ١ ، ص ٤٩١ .

ربك بالتكبير ، وهو وصفه تعالى بالكبرياء والعظمة اعتقاداً وقولاً " (١) . وقال ابن عطية: "عظمه بالعبادة وبثّ شرعه" (٢) .

ب . تكبير الله في أثناء أداء الشعائر :

ورد التكبير ضمن هذا المعنى في آياتٍ تحدثت عن بعض العبادات ، فورد التكبير آخر شهر رمضان في قوله تعالى : ﴿ وَتُكْمِلُوا الْعِدَّةَ وَلِتُكَبِّرُوا اللَّهَ عَلَى مَا هَدَاكُمْ ﴾ . [البقرة/١٨٥] ومعنى لتكبروه أي لتعظموه ، والأمر في الآية الكريمة فيه " حضّ على التكبير في آخر رمضان " (٣) ، ومعنى التكبير في الآية : " لتعظموه على ما أرشدكم إلى ما رضي به من صوم رمضان . قال ابن عباس : هو تكبيرات ليلة الفطر . وهو مروى عن ابن عمر وعائشة رضي الله عنهما " (٤) . وقال السمرقندي : " قيل هو تكبير يوم الفطر ، وقيل هذا التكبير للإِهلال " (٥) .

وورد الفعل (كَبَّرَ) في قوله تعالى : ﴿ لَنْ يَبَالَ اللَّهُ لِحُومِهَا وَلَا دِمَائِهَا وَلَكِنْ يَبَالُهُ التَّقْوَى مِنْكُمْ كَذَلِكَ سَخَّرَهَا لَكُمْ لِتُكَبِّرُوا اللَّهَ عَلَى مَا هَدَاكُمْ ﴾ . [الحج/٣٧] والمقصود من التكبير : " قيل هو التكبير عند الإحلال أو الذبح " (٦) . وقال الشوكاني : " هو قول الناحر الله أكبر عند النحر " (٧) .

1 . الألويسي ، روح المعاني ، ج ٢٩ ص ١١٦ .

2 . ابن عطية ، المحرر الوجيز ، ج ٥ ص ٣٩٢ .

3 . الرجوع نفسه ، ج ١ ص ٢٥٥ .

4 . السمعاني ، تفسير القرآن ، ج ١ ص ١٨٥ .

5 . السمرقندي ، بحر العلوم ، تحقيق محمود مطرجي ، (د.ط.ب) ، دار الفكر ، بيروت . ج ١ ، ص ١٤٩ .

6 . أبو السعود ، إرشاد العقل السليم إلى مزايا القرآن الكريم ، ج ٦ ، ص ١٠٨ .

7 . الشوكاني ، فتح القدير ، ج ٣ ص ٤٥٥ .

(أكبر) :

اختص الفعل (أكبر) باستعظام ما هو دون الله تعالى ، فورد مرّة وحيدة في القرآن الكريم في قصة سيدنا يوسف عليه السلام عندما أدهش النسوة بجماله فأكبرنه ، أي : أعظمنَ جماله . قال تعالى : ﴿فَلَمَّا رَأَيْنَهُ أَكْبَرْنَهُ وَقَطَّعْنَ أَيْدِيَهُنَّ وَقُلْنَ حَاشَ لِلَّهِ مَا هَذَا بَشَرًا إِنْ هَذَا إِلَّا مَلَكٌ كَرِيمٌ﴾. [يوسف/٣١] قال أبو حيان: "معنى أكبرنه : أعظمنه ، ودهشن برؤية ذلك الجمال الفائق الرائع" (١) . وقال الفخر الرازي: "أكبرنه لأنهن رأين عليه نور النبوة وسيما الرسالة، وآثار الخضوع والاحتشام ، وشاهدن منها مهابة النبوة" (٢) . فالإكبار في الآية هو من باب الاندهاش والإعجاب وليس من باب التعظيم والتنزيه . فكأن اختلاف الأوزان ضمن معنى التعظيم قد مازَ تعظيم الله تعالى عن غيره. فتعظيم الله تعالى اعتقادٌ وفرضٌ وإقرارٌ بأنَّ الله ليس كمثلته شيء ، وإعظام النسوة ليوسف عليه السلام اندهاشٌ من شدّة جماله ونوره.

1 . أبو حيان الأندلسي ، البحر المحيط ، ج ٥ ، ص ٣٠٣ .

2 . فخر الدين الرازي ، التفسير الكبير ، ج ١٨ ، ص ١٠٢ .

(كَثُرَ , وَأَكْثَرَ)

" الكاف والثاء والراء أصل صحيح يدل على خلاف القلة " (١) . " فالكثرة نماء العدد .
يقال: كَثُرَ الشيءُ يَكْثُرُ كَثْرَةً فهو كَثِيرٌ" (٢) , وقال الرازي: "الكثرة ضد القلة, والكثرة بالكسر لغة رديئة, وقد كَثُرَ يَكْثُرُ بالضم كَثْرَةً فهو كَثِيرٌ, وقوم كثير وهم كثيرون و أَكْثَرَ الرجل كثر ماله و كَثَرُوهُمْ فَكَثَرُواْهم من باب نصر أي غلبوهم بالكثرة" (٣) .

ورد الفعل (كَثُرَ) في القرآن الكريم مرة وحيدة , وورد الفعل (أَكْثَرَ) مرتين . وقد أفادت الزيادة في هذا البناء معنى التعدية حيث, "كَثُرَ فعلٌ لازم لا يتعدى, وهمزة (أفعل) فيه للتعدية, فَكَثُرَ الشيءُ ازدادَ, وَأَكْثَرَ الشيءَ وكَثَّرَهُ بالتشديد جعله كثيرا... وَأَفْعَلَ وفَعَّلَ في هذا البناء بمعنى" (٤) .

ورد الفعل (كَثُرَ) للدلالة على التكاثر الذي هو بمعنى جعل الشيء كثيرا, وورد الفعل (أَكْثَرَ) للدلالة على الإكثار الذي هو بمعنى الإتيان بالشيء الكثير, وقد أشار المعجميون إلى هذه الدلالات فقالوا: "كَثُرَ الشيءَ جعله كثيراً . وَأَكْثَرَ أتى بكثير" (٥) . وبعد تتبع الآيات الكريمة يُلاحظ أن الفعل (كَثُرَ) انسجم مع السياق القرآني من حيث دلالاته على جعل الشيء كثيرا. وكذلك الفعل (أَكْثَرَ) انسجم مع السياقات التي ورد فيها من حيث دلالاته على الإتيان بالكثير. وبيان ذلك على النحو الآتي :

-
- 1 . ابن فارس , مقاييس اللغة ، مادة (كثر) ، ج ٥ ، ص ١٦٠ .
 - 2 . ابن منظور , لسان العرب , مادة (كثر) ، ج ٥ ، ص ١٣١ .
 - 3 . الرازي , مختار الصحاح ، مادة (كثر) ص ٢٣٥ .
 - 4 . توفيق أسعد , صيغة أفعل ودلالاتها في القرآن الكريم , ص ٢٣٥ .
 - 5 . ابن منظور , لسان العرب , مادة (كثر) ، ج ٥ ، ص ١٣٢ . وكذلك : الزبيدي , تاج العروس , مادة (كثر) ج ١٤ ، ص ١٨ .

(كَثْرَ) :

ورد الفعل (كثّر) مرّةً وحيدة في القرآن الكريم، فجاء للدلالة على جعل الشيء كثيراً، وقد ورد في قوله تعالى حكاية عن نبيه شعيب: ﴿وَأَذْكُرُوا إِذْ كُنْتُمْ قَلِيلًا فَكَثَرَكُمْ﴾. [الأعراف/٨٦] والتكثير هنا بمعنى جعل الشيء كثيراً، سواء أكان التكثير من خلال زيادة النسل أم المال أم القوة، قال الشوكاني: " فكثركم بالنسل ، وقيل كنتم فقراء فأغناكم" (١). وجاء في التفسير الكبير: "هذا الكلام يحتمل ثلاثة أوجه، كثر عددكم بعد القلة، وكثركم بالغني بعد الفقر، وكثركم بالقدرة بعد الضعف" (٢). فالتكثير في الآية الكريمة بمعنى جعل الشيء القليل كثيراً.

(أَكْثَرَ) :

ورد الفعل (أكثر) مرتين في القرآن الكريم ، فجاء للدلالة على الإتيان بالكثير، فورد في قوله تعالى حكاية عن قوم سيدنا نوح: ﴿قَالُوا يَا نُوحُ قَدْ جَادَلْتَنَا فَأَكْثَرْتَ جِدَالَنَا فَأْتِنَا بِمَا تَعِدُنَا إِنْ كُنْتَ مِنَ الصّٰدِقِينَ﴾. [هود/٣٢] والإكثار هنا بمعنى الإتيان بالحجج الكثيرة ، قال ابن كثير: "أي حاجبتنا فأكثرت من ذلك ونحن لا نتبعك" (٣) . وقال الزمخشري: "أردت جدالنا وشرعت فيه فأكثرته" (٤) . فبعد محاولات سيدنا نوح مع قومه " وصفوه بكثرة المجادلة فقالوا : يا نوح قد جادلتنا فأكثرت جدالنا ، وهذا يدل على أنه عليه السلام كان قد أكثر في الجدل معهم ، وذلك الجدل ما كان إلا في إثبات التوحيد والنبوة والمعاد ، وهذا يدل على أن الجدل في تقرير الدلائل

1 . الشوكاني ، فتح القدير ، ج ٢ ص ٢٢٤ .

2 . فخر الدين الرازي ، التفسير الكبير ، ج ١٤ ص ١٤٣ .

3 . ابن كثير ، تفسير القرآن العظيم ، ج ٢ ص ٤٤٤ .

4 . الزمخشري ، الكشاف ، ج ٢ ، ص ٣٧٠ .

وفي إزالة الشبهات حرفة الأنبياء ، وعلى أن التقليد والجهل والإصرار على الباطل حرفة الكفار " (١) .

وورد في قوله تعالى: ﴿وَفِرْعَوْنَ ذِي الْأَوْتَادِ الَّذِينَ طَغَوْا فِي الْبِلَادِ فَأَكْثَرُوا فِيهَا الْفَسَادَ، فَصَبَّ عَلَيْهِمْ رَبُّكَ سَوْطَ عَذَابٍ﴾. [الفجر/ ١٠-١٣] والإكثار هنا بمعنى الإتيان بالكثير ، قال البيضاوي: " فأكثرُوا فيها الفساد بالكفر والظلم" (٢). وقال الشوكاني: " فأكثرُوا فيها الفساد بالكفر ومعاصي الله والجور على عباده" (٣). وقال الألوسي: "فأكثرُوا فيها الفساد أي بالكفر وسائر المعاصي" (٤). فالإكثار هنا بمعنى الإتيان بالمعاصي الكثيرة.

-
- 1 . فخر الدين الرازي ، التفسير الكبير ، ج١٧ ، ص ١٧٤ .
 - 2 . البيضاوي ، تفسير البيضاوي ، ج ٥ ، ص ٤٨٨ .
 - 3 . الشوكاني ، فتح القدير ، ج ٥ ، ص ٤٣٦ .
 - 4 . الألوسي ، روح المعاني ، ج ٣٠ ، ص ١٢٤ .

(كَرِهَ , وَأَكْرَهَ)

"الكاف والراء والهاء أصل صحيح واحد يدل على خلاف الرضا والمحبة" (١). وقد
 "أجمع كثير من أهل اللغة أن الكَرِهَ والكَرِهَ والكَرِهَ لُغْتَانِ ، فبأيِّ لغة وقع فجائزٌ ، إلاَّ الفراء فإنه زعم أن
 الكُرِهَ ما أَكْرَهْتَ نَفْسَكَ عليه ، والكَرِهَ ما أَكْرَهَكَ غيرَكَ عليه " (٢) . " والكريهة الشدّة في
 الحرب، وكذلك الكرائه وهي نوازل الدهر " (٣) . وقد أشار المعجميون إلى دلالة كلٍّ من الفعلين
 (كَرِهَ , وَأَكْرَهَ) ، قال الرازي : " أَكْرَهُهُ على كذا حمّله عليه كرها ، وَكْرَهُتُ إليه الشيء
 تكريهاً ضدّ حبيته إليه " (٤) . وقال ابن منظور: "أَكْرَهُتُهُ:حَمَلْتُهُ على أمرٍ هو له كارَةٌ ... وَكَرِهَةٌ
 إليه الأمرُ تكريهاً: صَيَّرَهُ كَرِيهاً إليه، نَقِيضُ حَبَبِهِ إليه " (٥) .

ورد الفعل (كَرِهَ) مرّةً وحيدة في القرآن الكريم ، وورد الفعل (أكره) خمس مرات،

فجاء (كَرِهَ) بمعنى صَيَّرَ الأمرَ كَرِيهاً ، وجاء (أكره) بمعنى أجبر ، وذلك على النحو الآتي:

(كَرِهَ) :

ورد الفعل (كَرِهَ) مرةً وحيدة في القرآن الكريم ، قال تعالى: ﴿وَلَكِنَّ اللَّهَ حَبَبٌ إِلَيْكُمْ

الْإِيمَانَ وَزَيْنَهُ فِي قُلُوبِكُمْ وَكَرِهَ إِلَيْكُمْ الْكُفْرَ وَالْفُسُوقَ وَالْعِصْيَانَ﴾ . [الحجرات/٧] والتكريبه هنا

1 . ابن فارس ، مقاييس اللغة ، مادة (كره) ، ج ٥ ، ص ١٧٢ .

2 . ابن منظور ، لسان العرب ، مادة (كره) ، ج ١٣ ، ص ٥٣٤ .

3 . الفراهيدي ، كتاب العين، تحقيق مهدي المخزومي ، وإبراهيم السامرائي ، ط ١ ، ١٩٨٠م ، دار ومكتبة الهلال . ج ٣ ، ص ٣٧٦ .

4 . الرازي ، مختار الصحاح ، مادة (كره) ، ص ٢٣٧ .

5 . ابن منظور ، لسان العرب ، مادة (كره) ، ج ١٣ ، ص ٥٣٥ .

بمعنى جعل الشيء كريها، وهو نقيض حبب. قال الشوكاني: "أي جعل كل ما هو من جنس الفسوق ومن جنس العصيان مكروها عندكم"^(١). والخطاب في الآية موجّه إلى المؤمنين .

(أكره) :

ورد الفعل (أكره) خمس مرات في القرآن الكريم ، وكان " يحمل في دلالاته معنى القهر والإجبار ، فأكرهه على كذا: قسره عليه قسرا، أو جعله يفعله كارها"^(٢). وقد أشار السلف — كما مرّ سابقا — إلى هذا المعنى . فدلّ الفعل على معنى الإجبار من خلال الدلالات الآتية:

أ . إكراه الكفار على الإيمان :

ورد ذلك في قوله تعالى: ﴿أَفَأَنْتَ تُكْرِهُ النَّاسَ حَتَّىٰ يَكُونُوا مُؤْمِنِينَ﴾. [يونس/٩٩] والخطاب موجّه إلى سيدنا محمد صلى الله عليه وسلم، أي: "أفتريد أنت أن تكره الناس بإدخال الإيمان في قلوبهم وتضطرهم إلى ذلك ، والله عز وجل قد شاء غيره " ^(٣) .

ب . إكراه المؤمنين على الكفر :

ورد ذلك في قوله تعالى: ﴿إِنَّمَا يَفْتَرِي الْكَذِبَ الَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَأُولَٰئِكَ هُمُ الْكَافِرُونَ، مَنْ كَفَرَ بِاللَّهِ مِنْ بَعْدِ إِيمَانِهِ إِلَّا مَنْ أَكْرَهَ وَقَلْبُهُ مُطْمَئِنٌّ بِالْإِيمَانِ﴾. [النحل/١٠٥، ١٠٦] "والمعنى: إنما يفتري الكذب من كفر بالله من بعد إيمانه، واستثنى منهم المكره فلم يدخل تحت حكم الافتراء"^(٤). فالإكراه هنا بمعنى الإجبار، أي "من كفر بلسانه ووافق المشركين بلفظه مكرها لما ناله من ضرب وأذى، وقلبه يأبى ما يقول وهو مطمئن بالإيمان بالله ورسوله. وقد روى

1 . الشوكاني ، فتح القدير، ج ٥ ، ص ٦٠ .

2 . توفيق أسعد ، صيغة أفعال ودلالاتها في القرآن الكريم ، ص ٢٣٩ .

3 . ابن عطية ، المحرر الوجيز ، ج ٣ ، ص ١٤٥ .

4 . الزمخشري ، الكشاف ، ج ٢ ، ص ٥٩٤ .

العوفي عن ابن عباس أن هذه الآية نزلت في عمار بن ياسر، حين عذبه المشركون حتى يكفر
بمحمد صلى الله عليه وسلم، فوافقهم على ذلك مكرها، وجاء معتذرا إلى النبي عليه الصلاة
والسلام^(١).

ج . إكراه فرعون السحرة على تعلم السحر :

ورد ذلك في قوله تعالى حكاية عن سحرة فرعون عندما آمنوا بموسى عليه السلام: ﴿إِنَّا
أَمْنَا بِرَبِّنَا لِيَغْفِرَ لَنَا خَطَايَانَا وَمَا أَكْرَهْتَنَا عَلَيْهِ مِنَ السِّحْرِ﴾ [طه/٧٣] أي: "يغفر لنا الذي أكرهتنا
عليه من عمل السحر في معارضة موسى"^(٢). فقد " كان فرعون يجبر قوما على تعلم السحر ؛
لكيلا يذهب أصله ، وكان قد أكرههم في الابتداء على تعلمه"^(٣) .

د . إكراه الإمام على الزنا :

ورد ذلك مرتين في قوله تعالى: ﴿وَلَا تَكْرَهُوا فِتْيَانَكُمْ عَلَى الْبِغَاءِ إِنْ أَرَدْتُمْ تَحَصُّنًا
لِنَبْتِغُوا عَرَضَ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَمَنْ يُكْرِهْنُمْ فَإِنَّ اللَّهَ مِنْ بَعْدِ إِكْرَاهِهِمْ غَفُورٌ رَحِيمٌ﴾ [النور/٣٣]
والإكراه هنا بمعنى إجبار الإمام على الزنا بهدف كسب المال ، قال الشوكاني: "المراد بالفتيات
هنا الإمام وإن كان الفتى والفتاة قد يطلقان على الأحرار في مواضع أخر ، والبيغاء الزنا مصدر
بغت المرأة تبغى بغاء إذا زنت ، وهذا مختص بزنا النساء فلا يقال للرجل إذا زنا إنه بغى"^(٤).
وقد "نزلت هذه الآية في عبد الله ابن أبي وكانت له جوار يكرههن على الزنا ويأخذ منهن أجرا
معلوما"^(٥). فالإكراه في هذه الآية بمعنى الإجبار من خلال حمل الإمام على ما يكرهه.

1 . ابن كثير ، تفسير القرآن العظيم ، ج ٢ ، ص ٥٨٨ .

2 . الشوكاني ، فتح القدير ، ج ٣ ، ص ٣٧٦ .

3 . السمعاني ، تفسير القرآن ، ج ٣ ، ص ٣٤٣ .

4 . الشوكاني ، فتح القدير ، ج ٤ ، ص ٢٩ .

5 . الواحدي ، الوجيز في تفسير الكتاب العزيز ، ج ٢ ، ص ٧٦٤ .

(مَكَّنَ , وَأَمَكَّنَ)

" الميمُ والكافُ والنونُ كلمةٌ واحدةٌ. المَكَّنُ بيضُ الضبِّ... والمَكَّناتُ أوكارُ الطيرِ، ويُقالُ مَكَّناتٌ" (١). قال ابن منظور: "المَكَّنُ والمَكَّنُ: بيضُ الضبِّ والجَرادةُ ونحوهما... وإن بني فلانَ لذوو مَكِنَّةٍ من السلطانِ أي تَمَكَّن... والمكانةُ المَنْزلةُ عند الملك. والجمع مَكَّناتٌ... وتَمَكَّنَ من الشيءِ واستَمَكَّنَ ظَفِرَ، والاسم من كل ذلك المكانةُ. قال أبو منصور: ويقالُ أمَكَّنني الأمرُ، يُمَكِّنني، فهو مُمَكَّنٌ، ولا يقالُ أنا أمَكَّنُهُ بمعنى أسْتَطيعه؛ ويقالُ: لا يُمَكِّنُكَ الصعودُ إلى هذا الجبلِ، ولا يقالُ أنتُ تُمَكِّنُ الصعودَ إليه" (٢). وفي مختار الصحاح: "مَكَّنَهُ اللهُ من الشيءِ تَمَكِيناً وأمَكَّنَهُ منه بمعنى، واستَمَكَّنَ الرجلُ من الشيءِ وتَمَكَّنَ منه بمعنى، وفلانٌ لا يُمَكِّنُهُ النهوضُ أي لا يقدرُ عليه" (٣).

يُلاحظُ مما سبق أن الفعلَ من مادة (مكن) قد ورد لدى المعجميين دالا على دالتين: الأولى حسية مادية، والثانية معنوية^(٤). أمَّا الحسيةُ فما ارتبطت بالضبِّ والجرادِ والطيرِ. وأمَّا المعنويةُ فما ارتبطت بالمكانةِ والمنزلةِ والظَّفِرِ. وقد ورد الفعلان في القرآن الكريم ضمن الدلالة المعنوية.

ورد الفعل (مَكَّنَ) ثلاث عشرة مرَّةً في القرآن الكريم، بينما ورد الفعل (أَمَكَّنَ) مرَّةً واحدةً، وقد أسندَ الفعلان إلى الله تعالى، وانسجم كلُّ منهما مع السياقات القرآنية التي ورد فيها، فجاء الفعلُ مشدَّدًا للدلالة على تمكين الله تعالى مَنْ مَكَّنَهُ من خلال ملك، أو سلطان، أو بسطة في

1. ابن فارس، مقاييس اللغة، مادة (مكن)، ج ٥، ص ٣٤٣.

2. ابن منظور، لسان العرب، مادة (مكن)، ج ١٣، ص ٤١٢ - ٤١٤.

3. الرازي، مختار الصحاح، مادة (مكن)، ص ٢٦٣.

4. أحلام ماهر محمد حميد، صيغة فعل في القرآن الكريم، ص ٢٣٩.

الخلق، أو سيادة، أو غير ذلك. وجاء الفعل مخففاً للدلالة على الظفرَ بالنصر في أثناء القتال. وبيان ذلك على النحو الآتي :

(مَكَّنَ) :

ورد الفعل (مَكَّنَ) للدلالة التمكين بمعنى إعطاء الملك، أو السلطان، أو القوة، أو نحو ذلك، فذَكَرَ التمكين صفةً لمن مَكَّنَهُم الله تعالى، وهذا من باب نعم الله تعالى على خلقه ، فكان التمكين من خلال إعطاء الملك ، أو السيادة ، أو المال، أو البسطة في الخلق، أو الأمن، أو تسخير الأرض وتذليلها، أو غير ذلك مما يندرج تحت تمكين الله تعالى لعباده بإعطائهم صفات تجعلهم متمكّنين. وقد أدى الفعل (مَكَّنَ) هذه المعاني من خلال الدلالات الآتية :

أ. تمكين الأمم السابقة: وذلك من خلال البسطة في الخلق ، والسعة في الأموال ، فحكم هؤلاء الأقوام بسبب الصفات التي أنعم الله عليهم بها ، فقد جعلهم الله أقوياءً وأغنياء. يقول تعالى: ﴿أَلَمْ يَرَوْا كَمْ أَهْلَكْنَا مِنْ قَبْلِهِمْ مِنْ قَرْنٍ مَكَّنَّاهُمْ فِي الْأَرْضِ مَا لَمْ نُمَكِّنْ لَهُمْ﴾. [الأنعام/٦] "أي مكناهم تمكيناً لم نمكنه لكم" (١) ، فمكّنهم الله من خلال "البسطة في الأجسام والسعة في الأموال والاستظهار بأسباب الدنيا" (٢). وكذلك في قوله تعالى: ﴿وَلَقَدْ مَكَّنَّاكُمْ﴾ [الأحقاف/٢٦] ومعنى الآية : "أعطيناهم من القوة والغنى والبسط في الأموال والأجسام ما لم نعظكم" (٣) . قال الزمخشري: " (إن) نافية ، أي: فيما ما مكناكم فيه ، إلا أنّ (إن) أحسن في اللفظ ؛ لما فيه مجامعة (ما) مثلها من التكرير المستبشع. ومثله مجتنب، ألا ترى أن الأصل في (مهما) : (ماما) فلبشاعة التكرير قلبوا الألف هاء" (٤).

1 . الشوكاني ، فتح القدير ج ٢ ص ١٠٠ .

2 . فخر الدين الرازي ، التفسير الكبير ، ج ١٢ ، ص ١٣١ .

3 . ابن عطية ، المحرر الوجيز ، ج ٥ ، ص ١٠٣ .

4 . الزمخشري ، الكشاف ، ج ٤ ، ص ٣١٢ .

ب. تسخير الأرض لبني آدم : وذلك في تعالى : ﴿وَلَقَدْ مَكَّنَّاكُمْ فِي الْأَرْضِ وَجَعَلْنَا لَكُمْ

فِيهَا مَعَايِشَ﴾. [الأعراف/١٠] فالتمكن هنا بمعنى تسخير الله تعالى الأرض وما عليها للبشر , قال ابن كثير : " يقول تعالى ممثنا على عبیده فيما مكن لهم من أنه جعل الأرض قرارا , وجعل فيها رواسي وأنهارا , وجعل لهم منازل وبيوتا أباح لهم منافعها , وسخر لهم السحاب لإخراج أرزاقهم منها " (١) .

ج. تمكين يوسف عليه السلام في أرض مصر : وقد ورد ذلك مرتين , فورد في قوله

تعالى : ﴿وَكَذَلِكَ مَكَّنَّا لِيُوسُفَ فِي الْأَرْضِ وَلِنُعَلِّمَهُ مِنْ تَأْوِيلِ الْأَحَادِيثِ﴾. [يوسف/٢١] والتمكين هنا بمعنى السيادة, قال الفخر الرازي: "صار متمكناً من الأمر والنهي في أرض مصر" (٢) . وقال الزمخشري: " مكننا له في أرض مصر وجعلناه ملكاً يتصرف فيها بأمره ونهيه " (٣) . وورد في قوله تعالى: ﴿وَكَذَلِكَ مَكَّنَّا لِيُوسُفَ فِي الْأَرْضِ يَتَّبِعُونَ مِنْهَا حَيْثُ يَشَاءُ﴾. [يوسف/٥٦] "أي جعلنا له مكانا , وهو عبارة عن كمال قدرته ونفوذه أمره ونهيه, حتى صار الملك يصدر عن رأيه, وصار الناس يعملون على أمره ونهيه " (٤) .

د . تمكين ذي القرنين: وقد ورد ذلك مرتين, فورد في قوله تعالى : ﴿إِنَّا مَكَّنَّا لَهُ فِي

الْأَرْضِ وَأَتَيْنَاهُ مِنْ كُلِّ شَيْءٍ سَبَبًا﴾. [الكهف/٨٤] فاتى الله تعالى ذا القرنين ملكا عظيما وجبروتا, فساد الأرض وحكمها , قال ابن كثير: "أي أعطيناه ملكا عظيما ممكنا فيه من جميع ما يؤتى الملوك من التمكين , وآلات الحرب والحصارات , ولهذا ملك المشارق والمغارب من الأرض , ودانت له البلاد , وخضعت له ملوك العباد , وخدمته الأمم من العرب والعجم , ولهذا ذكر

1 . ابن كثير , تفسير القرآن العظيم , ج ٢ , ص ٢٠٣ .

2 . فخر الدين الرازي , التفسير الكبير , ج ١٨ , ص ٨٨ .

3 . الزمخشري , الكشاف , ج ٢ , ص ٤٢٨ .

4 . الشوكاني , فتح القدير , ج ٣ , ص ٣٥ .

بعضهم أنه إنما سُمِّيَ ذا القرنين لأنه بلغ قرني الشمس مشرقها ومغربها " (١) . وورد في قوله تعالى: ﴿قَالَ مَا مَكَّنِّي فِيهِ رَبِّي خَيْرٌ فَأَعِينُونِي بِقُوَّةٍ أَجْعَلْ بَيْنَكُمْ وَبَيْنَهُمْ رَدْمًا﴾ [الكهف/٩٥] أي : "ما بسطه الله لي من القدرة والملك" (٢) .

هـ . تمكين أهل الدين في الدنيا: والتمكين هنا يختص بإقامة دين الله تعالى في الدنيا, فسبب التمكين هو المواظبة على إقامة دين الله , والأمر بالمعروف والنهي عن المنكر . قال تعالى : ﴿الَّذِينَ إِنْ مَكَّنَّاهُمْ فِي الْأَرْضِ أَقَامُوا الصَّلَاةَ وَآتَوُا الزَّكَاةَ وَأَمَرُوا بِالْمَعْرُوفِ وَنَهَوْا عَنِ الْمُنْكَرِ﴾ [الحج/٤١] والآية تتحدث عن أهل الدين الحق خاصة , قال ابن عطية : " الآية آخذة عهدا على كل من مكَّنه الله , كلُّ على قدر ما مكَّن... والآية أمكن ما هي في الملوك" (٣) . وقال تعالى : ﴿وَعَدَ اللَّهُ الَّذِينَ آمَنُوا مِنْكُمْ وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ لَيَسْتَخْلِفَنَّهُمْ فِي الْأَرْضِ كَمَا اسْتَخْلَفَ الَّذِينَ مِنْ قَبْلِهِمْ وَلَيُمَكِّنَنَّ لَهُمْ دِينَهُمُ الَّذِي ارْتَضَى لَهُمْ﴾ [النور/٥٥] والتمكين هنا للذين آمنوا بالله وعملوا الصالحات , قال الشوكاني : "يجعلنهم فيها خلفاء يتصرفون فيها تصرف الملوك في مملوكاتهم... (وليمكنن لهم دينهم) معطوفة على ليستخلفنهم , داخلة تحت حكمه , كائنة من جملة الجواب , والمراد بالتمكين هنا التثبيت والتقرير , أي يجعله الله ثابتا مقررا , ويوسع لهم في البلاد , ويظهر دينهم على جميع الأديان , والمراد بالدين هنا الإسلام " (٤) .

و. تمكين بني إسرائيل في الأرض : وذلك في قوله تعالى: ﴿وَتُكِنُّ لَهُمْ فِي الْأَرْضِ وَنُرِي فِرْعَوْنَ وَهَامَانَ وَجُنُودَهُمَا مِنْهُمْ مَا كَانُوا يَحْذَرُونَ﴾ [القصص/٦] قال الشوكاني : "المراد بهؤلاء بنو إسرائيل... (ونجعلهم أئمة) أي قادة في الخير ودعاة إليه, وولاية على الناس وملوكا

1 . ابن كثير , تفسير القرآن العظيم , ج ٣ , ص ١٠٢ .

2 . ابن عطية , المحرر الوجيز , ج ٣ , ص ٥٤٢ . وكذلك : الشوكاني , فتح القدير , ج ٣ , ص ٣١٢ .

3 . المرجع نفسه , ج ٤ , ص ١٢٦ .

4 . الشوكاني , فتح القدير , ج ٤ , ص ٤٧ .

فيهم... (ونمكّن لهم في الأرض) أي نجعلهم مقتدرين عليها وعلى أهلها، مساطين على ذلك يتصرفون به كيف شاؤوا " (١) .

ز. تمكينُ أهلِ مَكَّةَ المَكَانَ الآمِنَ : وقد ورد في قوله تعالى: ﴿أَوَلَمْ نُمَكِّنْ لَهُمْ حَرَمًا آمِنًا يُجَبَىٰ إِلَيْهِ ثَمَرَاتُ كُلِّ شَيْءٍ رِزْقًا مِنْ لَدُنَّا﴾. [القصص/٥٧] ومعنى الآية: "أو لم نوطئ لهم بلدا حرمنا على الناس سفك الدماء فيه ، ومنعناهم من أن يتناولوا سكانه فيه بسوء ، وأمنا على أهله من أن يصيبهم بها غارة أو قتل أو سباء " (٢) . فالتمكين في هذه الآية هو من باب نعم الله تعالى على عبده ، فهو تمكين بمعنى الإعطاء ، قال الفخر الرازي: "أي أعطيناكم مسكناً لا خوف لكم فيه" (٣) ، "ذلك أن العرب كان يغير بعضها على بعض وأهل مكة آمنون في الحرم من القتل والسبي والغارة" (٤) . "ومن المعروف أنه يأمن فيه الطباء من الذئاب ، والحمام من الحدأة" (٥) .

(أَمَكَّنَ) :

ورد الفعل (أمكن) مرةً وحيدةً في القرآن الكريم ، وكان الإمكان دالاً على نصر الله تعالى للمؤمنين في أثناء غزوة بدر ، قال تعالى : ﴿وَإِنْ يُرِيدُوا خِيَانَتَكَ فَقَدْ خَانُوا اللَّهَ مِنْ قَبْلُ فَأَمْكَنَ مِنْهُمْ وَاللَّهُ عَلِيمٌ حَكِيمٌ﴾. [الأنفال/٧١] والمُخَاطَبُ سيدنا محمد صلى الله عليه وسلم ، "والمعنى : فأمكن المؤمنين منهم ، والمعنى أنهم خانوا الله بما أقدموا عليه من محاربة الرسول

-
- 1 . الرجوع نفسه ، ج ٤ ، ص ١٥٩ .
 - 2 . الطبري ، جامع البيان عن تأويل آي القرآن ، ج ٢٠ ، ص ٩٣ .
 - 3 . فخر الدين الرازي ، التفسير الكبير ، ج ٢٥ ، ص ٤ .
 - 4 . ابن الجوزي، زاد المسير في علم التفسير، ط ٣ ، ١٤٠٤هـ ، المكتب الإسلامي ، بيروت. ج ٦ ، ص ٢٣٣ .
 - 5 . السمعاني ، تفسير القرآن ، ج ٤ ، ص ١٤٩ .

يوم بدر، فأمكن الله منهم قتلاً وأسراً... فإن عادوا كان التمكين منهم ثابتاً حاصلًا^(١). "وهذا تهديد لهم إن عادوا إلى القتال"^(٢).

بعد تتبع الآيات التي ورد فيها الفعلان (مَكَّنَ , وأمكنَ) , يُلاحظ أنّ الفعل قد ورد على وزن (فعلّ) على الأغلب, بينما ورد الفعل على وزن (أفعل) في موضع وحيد. وقد تناسب الوزنان مع السياقات القرآنية التي وردا فيها حيث :

١. ورد التمكين في ثلاثة عشرَ موضعا , كان الحديث فيها عن تمكين الله تعالى لعبيده, إمّا بملك أو بسطان أو بمال أو بقوة أو بنحو ذلك , فكان التمكين وصفا لمن منّ الله عليهم به, وكان التمكين من باب نعم الله تعالى . فذكرُ التمكين قد لازم معاني تسخير الله نعمه لعبيده وإعطائها لهم , فورد الفعل معبرا عن العطاء الذي هو من عند الله . أمّا الإمكان فقد ورد في موضع وحيد, وكان بمعنى النصر والظفر في أثناء ظرفٍ محدّدٍ يمكنُ الله به طرفا على آخر, فأمكن الله المؤمنين على الكفار, أي نصرهم عليهم في غزوة بدر, فجاء الفعل على وزن (أفعل) في هذه الآية عندما اختلف المعنى عما كان عليه في الآيات التي ورد فيها الفعل (مَكَّنَ), فالتمكين عطاءً وتسخير وتذليل لمن مكّهم الله تعالى, والإمكان نصرٌ في أثناء القتال خاصةً .

٢. ارتبط الفعل (أمكن) بوجود سببٍ لحصول الإمكان , وهذا السبب هو خيانة الكفار للرسول صلى الله عليه وسلم من خلال قتالهم إيّاه. أمّا التمكين فلم يرتبط حصوله بسببٍ ما, وإنما هو عطاءً من عند الله تعالى. فورد الإمكان ردّا على قتال الكفار لسيدنا محمد وأصحابه, وكان معنى الآية أن الله تعالى سيمكنُ نبيّه والمؤمنين من الكفار إن عادوا إلى خيانتهم, أي سينصرهم عليهم, فكلما قاتل القوم المؤمنين أظهر الله المؤمنين عليهم بالنصر .

1 . فخر الدين الرازي , التفسير الكبير , ج ١٥ , ص ١٦٤ .

2 . الواحدي , الوجيز في تفسير الكتاب العزيز , ج ١ , ص ٤٤٩ .

(مهَل , وأمهل)

" الميم والهاء واللام أصلان صحيحان يدل أحدهما على تُؤدَّةٍ، والآخر جنسٌ من الذائبات" (١)
 . قال الخليل: "المَهْلُ السكينة والوقار، تقول مهلاً يا فلان أي رفقا وسكونا" (٢). وقال الزبيدي: "
 الْمُهْلَةُ بِالضَّمِّ: السَّكِينَةُ وَالتُّؤَدَةُ وَالرَّفْقُ... وَالمُهْلُ بِالضَّمِّ: اسْمٌ يَجْمَعُ مَعْدِنَاتِ الجواهرِ الأَرْضِيَّةِ
 كالفضَّةِ والحديدِ ونحوهما . وَالمُهْلُ: القَطْرَانُ الرَّفِيقُ الماهيُّ يشبهُ الزَّيْتَ، وهو يَضْرِبُ إلى
 الصُّفْرَةِ، دَسِمٌ، يُذَهَنُ به الإِبِلُ في الشِّتَاءِ... وَالمَهْلُ ، مُحْرَكَةً : النَّقْدُ فِي الخَيْرِ" (٣) . وفي
 اللسان: "المَهْلُ وَالمَهْلُ وَالمُهْلَةُ، كَلَّةٌ: السَّكِينَةُ وَالتُّؤَدَةُ وَالرَّفْقُ. وَأْمَهْلُهُ: أَنْظَرَهُ وَرَفَّقَ بِهِ وَلَمْ
 يعجل عليه. وَمَهَّله تَمْهِيلاً: أَجَلَهُ... يُقال: مَهَّلْتُهُ وَأْمَهَّلْتُهُ أَي سَكَنْتُهُ وَأَخْرَتُهُ" (٤).

ورد الفعل (مهَل) في القرآن الكريم مرتين ، وورد الفعل (أمهل) مرةً وحيدة . وقد
 دلَّ الفعلان على المعنى الأول الذي أشار إليه المعجميون ، فكان التمهيل والإمهال بمعنى الرفق
 والسكون وعدم التعجل . وذلك فيما يختصَّ بإمهال الكافرين في الدنيا .

ورد الفعل (مهَل) في قوله تعالى: ﴿وَدَرَنِي وَالْمُكَذِّبِينَ أُولِي النَّعْمَةِ وَمَهَلْهُمْ
 قَلِيلاً﴾ [المزمل/١١] وقد " نزلت في صناديد قريش المستهزئين" (٥) . أي: "أمهلهم إلى انقضاء
 آجالهم، وقيل إلى نزول عقوبة الدنيا بهم كيوم بدر، والأول أولى" (٦). ففي قوله تعالى (قليلًا)
 "وجهان أحدهما : المراد من القليل الحياة الدنيا. والثاني: المراد من القليل تلك المدة القليلة الباقية

- 1 . ابن فارس ، مقاييس اللغة ، مادة (مهل) ، ج ٥ ، ص ٢٨٢ .
- 2 . الخليل بن أحمد ، كتاب العين ، مادة (مهل) ، ج ٤ ، ص ٥٧ .
- 3 . الزبيدي ، تاج العروس ، مادة (مهل) ، ج ٣٠ ، ص ٤٣٢ .
- 4 . ابن منظور ، لسان العرب ، مادة (مهل) ، ج ١١ ، ص ٦٣٣ .
- 5 . البغوي ، تفسير البغوي ، ج ٤ ، ص ٤١٠ .
- 6 . الشوكاني ، فتح القدير ، ج ٥ ، ص ٣١٨ .

إلى يوم بدر، فإن الله أهلّكهم في ذلك اليوم" (١). فعن عائشة رضي الله عنها قالت: "لم يكن بين نزول هذه الآية ووقعة بدر إلا شيئاً يسيراً" (٢).

وورد الفعلان (مهّل , وأمهل) في قوله تعالى: ﴿فَمَهَّلَ الْكَافِرِينَ أَمَهُمْ رُوَيْدًا﴾. [الطارق/١٧] "قال ابن عباس: هذا وعيد من الله عزّ وجلّ لهم" (٣), والمعنى: "لا تستعجل عليهم بالعقوبة لهم, أو بالدعاء عليهم... و أمهلهم رويدا: أي إمهالا يسيرا قليلا, يعني إلى قتلهم يوم بدر, أو إلى الدار الآخرة, وجعله يسيرا لأنّ كلّ أتٍ قريبٌ" (٤).

لقد قال الله تعالى في الآية السابقة: (فمهّل الكافرين أمهلهم). ولم يقل: فمهّل الكافرين مهّلهم. أو أمهل الكافرين أمهلهم. فذكرَ الفعلان (مهّل , أمهل) دون تكرار لأحدهما. وقد وقف المفسرون على ذلك فقالوا: "كرّر وخالف بين اللفظين لزيادة التسكين والتصبير" (٥). وقالوا: "مهّل وأمهل لغتان جمعتا هاهنا" (٦). وقالوا: "تغيير البنية لزيادة التسكين عن النبي صلى الله عليه وسلم" (٧), وقالوا: "المخالفة بين اللفظين في البنية لزيادة تسكينه صلى الله تعالى عليه وسلم, وتصبيره عليه الصلاة والسلام, وإنما دلّت الزيادة من حيث الإشعار بالتغاير, كأن كلاماً مستقلاً بالأمر, بالتالي فهو أوكد من مجرد التكرار" (٨). وقالوا: "هذا تكرار وتقديره: مهل مهل مهل, لكنّه عدل في الثاني إلى أمهل لأنه من أصله وبمعناه كراهة التكرار, وعدل في الثالث إلى قوله (رويدا) لأنه بمعناه: أي إروادا ثم إروادا, ثم

1. فخر الدين الرازي, التفسير الكبير, ج ٣٠, ص ١٥٩.

2. السمعاني, تفسير القرآن, ج ٦, ص ٨١. وابن الجوزي, زاد المسير في علم التفسير, ج ٨, ص ٣٩٣.

3. تفسير البغوي, ج ٤, ص ٤٧٤.

4. الكلبي, التسهيل لعلوم التنزيل, ج ٤, ص ١٩٢.

5. تفسير النسفي, ج ٤, ص ٣٣١.

6. ابن الجوزي, زاد المسير, ج ٩, ص ٨٥.

7. تفسير البيضاوي, ج ٥, ص ٤٧٨.

8. الألويسي, روح المعاني, ج ٣٠, ص ١٠١.

صَغْر إروادا تصغير الترخيم فصار رويدا" (١). وقالوا: " كأنه سبحانه قال: مهل مهل مهل ثلاث مرات بثلاث عبارات, وهذه نهاية الإعجاز" (٢). وقالوا: "في (مهَل, وأمهل) وجهان: أحدهما: أنهما لغتان معناهما واحد. الثاني: معناهما مختلف, فمهَل الكفّ عنهم , وأمهل انتظار العذاب لهم " (٣). كما أشار المعجميون إلى ذلك فقالوا: " جاء باللغتين , أي أَنْظَرَهُمْ " (٤).

بعد تتبع الآيات التي ورد فيها الفعلان (مهَل , وأمهل) , يُلاحظُ أنهما وردا في سياقات الوعيد للدلالة على تمهيل الله تعالى للكفار , سواء أكان تمهيلهم إلى حلول العذاب بهم في الدنيا, أم إلى انقضاء آجالهم . فورد الفعلان في القرآن الكريم دالين على المعنى نفسه . ومما يؤيد ذلك أن فصحاء العرب — الذين كان منهم حفظة كتاب الله — استساغوا أن تكون الآية : (فأمهل الكافرين أمهلهم), فقد روي أنه لما كتبوا المصاحف في عهد عثمان شكوا في ثلاث آيات , فكتبوها في كتف شاة , وأرسلوها مع مولى عثمان إلى أبي بن كعب وزيد بن ثابت ... وكان فيها (فأمهل الكافرين) , فمحي أبي الألف وكتب (فمهَل الكافرين) , ونظر فيها زيد بن ثابت, ثم أرسلوها إلى عثمان وأثبتت في المصاحف (٥) . ولعلّ هذا دليل على استقامة المعنى باستخدام إيّ من الفعلين (مهَل , وأمهل) , إلا أن النصّ القرآني قد جاء بهما معا كما هو مثبت, فأعطى هذا الاختلاف بين الوزنين دلالات — أشار إليها المفسرون كما ذكر — لتعطي النصّ قيما دلالية كزيادة التسكين والتصبير , وزيادة التوكيد , والإشعار بأنّ كلام مستقل بالأمر , فهي — كما سبق — عبارة في نهاية الإعجاز .

- 1 . الكرمانى ، أسرار التكرار في القرآن ، تحقيق عبد القادر أحمد عطا ، ط ٢ ، ١٣٩٦هـ — دار الاعتصام، القاهرة. ص ٢١٧ .
- 2 . النيسابوري ، تفسير غرائب القرآن ورغائب الفرقان ، ج ٦ ، ص ٢١٧ .
- 3 . الماوردي ، النكت والعيون (تفسير الماوردي) ، ج ٦ ، ص ٢٥٠ .
- 4 . ابن منظور ، لسان العرب ، مادة (مهل) ، ج ١١ ، ص ٦٣٥ . وانظر : الزبيدي ، تاج العروس ، مادة (مهَل) ، ج ٣٠ ، ص ٤٣٢ .
- 5 . انظر: السيوطي، الدر المنثور، ج ٢ ، ص ٣١ . وكذلك : السمرقندي ، بحر العلوم، ج ٣ ، ص ٥٤٧ .

الفصل الثاني

(الأفعال التي جاءت ضمن دلالات الإيصال)

بَلَّغَ , وَأَبْلَغَ

بَيَّنَّ , وَأَبَانَ

دَلَّى , وَأَدْلَى

صَلَّى , وَأَصَلَى

عَجَّلَ , وَأَعْجَلَ

نَبَّأَ , وَأَنْبَأَ

نَزَّلَ , وَأَنْزَلَ

وَصَلَ , وَأَوْصَلَ

(بَلَّغَ , وَأَبْلَغَ)

" الباء واللام والغين أصل واحد وهو الوصول إلى الشيء , تقول بلغت المكان إذا وصلت إليه " (١) , و " بَلَّغَ الشَّيْءُ يَبْلُغُ بُلُوغًا وَبَلَاغًا: وَصَلَ وَأَنْتَهَى , وَأَبْلَغَهُ هُوَ إِبْلَاغًا وَبَلَّغَهُ تَبْلِيغًا , وَإِِبْلَاغُ الْإِیْصَالُ , وَكَذَلِكَ التَّبْلِيغُ . وَأَبْلَغْتَهُ وَبَلَّغْتَهُ بِمَعْنَى وَاحِدٍ " (٢) . "بَلَّغَ الْمَكَانَ وَصَلَ إِلَيْهِ وَكَذَا إِذَا شَارَفَ عَلَيْهِ... وَإِِبْلَاغُ وَالتَّبْلِيغُ الْإِیْصَالُ " (٣) .

ورد الفعل (بَلَّغَ) ستّ مرّات في القرآن الكريم ,ش وورد الفعل (أَبْلَغَ) خمس مرّات , فجاء الفعل (بَلَّغَ) بمعنى إيصال جملة أوامر الله ونواهيه التي أوحى بها إلى رسله , أي تبليغ الدين بما يشتمل عليه , لذلك جاء بصيغة المضارع ليدل على استمرارية التبليغ . أما الفعل (أَبْلَغَ) فقد افترن غالبا بالزمن الماضي , وجاء بعد تولٍ أو إعراض أو تكذيب بعد التبليغ , وغالبا ما يكون للدلالة على الإبلاغ بعذاب الله , وبيان ذلك على النحو الآتي :

(بَلَّغَ) :

ورد الفعل (بَلَّغَ) ستّ مرات في القرآن الكريم , وقد دلّ على تبليغ أوامر الله تعالى ونواهيه . فورد مرتين في قوله تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا الرَّسُولُ بَلِّغْ مَا أُنزِلَ إِلَيْكَ مِنْ رَبِّكَ﴾. [المائدة/٦٧] والمقصود هنا تبليغ كلّ ما أمر الله تعالى به نبيه محمد , أي " جميع ما أنزل إليك " (٤) , ويشمل ذلك " سبّ آلهتهم وعيب دينهم والقتال معهم والدعوة إلى الإسلام " (٥) .

1 . ابن فارس , مقاييس اللغة , مادة (بَلَّغَ) , ج ١ , ص ٣٠١ .

2 . ابن منظور , لسان العرب , مادة (بَلَّغَ) , ج ٨ , ص ٤١٩ .

3 . الرازي , مختار الصحاح , مادة (بَلَّغَ) , ص ٢٦ .

4 . الزمخشري , الكشاف , ج ١ , ص ٦٩١ .

5 . الفيروز آبادي , تنوير المقباس من تفسير ابن عباس , ج ١ , ص ٩٨ .

وورد في قوله تعالى حكاية عن نبيه نوح: ﴿قَالَ يَا قَوْمِ لَيْسَ بِي ضَلَالَةٌ وَلَكِنِّي رَسُولٌ مِنْ رَبِّ الْعَالَمِينَ، أُبَلِّغُكُمْ رِسَالَاتِ رَبِّي وَأُنصَحُ لَكُمْ وَأَعْلَمُ مِنَ اللَّهِ مَا لَا تَعْلَمُونَ﴾. [الأعراف/٦١، ٦٢] والمقصود تبليغ أوامر الله تعالى ونواهيه ، قال الواحدي: "أي أدعوكم إلى ما دعاني الله إليه" (١) . وقال السعدي : "أي : وظيفتي تبليغكم ، ببيان توحيده ، وأوامره، ونواهيه" (٢) . و "معنى أنصح هنا أخلص النية لكم عن شوائب الفساد " (٣) .

وكذلك في قوله تعالى حكاية عن نبيه هود : ﴿قَالَ يَا قَوْمِ لَيْسَ بِي سَفَاهَةٌ وَلَكِنِّي رَسُولٌ مِنْ رَبِّ الْعَالَمِينَ ، أُبَلِّغُكُمْ رِسَالَاتِ رَبِّي وَأَنَا لَكُمْ نَاصِحٌ أَمِينٌ﴾ . [الأعراف/٦٧، ٦٨] وهو "استئناف سيق لتقرير رسالته وتفصيل أحوالها... كالذي مرّ في قصة نوح عليه السلام" (٤) . فالمقصود تبليغ " الأمر والنهي" (٥) ، وبذلك يكون التبليغ وصفاً للأنبياء عليهم السلام ، فهو واجبه الأساس ، قال ابن كثير تفسيراً لهذه الآية: "وهذه الصفات التي يتصف بها الرسل: البلاغ والنصح والأمانة" (٦) .

وفي قوله تعالى: ﴿الَّذِينَ يُبَلِّغُونَ رِسَالَاتِ اللَّهِ وَيَخْشَوْنَهُ﴾ . [الأحزاب/٣٩] فإن المقصود أيضاً هو تبليغ الأوامر والنواهي، "يعني فرائض الله وسننه وأوامره ونواهيه إلى من أرسلوا إليهم" (٧) . وكذلك في قوله تعالى حكاية عن نبيه هود: ﴿قَالُوا أَجِئْتَنَا لِنَأْفِكَنَا عَنِ آلِهَتِنَا فَأْتِنَا بِمَا تَعَدُّنَا إِنْ كُنْتُمْ مِنَ الصَّادِقِينَ ، قَالَ إِنْ مَأْتِ الْعِلْمُ عِنْدَ اللَّهِ وَأُبَلِّغُكُمْ مَا أُرْسِلْتُ بِهِ﴾ . [الأحقاف/٢٣] قال

-
- 1 . الواحدي ، الوجيز في تفسير الكتاب العزيز ، ج ١ ، ص ٣٩٩ .
 - 2 . السعدي ، تيسير الكريم الرحمن في تفسير كلام المنان ، ج ١ ، ص ٢٩٣ .
 - 3 . الشوكاني ، فتح القدير ، ج ٢ ، ص ٢١٦ .
 - 4 . أبو السعود ، إرشاد العقل السليم إلى مزايا القرآن الكريم ، ج ٣ ، ص ٢٣٨ .
 - 5 . الفيروز آبادي ، تنوير المقباس من تفسير ابن عباس ، ج ١ ، ص ١٣٠ .
 - 6 . ابن كثير ، تفسير القرآن العظيم ، ج ٢ ، ص ٢٥٢ .
 - 7 . الخازن ، لباب التأويل في معاني التنزيل الخازن ، ج ٥ ، ص ٢٦٤ .

الخازن: "يعني من الوحي الذي أنزله الله عليّ وأمرني بتبليغه إليكم" (١). فالتبليغ هنا لدين الله تعالى، بما يتضمّن نزول العذاب بهم إن لم ينتهوا، قال أبو السعود: "من موجب الرسالة التي من جملتها بيان نزول العذاب إن لم تنتهوا عن الشرك من غير وقوف على وقت نزوله" (٢)، وقال السمعاني: "ومعناه: أن إليّ تبليغ الرسالة، وليس إليّ إنزال العذاب، وإنما هو إلى الله تعالى" (٣)، وقال الشنقيطي: "يبلغهم ما أرسل به إليهم، لأنه ليس عليه إلا البلاغ" (٤).

يُلاحظ أنّ الفعل (بَلَّغَ) ورد على الأغلب في سياقات نداء وحوار، ودلّ على زمن المضارعة وقت تبليغ الرسالات، أي زمن تنزل الآيات على الأنبياء، وكان الأنبياء عليهم السلام في جدل طويل مع أقوامهم يبلغونهم رسالات ربهم. فلم يكن الأمر إبلاغ الرسالات بالجملة، وإنما تبليغ الرسالات بالتفصيل. وتكرار عملية التبليغ.

كما تكوّنت الجمل في الآيات التي ورد فيها الفعل (بَلَّغَ) من: (السياق الإنشائي من خلال النداء أو الحوار أو الأمر، وزمن المضارعة، وتضعيف العين في بَلَّغَ لتكرار الحدث، والمفعول به على صيغة الجمع)، وهذه العناصر مجتمعة تكشف عن المشقة والتعب والاجتهاد لدى الأنبياء في تبليغ رسالات ربهم.

(أبْلَغَ) :

ورد الفعل (أبْلَغَ) خمس مرات في القرآن الكريم، وبعد تتبع الآيات التي ورد فيها الفعل يُلاحظ أن الإبلاغ يأتي بعد التبليغ، فيُوردُ بعد إعراضٍ أو تولٍّ أو تكذيب من الكافرين،

1 . المرجع نفسه، ج ٦، ص ١٦٤ .

2 . أبو السعود، إرشاد العقل السليم إلى مزايا القرآن الكريم، ج ٨، ص ٨٥ .

3 . السمعاني، تفسير القرآن، ج ٥، ص ١٥٨ .

4 . الشنقيطي، أضواء البيان، تحقيق مكتب البحوث والدراسات، ط ١، ١٩٩٥، دار الفكر للطباعة والنشر، بيروت. ج ٧، ص ٢٣٣ .

فيذكر التبليغ في أثناء قيام الرسل بالدعوة ، ثم يعرض القوم عمّا دعواهم الرسل إليه ، ثم يذكر الإبلاغ بعد حدوث التولي أو التكذيب منهم ، وغالبا ما يكون الإبلاغ عن عذاب الله تعالى .
وبيان ذلك على النحو الآتي :

ورد الفعل (أبلغ) في قوله تعالى حكاية عن سيدنا صالح عليه السلام : ﴿ فَتَوَلَّى عَنْهُمْ وَقَالَ يَا قَوْمِ لَقَدْ أَبْلَغْتُكُمْ رِسَالَاتِ رَبِّي وَنَصَحْتُ لَكُمْ وَلَكِنْ لَا تُحِبُّونَ النَّاصِحِينَ ﴾ . [الأعراف/٧٩] والإبلاغ هنا بعد حلول عذاب الله تعالى في الدنيا ، قال الواحدي : " أعرض عنهم صالح بعد نزول العذاب بهم " (١) ، ومعنى خطابه أي : " خوفنكم عقاب الله ، وهذا كما خاطب رسول الله صلى الله عليه وسلم قتلى بدر " (٢) ، فحديث النبي مع القوم في هذه الآية كان بعد حلول عذاب الله تعالى ، فقد أخذ الله القوم بالرجفة لتكذيبهم أمر الله ، ثم قال لهم صالح عليه السلام أنه قد أبلغتهم عذاب الله تعالى ، يقول ابن كثير : " هذا تقرير من صالح عليه السلام لقومه لما أهلكهم الله بمخالفتهم إياه " (٣) ، " وخطابه عليه السلام لهم كخطاب رسول الله صلى الله عليه وسلم قتلى المشركين حين ألقوا في قليب بدر ، حين نادى يافلان يافلان باسمائهم إنا وجدنا ما وعدنا ربنا حقا ، فهل وجدتم ما وعدكم ربكم حقا " (٤) .

وورد في قوله تعالى حكاية عن نبيه شعيب : ﴿ فَتَوَلَّى عَنْهُمْ وَقَالَ يَا قَوْمِ لَقَدْ أَبْلَغْتُكُمْ رِسَالَاتِ رَبِّي وَنَصَحْتُ لَكُمْ فَكَيْفَ آسَىٰ عَلَىٰ قَوْمٍ كَافِرِينَ ﴾ . [الأعراف/٩٣] والإبلاغ هنا عن العذاب أيضا . قال مقاتل : " في نزول العذاب بكم في الدنيا " (٥) . فقد أخذ الله القوم بالرجفة

1 . الواحدي ، الوجيز في تفسير الكتاب العزيز ، ج ١ ، ص ٤٠١ .

2 . المرجع نفسه ، ج ١ ، ص ٤٠١ .

3 . ابن كثير ، تفسير القرآن العظيم ، ج ٢ ، ص ٢٣٠ .

4 . الألوسي ، روح المعاني ، ج ٨ ، ص ١٦٦ .

5 . مقاتل ، تفسير مقاتل بن سليمان ، ج ١ ، ص ٤٠٣ .

بعد تكذيبهم شعيبا، "فأدبر شعيب عنهم ، شاخصاً من بين أظهرهم حين أتاهم عذاب الله " (١) ، قال ابن كثير: "فتولى عنهم شعيب عليه السلام بعد ما أصابهم ما أصابهم من العذاب والنقمة والنكال ، وقال مقرعاً لهم وموبخاً" (٢) .

وورد في قوله تعالى حكاية عن نبيه هود: ﴿فَإِنْ تَوَلَّوْا فَقَدْ أَبْلَغْتُكُمْ مَا أُرْسِلْتُ بِهِ إِلَيْكُمْ وَيَسْتَخْلِفُ رَبِّي قَوْمًا غَيْرَكُمْ وَلَا تَضُرُّونَهُ شَيْئًا﴾ . [هود/٥٧] أي : أبلغتكم "من نزول العذاب بكم في الدنيا" (٣) . فهود عليه السلام قد بلغ القوم الرسالة على أكمل وجه ، لكن القوم أعرضوا ، ثم أبلغهم أن الحجة قد قامت عليهم وقد استحقوا العذاب . قال أبو حيان تفسيراً لما قاله تعالى حكاية عن نبيه هود عليه السلام : " قد برئت ساحتني بالتبليغ ، وأنتم أصحاب الذنب في الإعراض عن الإيمان" (٤) . وقال ابن كثير: "قد قامت عليكم الحجة بإبلاغي إياكم رسالة الله التي بعثني بها" (٥) .

وفي قوله تعالى: ﴿لِيَعْلَمَ أَنْ قَدْ أَبْلَغُوا رَسُولَاتِ رَبِّهِمْ﴾ . [الجن/٢٨] ذهب فريق من المفسرين إلى أن المقصود هو إعلام المكذبين والمشركين ، قال ابن عطية: " قال مجاهد (ليعلم) من كذب وأشرك أن الرسل قد بلغت" (٦) . وجاء في البحر المحيط عن مجاهد أيضاً: "ليعلم من أشرك وكذب أن الرسل قد بلغت ، وعلى هذا القول لا يقع لهم هذا العلم إلا في الآخرة" (٧) . فليس المقصود هنا الإبلاغ بمعنى الدعوة والإخبار بأوامر الله ونواهيه على سبيل إقناع القوم

-
- 1 . الطبري ، جامع البيان عن تأويل أي القرآن ، ج ٩ ، ص ٦ .
 - 2 . ابن كثير ، تفسير القرآن ، ج ٢ ، ص ٢٣٤ .
 - 3 . مقاتل ، تفسير مقاتل بن سليمان ، ج ٢ ، ص ١٢٢ .
 - 4 . أبو حيان الأندلسي ، البحر المحيط ، ج ٥ ، ص ٢٣٤ .
 - 5 . ابن كثير ، تفسير القرآن العظيم ، ج ٢ ، ص ٤٥١ .
 - 6 . ابن عطية ، المحرر الوجيز ، ج ٥ ، ص ٣٨٥ .
 - 7 . أبو حيان ، البحر المحيط ، ج ٨ ، ص ٣٤٩ .

وهدايتهم، وإنما إعلام من ثبت عليهم التكذيب والتولي أن الرسل قد أبلغوا في الدنيا ما طُلبَ منهم. والإبلاغ بذلك يكون في الآخرة ، أي بعد حلول العذاب.

وورد في قوله تعالى: ﴿وَإِنْ أَحَدٌ مِنَ الْمُشْرِكِينَ اسْتَجَارَكَ فَأَجْرُهُ حَتَّى يَسْمَعَ كَلَامَ اللَّهِ ثُمَّ أَبْلِغُهُ مَأْمَنَهُ﴾. [التوبة/٦] قد يبدو أن دلالة الفعل (أبلغه) قد اختلفت عما كانت عليه في الآيات السابقة، فالإبلاغ في الآيات السابقة كان بمعنى الإخبار، أما في هذه الآية فهو بمعنى الإيصال. لكن مجيء الفعل على هذا الوزن انسجم مع دلالات (أبلغ) ولم يخرج عن الحديث السابق ، فالإبلاغ هنا كائن بعد التولي والإعراض ، قال الطبري: "إن استأمنك يا محمد ، من المشركين الذين أمرتك بقتالهم وقتلهم بعد انسلاخ الأشهر الحرم أحدٌ ليسمع كلام الله منك ، وهو القرآن ، (فأجره) ، يقول : فأمنه حتى يسمع كلام الله وتتلوه عليه ، (ثم أبلغه مأمنه) ، يقول : ثم رُدّه بعد سماعه كلام الله إن هو أبى أن يسلم ، ولم يتعظ لما تلوته عليه من كلام الله فيؤمن (إلى مأمنه) ، يقول : إلى حيث يأمن منك وممن في طاعتك ، حتى يلحق بداره وقومه من المشركين " (١) . فالإبلاغ هنا – وإن كان بمعنى الإيصال – جاء بعد التولي والإعراض .

اشتملت الآيات الأربعة الأولى على العناصر الآتية : (قد التحقيقية ، وأفعال المتعدية للمفعول ، وزمن الماضي) ، وباشتراك هذه العناصر فإن الإبلاغ قد أتمّه الأنبياء ، وأبلغوا الناس بما بلغّهم به ربهم ، فلا يبقى للناس حجة أمام الله تعالى. وقد جاء الفعل (أبلغ) في الآيات الخمس السابقة بعد إعراض أو تول أو تكذيب ، وهذا يشير إلى محاولات الأنبياء الطويلة في إقناع أقوامهم ، فكان النبي (يبلغ) القوم الرسالة على مراحل ، ويواجه المشقة والتعب في أثناء دعوته ، ثم يعرض القوم عنه ويتولون بالتكذيب والإنكار ، فيتولى النبي عنهم لأنه لا جدوى منهم ، ثم يخبرهم أنه قد (أبلغ) أمر الله تعالى وحذّرهم نزول العذاب لكنهم أعرضوا .

1 . الطبري ، جامع البيان عن تأويل آي القرآن ، ج ١٠ ، ص ٧٩ .

(بَيْنَ , وَأَبَانَ)

"الباء والياء والنون أصل واحد وهو بعدُ الشيء وانكشافه" (١) , و" البَيَانُ: ما بُيِّنَ به الشيءُ من الدلالة وغيرها . وبَانَ الشيءُ بَيَانًا : اتَّضَحَ ، فهو بَيِّنٌ ، والجمع أَبْيَانٌ ، مثل هَيِّنٍ وَأَهْيِنَاءٍ ، وكذلك أَبَانَ الشيءُ فهو مُبَيِّنٌ... وَأَبْنَتْهُ أَنَا أَي أَوْضَحْتُهُ . واستَبَانَ الشيءُ: ظهرَ . واستَبَّنَتْهُ أَنَا: عرَفْتُهُ . وتَبَيَّنَ الشيءُ : ظَهَرَ ، وتَبَيَّنَتْهُ أَنَا ، تتعدى هذه الثلاثة ولا تتعدى . وقالوا: بَانَ الشيءُ و استَبَانَ و تَبَيَّنَ و أَبَانَ و بَيَّنَ بمعنى واحد... والعرب تقول : بَيَّنْتَ الشيءَ تَبْيِينًا و تَبْيَانًا ، بكسر التاء ، وتَفَعَّلَ بكسر التاء يكون اسماً ، فأما المصدر فإنه يجيء على تَفَعَّلَ بفتح التاء" (٢) .

ورد الفعل (بَيَّنَ) في القرآن الكريم خمساً وثلاثين مرة ، أما الفعل (أَبَانَ) فورد مرةً وحيدة ، وقد ورد التبیین متضمناً توضيحاً بشرح أو دليل أو حجة أو نحو ذلك لأُمور تتعلق بالعقيدة ، كوحداية الله والبعث والجنة والنار ، أو لأُمور تتعلق بالحلال والحرام فيما يختص من تشريعات وأحكام ، كالميراث والزواج وغيرها .

أما الفعل (أَبَانَ) فقد ورد مرةً وحيدة بصيغة المضارع . ولم يكن المقصود من إيراده تبیین شرع الله تعالى ودينه من خلال الشرح والتوضيح والكشف ، بل كان المقصود من إيراده ما زعمه فرعون من عدم قدرة موسى عليه السلام على الإفصاح والتوضيح بسبب لثغة في لسانه . فجاء الفعل على وزن (أفعل) دون تشديد ليتناسب مع المعنى ، فيُشعر باستهزاء فرعون من موسى عليه السلام ، وبيان ذلك على النحو الآتي :

1 . ابن فارس ، مقاييس اللغة ، مادة (بين) ، ج ١ ، ص ٣٢٧ .

2 . ابن منظور ، لسان العرب ، مادة (بين) ، ج ١٣ ، ص ٦٧ - ٦٨ .

(بَيِّنَ) :

ورد الفعل (بَيِّنَ) في القرآن الكريم خمسا وثلاثين مرة، وقد أفاد الفعل المضعف التركيزَ على حدث التبيين وتكراره من خلال الشرح أو التوضيح أو تقديم الدليل أو غير ذلك . فأفاد هذا المعنى من خلال الدلالات الآتية :

أ . تبيين معالم الدين وأحكام الشريعة .

ورد الفعل (بَيِّنَ) للدلالة على تبيين معالم الدين وأحكام الشريعة في عشرين موضعا، من ذلك قوله تعالى: ﴿يَسْأَلُونَكَ عَنِ الْخَمْرِ وَالْمَيْسِرِ قُلْ فِيهِمَا إِثْمٌ كَبِيرٌ وَمَنَافِعُ لِلنَّاسِ وَإِثْمُهُمَا أَكْبَرُ مِنْ نَفْعِهِمَا وَيَسْأَلُونَكَ مَاذَا يُنْفِقُونَ قُلِ الْعَفْوَ كَذَلِكَ يُبَيِّنُ اللَّهُ لَكُمْ الْآيَاتِ لَعَلَّكُمْ تَتَفَكَّرُونَ﴾. [البقرة/٢١٩] والمقصود من التبيين هنا " الإشارة إلى ما تقدم تبيينه من أمر الخمر والميسر والإنفاق " (1) . وهذا يحتاج إلى شرح وتوضيح .

وفي قوله تعالى : ﴿ فَإِنْ طَلَّقَهَا فَلَا تَحِلُّ لَهُ مِنْ بَعْدُ حَتَّى تَنْكِحَ زَوْجًا غَيْرَهُ فَإِنْ طَلَّقَهَا فَلَا جُنَاحَ عَلَيْهِمَا أَنْ يَتَرَاجَعَا إِنْ ظَنَّا أَنْ يُقِيمَا حُدُودَ اللَّهِ وَتِلْكَ حُدُودُ اللَّهِ يُبَيِّنُهَا لِقَوْمٍ يَعْلَمُونَ﴾. [البقرة/٢٣٠] أي : "هذه أحكام الله وفرائضه" (٢) . قال أبو حيان : "معنى التبين هنا: الإيضاح، وخصَّ المبيِّن لهم بالعلم تشريفاً لهم " (٣) .

وفي قوله تعالى : ﴿فَلِلذِّكْرِ مِثْلُ حَظِّ الْأُنثِيَيْنِ يُبَيِّنُ اللَّهُ لَكُمْ أَنْ تَضِلُّوا وَاللَّهُ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمٌ﴾. [النساء/١٧٦] وهذا التبيين في "قسمة الموارث" (4) .

-
- 1 . ابن عطية ، المحرر الوجيز ، ج ١ ، ص ٢٩٥ .
 - 2 . الفيروز آبادي ، تنوير المقباس من تفسير ابن عباس ، ج ١ ، ص ٣٢ .
 - 3 . أبو حيان ، البحر المحيط ، ج ٢ ، ص ٢١٣ .
 - 4 . الفيروز آبادي ، تنوير المقباس من تفسير ابن عباس ، ج ١ ، ص ٨٧ .

وفي قوله تعالى : ﴿يَا أَهْلَ الْكِتَابِ قَدْ جَاءَكُمْ رَسُولُنَا يُبَيِّنُ لَكُمْ عَلَى فِتْرَةٍ مِنَ الرَّسُولِ أَنْ تَقُولُوا مَا جَاءَنَا مِنْ بَشِيرٍ وَلَا نَذِيرٍ فَقَدْ جَاءَكُمْ بَشِيرٌ وَنَذِيرٌ وَاللَّهُ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ﴾. [المائدة/١٩] والمقصود "ما شرعه الله لعباده , وحذف للعلم به" (١).

وفي قوله تعالى : ﴿لَا يُؤَاخِذُكُمُ اللَّهُ بِاللَّغْوِ فِي أَيْمَانِكُمْ وَلَكِنْ يُؤَاخِذُكُمْ بِمَا عَقَّدْتُمُ الْأَيْمَانَ فَكَفَّارَتُهُ إِطْعَامُ عَشْرَةِ مَسَاكِينَ مِنْ أَوْسَطِ مَا تُطْعَمُونَ أَهْلِيكُمْ أَوْ كِسْوَتُهُمْ أَوْ تَحْرِيرُ رَقَبَةٍ فَمَنْ لَمْ يَجِدْ فَصِيَامُ ثَلَاثَةِ أَيَّامٍ ذَلِكَ كَفَّارَةُ أَيْمَانِكُمْ إِذَا حَلَفْتُمْ وَاحْفَظُوا أَيْمَانَكُمْ كَذَلِكَ يُبَيِّنُ اللَّهُ لَكُمْ آيَاتِهِ لَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ﴾. [المائدة/٨٩] والمقصود "يعني كما بيّن لكم كفارة إيمانكم إذا حنثتم كذلك يبين لكم جميع ما تحتاجون إليه في أمر دينكم" (٢).

وفي قوله تعالى : ﴿وَأَنْزَلْنَا إِلَيْكَ الذِّكْرَ لِتُبَيِّنَ لِلنَّاسِ مَا نُزِّلَ إِلَيْهِمْ﴾. [النحل/٤٤] قال ابن عطية : "لتبين بسرديك نص القرآن ما نزل، ويحتمل أن يريد لتبين بتفسيرك المجمل، وشرحك ما أشكل مما نزل، فيدخل في هذا ما بينته السنة من أمر الشريعة ، وهذا قول مجاهد" (٣). وقد ورد الفعل (بيّن) في مواضع أخر دلّ فيها على تبين معالم الدين وأحكام الشريعة (٤).

ب . تبين دلالات نبوة سيدنا محمد صلى الله عليه وسلم :

ورد ذلك في قوله تعالى : ﴿كَذَلِكَ قَالَ الَّذِينَ مِنْ قَبْلِهِمْ مِنْ قَوْلِهِمْ تَشَابَهَتْ قُلُوبُهُمْ قَدْ بَيَّنَّا الْآيَاتِ لِقَوْمٍ يُوقِنُونَ﴾. [البقرة/١١٨] والمقصود من تبين الآيات : "أي الدلالات على نبوة محمد صلى الله عليه وسلم " (٥) .

- 1 . الشوكاني , فتح القدير , ج ٢ , ص ٢٥ .
- 2 . الخازن , لباب التأويل في معاني التنزيل , ج ٢ , ص ٨٨ .
- 3 . ابن عطية , المحرر الوجيز , ج ٣ , ص ٣٩٥ .
- 4 . ورد ذلك في : البقرة/١٨٧ , ٢٢١ , ٢٤٢ , ٢٦٦ , والنساء/٢٦ , والأنعام/١٠٥ , والتوبة/١١٥ , والنحل/٦٤ , والنور/١٨ , ٥٨ , ٥٩ , ٦١ , والزخرف/٦٣ , وإبراهيم/٤ .
- 5 . الخازن , لباب التأويل في معاني التنزيل , ج ١ , ص ١٠١ .

وفي قوله تعالى: ﴿إِنَّ الَّذِينَ يَكْتُمُونَ مَا أَنْزَلْنَا مِنَ الْبَيِّنَاتِ وَالْهُدَىٰ مِنْ بَعْدِ مَا بَيَّنَّاهُ لِلنَّاسِ فِي الْكِتَابِ أُولَٰئِكَ يَلْعَنُهُمُ اللَّهُ وَيَلْعَنُهُمُ اللَّاعِنُونَ﴾. [البقرة/١٥٩] " فالعلم بنبوة محمد صلى الله عليه وسلم وصفته ومبعثه لم يكن إلا عند أهل الكتاب دون غيرهم ، وإياهم عنى تعالى ذكره بقوله (للناس في الكتاب)، ويعني بذلك التوراة والإنجيل . وهذه الآية وإن كانت نزلت في خاص من الناس ، فإنها معني بها كل كاتمٍ علماً فرضَ الله تعالى بيانه للناس " (١) .

وفي قوله تعالى: ﴿وَإِذْ أَخَذَ اللَّهُ مِيثَاقَ الَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ لَتُبَيِّنُنَّهُ لِلنَّاسِ وَلَا تَكْتُمُونَهُ فَنَبَّؤُهُ وَرَاءَ ظُهُورِهِمْ وَأَشْرَوْا بِهِ تَمَنَّا قَلِيلًا فَبُئِسَ مَا يَشْتَرُونَ﴾. [آل عمران/١٨٧] والمقصود من التبیین " يعنى أمر محمد صلى الله عليه وسلم في التوراة " (٢) . فقد كتم اليهود وغيرهم من أهل الكتاب أمر سيدنا محمد ونبوته التي كانت مذكورة في كتبهم .

وفي قوله تعالى: ﴿يَا أَهْلَ الْكِتَابِ قَدْ جَاءَكُمْ رَسُولُنَا يُبَيِّنُ لَكُمْ كَثِيرًا مِمَّا كُنْتُمْ تُخْفُونَ مِنَ الْكِتَابِ﴾. [المائدة/١٥] والتبیین هنا لما كانوا يخفونه نحو " بعثة محمد ، وآية الرجم في التوراة، وبشارة عيسى بأحمد عليهما السلام في الإنجيل " (٣) ، وعن ابن عباس : " من صفة محمد صلى الله عليه وسلم وبعثه ، والرجم وغير ذلك " (٤) .

ج . تبیین قدرة الله تعالى :

ورد في قوله تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا النَّاسُ إِن كُنْتُمْ فِي رَيْبٍ مِنَ الْبَعْثِ فَإِنَّا خَلَقْنَاكُمْ مِنْ تُرَابٍ ثُمَّ مِنْ نُطْفَةٍ ثُمَّ مِنْ عَلَقَةٍ ثُمَّ مِنْ مُضْغَةٍ مُخَلَّقَةٍ وَغَيْرِ مُخَلَّقَةٍ لِنُبَيِّنَ لَكُمْ وَنُقِرُّ فِي الْأَرْحَامِ مَا نَشَاءُ إِلَىٰ أَجَلٍ مُّسَمًّى﴾. [الحج/٥] أي لنبيِّن لكم " بهذا التدریج قدرتنا وحكمتنا ، وأن من قدر على خلق

- 1 . الطبري ، جامع البيان عن تأويل آي القرآن ، ج ٢ ، ص ٥٣ .
- 2 . مقاتل ، تفسير مقاتل بن سليمان ، ج ١ ، ص ٢٠٨ .
- 3 . أبو السعود ، إرشاد العقل السليم إلى مزايا القرآن الكريم ، ج ٣ ، ص ١٨ .
- 4 . الفيروز آبادي ، تنوير المقباس من تفسير ابن عباس ، ج ١ ، ص ٩٠ .

البشر من تراب أولاً ، ثم من نطفة ثانياً ولا تتناسب بين الماء والتراب وقدرة على أن يجعل النطفة علقه وبينهما تباين ظاهر ، ثم يجعل العلقه مضغرة والمضغرة عظماً : قدر على إعادة ما أبداه ، بل هذا أدخل في القدرة من تلك ، وأهون في القياس" (١).

وورد في قوله تعالى: ﴿اعْلَمُوا أَنَّ اللَّهَ يُحْيِي الْأَرْضَ بَعْدَ مَوْتِهَا قَدْ بَيَّنَّا لَكُمُ الْآيَاتِ لَعَلَّكُمْ تَعْقِلُونَ﴾. [الحديد/١٧] والمقصود هنا تبين قدرة الله تعالى ، " فالذي أحيا الأرض بعد موتها ، قادر على أن يحيي الأموات بعد موتهم ، فيجازيهم بأعمالهم ، والذي أحيا الأرض بعد موتها بماء المطر ، قادر على أن يحيي القلوب الميتة بما أنزله من الحق على رسوله" (٢).

د . تبين نعم الله تعالى على عباده :

ورد في قوله تعالى: ﴿وَاعْتَصِمُوا بِحَبْلِ اللَّهِ جَمِيعًا وَلَا تَفَرَّقُوا وَاذْكُرُوا نِعْمَةَ اللَّهِ عَلَيْكُمْ إِذْ كُنْتُمْ أَعْدَاءً فَأَلَّفَ بَيْنَ قُلُوبِكُمْ فَأَصْبَحْتُمْ بِنِعْمَتِهِ إِخْوَانًا وَكُنْتُمْ عَلَى شَفَا حُفْرَةٍ مِنَ النَّارِ فَأَنْقَذَكُمْ مِنْهَا كَذَلِكَ يُبَيِّنُ اللَّهُ لَكُمْ آيَاتِهِ لَعَلَّكُمْ تَهْتَدُونَ﴾. [آل عمران/١٠٣] والمقصود هنا تبين "علاماته في هذه النعمة ، أعداء في الجاهلية ، إخواناً في الإسلام" (٣).

هـ . تبين الحق للمكذبين يوم القيامة .

ورد في قوله تعالى: ﴿وَأَقْسَمُوا بِاللَّهِ جَهْدَ أَيْمَانِهِمْ لَا يَبْعَثُ اللَّهُ مَنْ يَمُوتُ بَلَى وَعَدًّا عَلَيْهِ حَقًّا وَلَكِنَّ أَكْثَرَ النَّاسِ لَا يَعْلَمُونَ ، لِيُبَيِّنَ لَهُمُ الَّذِي يُخْتَلِفُونَ فِيهِ وَلِيَعْلَمَ الَّذِينَ كَفَرُوا أَنَّهُمْ كَانُوا كَاذِبِينَ﴾. [النحل/٣٨ ، ٣٩] وهذا التبيين يكون في الآخرة، "يعني يبعثهم ليبين لهم أن ما وعدهم حق" (٤).

1 . الزمخشري ، الكشاف ، ج ٣ ، ص ١٤٥ .

2 . السعدي ، تيسير الكريم الرحمن في تفسير كلام المنان ، ج ١ ، ص ٨٤٠ .

3 . مقاتل ، تفسير مقاتل بن سليمان ، ج ١ ، ص ١٨٥ .

4 . السمرقندي ، بحر العلوم ، ج ٢ ، ص ٢٧٤ .

وورد في قوله تعالى: ﴿وَلْيُبَيِّنَنَّ لَكُمْ يَوْمَ الْقِيَامَةِ مَا كُنْتُمْ فِيهِ تَخْتَلِفُونَ﴾. [النحل/٩٢] فيبين

الله تعالى يوم القيامة الحق من الباطل ، قال الطبري : " والذي كانوا فيه يختلفون في الدنيا أن المؤمن بالله كان يقرّ بوحداية الله ونبوة نبيه، ويصدق بما ابتعث به أنبياءه، وكان يكذب بذلك كله الكافر فذلك كان اختلافهم في الدنيا الذي وعد الله تعالى ذكره عباده أن يبينه لهم عند ورودهم عليه" (١).

و . تبين وجوب الإخلاص للدين ومقاطعة أعداء الله .

ورد في قوله تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تَتَّخِذُوا بَطَانَةً مِنْ دُونِكُمْ لَا يَأْلُونَكُمْ خَبَالًا وَدُؤًا

مَا عَنَيْتُمْ قَدْ بَدَتِ الْبَغْضَاءُ مِنْ أَفْوَاهِهِمْ وَمَا تَخْفَى صُدُورُهُمْ أَكْبَرُ قَدْ بَيَّنَّا لَكُمْ الْآيَاتِ إِنْ كُنْتُمْ تَعْقِلُونَ﴾. [آل عمران/١١٨] والتبيين هنا جاء بالشرح والتوضيح ، فلا بدّ للمؤمنين من معرفة

حقيقة مشاعر أعداء الله تجاههم من خلال التبيين والتوضيح ، فالله يبين ههنا الآيات " الدالة على وجوب الإخلاص في الدين وموالاته أولياء الله ومعاداة أعدائه" (٢) ، وإن كان هنالك صلة معهم ،

"قال ابن عباس رضي الله عنهما: كان رجال من المسلمين يواصلون اليهود لما بينهم من القرابة والصدقة والحلف والجوار والرضاع ، فأنزل الله تعالى هذه الآية ينهاهم عن مباطنتهم خوف الفتنة عليهم" (٣) . والله تعالى يطلع عباده — من خلال هذا التبيين — على أسرار لا يعلمونها ،

قال الفخر الرازي : " الذي يظهر على لسان المنافق من علامات البغضاء أقل مما في قلبه من النفرة ، والذي يظهر من علامات الحقد على لسانه أقل مما في قلبه من الحقد ، ثم بين تعالى أن إظهار هذه الأسرار للمؤمنين من نعمه عليهم ، فقال : قَدْ بَيَّنَّا لَكُمْ الْآيَاتِ " (٤) .

1 . الطبري ، جامع البيان عن تأويل آي القرآن ، ج ١٤ ، ص ١٦٨ .

2 . الزمخشري ، الكشاف ، ج ١ ، ص ٤٣٥ .

3 . البغوي ، معالم التنزيل ، ج ٢ ، ص ٩٥ .

4 . فخر الدين الرازي ، التفسير الكبير ، ج ٨ ، ص ١٧٤ .

ز . تبیین کذب من قال بألوهية عيسى عليه السلام وأمه مريم .

ورد في قوله تعالى: ﴿ مَا الْمَسِيحُ ابْنُ مَرْيَمَ إِلَّا رَسُولٌ قَدْ خَلَتْ مِنْ قَبْلِهِ الرُّسُلُ وَأُمُّهُ صِدِّيقَةٌ كَانَا يَأْكُلَانِ الطَّعَامَ انظُرْ كَيْفَ نُبَيِّنُ لَهُمُ الْآيَاتِ ثُمَّ انظُرْ أَنَّى يُؤْفَكُونَ ﴾ . [المائدة/٧٥] فقد زعم الكفار أن الله ثالث ثلاثة كما أخبر تعالى حكاية عنهم : ﴿ لَقَدْ كَفَرَ الَّذِينَ قَالُوا إِنَّ اللَّهَ ثَالِثُ ثَلَاثَةٍ وَمَا مِنْ إِلَهٍ إِلَّا إِلَهٌ وَاحِدٌ ﴾ . [المائدة/٧٣] فبيّن تعالى أن المسيح وأمه من عباده الصالحين ، وحالهم كحال من سبقهم ممن اصطفاهم الله تعالى، وتبيين الآيات يعني "العلامات في أمر عيسى ومريم أنهم كانوا يأكلان الطعام ، والآلهة لا تأكل الطعام" (١) . قال فخر الدين الرازي : " أي ما هو إلا رسول من جنس الرسل الذين خلوا من قبله ، جاء بآيات من الله كما أتوا بأمثالها ، فإن كان الله أبرأ الأكمه والأبرص وأحيا الموتى على يده ، فقد أحيا العصا وجعلها حية تسعى وقلق على يد موسى ، وإن كان خلقه من غير ذكر فقد خلق آدم من غير ذكر ولا أنثى " (٢) .

ح . التبیین الذي طلبه بنو إسرائيل من موسى عليه السلام في وصف البقرة .

ورد ذلك ثلاث مرّات ، فورد في قوله تعالى حكاية عن قوم سيدنا موسى: ﴿ قَالُوا ادْعُ لَنَا رَبَّكَ يُبَيِّنْ لَنَا مَا هِيَ قَالَ إِنَّهُ يَقُولُ إِنَّهَا بَقَرَةٌ لَا فَارِضٌ وَلَا بِكْرٌ عَوَانٌ بَيْنَ ذَلِكَ ﴾ . [البقرة/٦٨] أي بيّن لنا "ما سنها" (٣) . وفي قوله تعالى حكاية عنهم : ﴿ قَالُوا ادْعُ لَنَا رَبَّكَ يُبَيِّنْ لَنَا مَا لَوْنُهَا قَالَ إِنَّهُ يَقُولُ إِنَّهَا بَقَرَةٌ صَفْرَاءٌ فَاقِعٌ لَوْنُهَا تَسُرُّ النَّاظِرِينَ ﴾ . [البقرة/٦٩] والتبيين هنا عن لونها.

1 . مقاتل ، تفسير مقاتل بن سليمان ، ج ١ ، ص ٣١٥ .

2 . فخر الدين الرازي ، التفسير الكبير ، ج ١٢ ، ص ٥٢ .

3 . الخازن ، لباب التأويل في معاني التنزيل ، ج ١ ، ص ٧١ .

وفي قوله تعالى حكاية عنهم أيضا: ﴿قَالُوا ادْعُ لَنَا رَبَّكَ يُبَيِّنْ لَنَا مَا هِيَ إِنَّ الْبَقْرَ تَشَابَهَ عَلَيْنَا﴾.
[البقرة/٧٠] أي "عاملة هي أم لا" (1) .

(أبان) :

ورد الفعل (أبان) في القرآن الكريم مرة وحيدة ، وذلك في قوله تعالى حكاية عن فرعون:
﴿أَمْ أَنَا خَيْرٌ مِنْ هَذَا الَّذِي هُوَ مَهِينٌ وَلَا يَكَادُ يُبِينُ﴾. [الزخرف/٥٢] وقد قال فرعون هذا الكلام مستهزئاً بموسى عليه السلام ، أي لا يكاد " يفصح بكلامه للثغته التي في لسانه" (2) ، فتناسب الفعل (يُبِينُ) بمعنى (يفصح) مع معنى الآية ، ذلك أن فرعون يقصد إهانة موسى عليه السلام من خلال وصفه بأنه أُلثغ لا يستطيع أن يفصح عما يريد، ففرعون ملك مصر الذي تجري الأنهار من تحته ، أمّا موسى — على زعمه — فضعيف لا يكاد يفهم ما يقول . فكيف له أن يبين للناس ديناً جديداً ما دام لا يستطيع أن يبين ويفصح في كلامه العادي ، وكيف له أن يكون نبياً أفضل من فرعون وهو ضعيف أُلثغ . قال ابن عطية : " { ولا يكاد يبين } إشارة إلى ما بقي في لسان موسى من أثر الجمرة ، وذلك أنها كانت أحدثت في لسانه عقدة، فلما دعا في أن تُحلَّ ليفقه قوله أجيبته دعوته... لكن فرعون عيّر به" (3) ، ومما لا شك فيه أن قول فرعون : {ولا يكاد يبين}، كذب بحت ، ألا ترى إلى مناظرته له وردّه عليه وإفحامه بالحجة ؟ والأنبياء عليهم الصلاة والسلام كلهم بلغاء " (4) .

1 . الفيروز آبادي ، تنوير المقباس من تفسير ابن عباس ، ج ١ ، ص ١١ .

2 . البغوي ، معالم التنزيل ، ج ٧ ، ص ٢١٧ .

3 . ابن عطية ، المحرر الوجيز ، ج ٥ ، ص ٥٩ .

4 . أبو حيان ، البحر المحيط ، ج ٨ ، ص ٢٣ .

كما أنّ إيراد الفعل على وزن (أفعل) خدّم معنى الآية , من خلال انسجامه مع ما أرادَه فرعون من ادعائه ضعف موسى , وعدم قدرته على الإفهام , وهذا هو حال الكفار الذين سريعا ما يتوجهون إلى الأنبياء بالشتم والسبّ والانتقاص .

(دَلَّى , وَأَدَلَّى)

" الدَّال واللام والحرف المعتل أصلٌ يدلُّ على مقارَبة الشَّيء ومداناته بسُهولةٍ ورفقٍ .
يقال : أدلَّيتُ الدَّلْو ، إذا أرسلتها في البئر ، فإذا نَزَعْتَ فقد دَلَّوتُ . " (١) وفي لسان العرب : "
الدَّلْوُ : معروفة واحدة الدَّلَاء التي يُسْتَقَى بها ، تذكَّر وتؤنثُ يقال : أدلَّيتُ الدَّلْو ودلَّيتها إذا
أرسلتها في البئر " (٢) .

ورد الفعل (دَلَّى) في القرآن الكريم مرّةً وحيدة ، وورد الفعل (أدلَّى) مرتين ، وقد أشار
الفعالن إلى مقاربة الشيء ومداناته ، وهو المعنى الذي أشار إليه المعجميون ، مع انسجام كلِّ
من الوزنين مع السياقات القرآنية التي ورد فيها ، وبيان ذلك على النحو الآتي :

(دَلَّى) :

ورد الفعل (دَلَّى) في القرآن الكريم مرةً وحيدة ، وذلك في قوله تعالى: ﴿ فَدَلَّاهُمَا
بِغُرُورٍ فَلَمَّا ذَاقَا الشَّجْرَةَ بَدَتْ لَهُمَا سَوْآتُهُمَا ﴾ . [الأعراف/٢٢] " أي استنزلهما إلى الأكل من
الشجرة بغرور ، أي بخداعه إياهما ، وإظهاره النصح ، وإبطان الغش ، وإطماعهما أن يكونا
ملكين أو خالدين" (٣) . والمعنى في هذه الآية لا يخرج عن إدلاء الدلو ، جاء في مختار الصحاح
: " دَلَّاهُ بِغُرُورٍ أَوْ قَعَهُ فِيمَا أَرَادَ مِنْ تَغْرِيرِهِ وَهُوَ مِنْ إِدْلَاءِ الدَّلْوِ " (٤) . فالفعل (دَلَّى) في
الآية الكريمة فيه إشارة إلى الإطماع ، " فالرجلُ العطشانُ يُدَلَّى في البئر ليرَوَى من مائها

1 . ابن فارس ، مقاييس اللغة ، مادة (دلى) ، ج ٢ ، ص ٢٩٣ .
2 . ابن منظور ، لسان العرب ، مادة (دلا) ، ج ١٤ ، ص ٢٦٤ .
3 . أبو حيان ، البحر المحيط ، ج ٤ ، ص ٢٨٠ .
4 . الرازي ، مختار الصحاح ، مادة (دلو) ، ص ٨٨ .

فلا يجد فيها ماءً فيكون مُدلىً فيها بالغرور ، فَوُضِعَتْ التَّدْلِيَةُ مَوْضِعَ الإِطْمَاعِ فِيمَا لَا يُجْدِي نَفْعاً^(١) . وهذا المعنى يتناسب مع السياق القرآني الذي ورد فيه الفعل (دلى) .

كما أشار مجيء الفعل مضعفاً على تكرار وسوسة الشيطان لآدم عليه السلام ، وذلك ليقنعه أن يأكل من الشجرة . فأدم عليه السلام يعرف أن إبليس عدو له ، وهذا يتطلب من إبليس مواظبة الوسوسة لإقناع آدم بما يريد ، قال الفخر الرازي: "آدم عليه السلام كان يعرف ما بينه وبين إبليس من العداوة ، فكيف قبل قوله . والجواب : لا يبعد أن يقال إن إبليس لقي آدم مراراً كثيرة ورغبه في أكل الشجرة بطرق كثيرة ، فلأجل المواظبة والمداومة على هذا التمويه أثر كلامه في آدم عليه السلام."^(٢) لذلك جاء الفعل في هذه الآية على وزن (فعل) للدلالة على تكرار وسوسة الشيطان لآدم عليه السلام.

(أدلى) :

أما الفعل (أدلى) فقد ورد في القرآن الكريم مرتين . فورد في قوله تعالى: ﴿وَجَاءَتْ سَيَّارَةٌ فَأَرْسَلُوا وَارِدَهُمْ فَأَدْلَى دَلْوَهُ قَالَ يَا بُشْرَى هَذَا غُلَامٌ﴾. [يوسف/١٩] "أي أرسلها ليستقي الماء"^(٣) . فالإدلاء بمعنى إرسال الشيء ، يُقال : " أدليت الدلو إذا أرسلتها في البئر لتملأها أدليها إدلاء ... ودلوتها أدلوها دلواً إذا أخرجتها وجذبته من البئر ملى"^(٤) . فقد أرسل الوارد الدلو إلى البئر بغية الحصول على الماء . لكنه كان أكثر سعادة بما وجد داخل البئر ، روي انه :

1 . ابن منظور ، لسان العرب ، مادة (دلا) ، ج ١٤ ص ٢٦٦ .
2 . الفخر الرازي ، التفسير الكبير ، ج ٧ ، ص ٦٢ .
3 . أبو حيان ، البحر المحيط ، ج ٥ ، ص ٢٩٠ .
4 . الأزهرى ، تهذيب اللغة ، مادة (دلا) .

"أرعى دلوه في جب يوسف فتعلق يوسف ، به ، فلم يقدر على نزعها من ، البئر فنظر فيه فرأى غلاماً قد تعلق بالدلو ، فنادى أصحابه هذا بشرأي يا أصحابي" (١) .

وورد الفعل أيضا في قوله تعالى: ﴿وَلَا تَأْكُلُوا أَمْوَالَكُمْ بَيْنَكُمْ بِالْبَاطِلِ وَتُدُلُّوا بِهَا إِلَى الْحُكَّامِ لِتَأْكُلُوا فَرِيقًا مِنْ أَمْوَالِ النَّاسِ بِالْإِثْمِ وَأَنْتُمْ تَعْلَمُونَ﴾ . [البقرة/١٨٨] والإدلاء هنا بمعنى الإرسال، "الإدلاء مأخوذ من إدلاء الدلو ، وهو إرسالك إياها في البئر للاستقاء ... ثم جعل كل إلقاء قول أو فعل إدلاء ، ومنه يقال للمحتج : أدلى بحجته ، كأنه يرسلها ليصير إلى مراده" (٢) . والمعنى هو تحريم الإتيان بالحجج الباطلة بغية أكل أموال الناس بالباطل ، فهذه الحجج لن تحل ما حرم الله ، قال الشوكاني : " لا تجمعوا بين أكل الأموال بالباطل وبين الإدلاء بها إلى الحكام بالحجج الباطلة ، وفي هذه الآية دليل أن حكم الحاكم لا يحل الحرام ولا يحرّم الحلال " (٣) .

يُلاحظ مما سبق أن كلاً من الفعلين (دلى، وأدلى) لم يخرج عن معنى الإدلاء الذي هو مأخوذ من إدلاء الدلو، بمعنى إرسالها في البئر ، إلا أن الفعل جاء مشدداً ليعبر عن التكرار والمواظبة، وليعبر عن معنى التدلّية التي هي في موضع الإطماع فيما لا يُجدي نفعاً، ثم جاء بالتخفيف ليعبر عن إرسال الشيء بغية الحصول على فائدة ما ، كالحصول على الماء أو المال.

-
- 1 . الفيروز آبادي ، تنوير المقباس من تفسير ابن عباس ، ج ١ ، ص ١٩٥ .
 - 2 . فخر الدين الرازي ، التفسير الكبير ، ج ٥ ، ص ١٠١ .
 - 3 . الشوكاني ، فتح القدير ، ج ١ ، ص ١٨٨ .

(صَلَّى , وَأَصَلَى)

"الصاد واللام والحرف المعتل أصلان أحدهما النار وما أشبهها من الحمى والآخر جنس من العبادة"^(١)، و"صَلَّى اللَّحْمَ وَغَيْرَهُ يَصَلِّيهِ صَلِيًّا: شَوَاهُ، وَصَلَّيْتُهُ صَلِيًّا مِثْلَ رَمَيْتُهُ رَمِيًّا، وَأَنَا أَصَلِّيهِ صَلِيًّا إِذَا فَعَلْتَ ذَلِكَ وَأَنْتَ تُرِيدُ أَنْ تَشْوِيَهُ، فَإِذَا أَرَدْتَ أَنْ تُلْقِيَهُ فِيهَا إِقَاءً كَأَنَّكَ تُرِيدُ الْإِحْرَاقَ قُلْتَ أَصَلَّيْتَهُ بِالْأَلْفِ إِصْلَاءً، وَكَذَلِكَ صَلَّيْتُهُ أَصَلَّيْتُهُ تَصَلِّيَةً"^(٢).

ورد الفعلان (صَلَّى , وَأَصَلَى) في القرآن الكريم في سياقات العذاب في الآخرة , فورد الفعل (صَلَّى) مرةً وحيدة , وورد الفعل (أَصَلَى) أربع مرات . وقد دلَّت الزيادة بالهمزة أو التضعيف على معنى الإلقاء في النار , مع إبقاء المُلقى على وجه الإحراق والفساد , جاء في لسان العرب : " صَلَّيْتُ اللَّحْمَ بِالتَّخْفِيفِ، عَلَى وَجْهِ الصَّلَاحِ مَعْنَاهُ شَوَّيْتُهُ ، فَأَمَّا أَصَلَّيْتُهُ وَصَلَّيْتُهُ فَعَلَى وَجْهِ الْفَسَادِ وَالْإِحْرَاقِ ... فَإِذَا أَحْرَقْتَهُ وَأَبْقَيْتَهُ فِي النَّارِ قُلْتَ صَلَّيْتَهُ بِالتَّشْدِيدِ ، وَأَصَلَّيْتَهُ"^(٣) .

فصوّر الفعلان طريقة الشوي بالنار متضمنة الإلقاء في النار وليس وضع الشيء فيها , وإبقاء الشيء المُلقى في النار حتى إفساده . كما تناسب كل وزن منهما مع معاني الآيات التي ورد فيها على النحو الآتي :

(صَلَّى) :

ورد الفعل (صَلَّى) في القرآن الكريم مرة وحيدة , وذلك في قوله تعالى: ﴿خُذُوهُ فَغُلُّوهُ ، ثُمَّ الْجَحِيمَ صَلُّوهُ ، ثُمَّ فِي سِلْسِلَةٍ ذَرْعُهَا سَبْعُونَ ذِرَاعًا فَاسْلُكُوهُ﴾. [الحاقة/ ٣٠ - ٣٢] وجاءت هذه الآيات في حق الأسود بن عبد الأسد الذي كان كافرا. فقارنت أحواله البائسة يوم القيامة بحال

1 . ابن فارس , مقاييس اللغة , مادة (صلى) , ج ٣ , ص ٣٠٠ .

2 . ابن منظور , لسان العرب , مادة (صلا) , ج ١٤ , ص ٤٦٧ . وانظر:الصاحب الكافي , المحيط في اللغة , مادة (صلا) , ج ٨ , ص ١٨٥ .

3 . ابن منظور , لسان العرب , مادة (صلا) , ج ١٤ , ص ٤٦٧ .

أخيه المؤمن أبي سلمة بن عبد الأسد زوج أم سلمة، فهذا مؤمن ينتعم برحمة الله، وذلك كافر يُعذب يوم القيامة^(١). وقد حقق إيراد الفعل مضعفاً قيماً بلاغية، حيث:

أ. تناسب الفعل (صلّوه) المضعّف في مبناه ومعناه مع موضوع السورة التي ورد فيها، وهي سورة الحاقة. فهي سورة مكية تتحدث عن يوم القيامة، وعن الأحداث المرعبة في ذلك اليوم، فتبدأ بالحديث عن رؤوس الكفر، وما ألوا إليه من عذاب، فتذكر ثمود وعاد الذين كذبوا بيوم الحساب فأهلكهم الله بالصيحة، وبالريح العاتية. ثم تذكر فرعون ومن قبله من الأمم الكافرة، وقوم لوط، وكيف أهلكهم الله بسبب أفعالهم، ثم تتحدث عن يوم القيام وكيف يُنفخ في الصور، وتُذكّر الأرض والجبال، وتتشق السماء، وغير ذلك من أهوال يوم القيامة.

ثم يُذكر الأسود بن عبد الأسد الكافر الذي يعود عليه ضمير النصب في (صلّوه) بعد هذه الآيات المَهوِّلة، ويُذكر كفره بالله العظيم، وعدم حضّه على إطعام المساكين. وبالتالي فإنه مما يقتضيه المعنى أن يأتي الفعل على وزن يدلّ على الشدّة في المعنى لبيان شدة الإلقاء في النار، وشدّة تعامل ربانية الله تعالى معه، لذلك قال: (ثم الجحيم صلّوه)، "أي لا تصلوه إلا الجحيم"، وهي النار العظيمة ليكون الجزاء على وفق المعصية حيث كان يتعاطم على الناس " (٢)، فأمر الله تعالى الربانية في قوله تعالى: (خذوه فغلوه) "أي شدّوه بالأغلال"^(٣). ثم قال تعالى في الآية التي بعدها: (ثم في سلسلة ذرعاها سبعون ذراعا فاسلكوه)، "والسلسلة حلق تدخل في حلق على سبيل الطول... وإدخاله فيها بأن تلف على جسده وتلوى عليه من جميع جهاته، فيبقى

1. انظر: الفيروزآبادي، تنوير المقباس من تفسير ابن عباس، ج ١، ص ٤٨٣.

2. أبو السعود، إرشاد العقل السليم إلى مزايا القرآن الكريم، ج ٩، ص ٢٦.

3. الألويسي، روح المعاني، ج ٢٩، ص ٤٩.

مرهقا فيما بينها لا يستطيع حراكا" (١). كما جاء الفعل بصيغة الأمر ليصور حاله وقت تعذيبه بشدة , وتقدّم عليه المفعول الثاني (الجحيم) ليخدم هذا المعنى أيضا .

ب . أحدث الفعل المضعف إيقاعا متناسبا ومتسقا مع جوّ سورة الحاقة وسماتها , " ذلك أنّ للسور كلّها جوّ خاص وسمة خاصة , فتطبع ألفاظها بتلك السمة , وهذا واضح وكثير في القرآن الكريم " (٢), ويظهر هذا الانسجام من خلال أمرين : الأول : إحداث إيقاع داخلي يتناسب فيه (صلّوه) الذي يمثل نهاية الآية , مع الفعل (غلّوه) الذي يمثل نهاية الآية السابقة (خذوه فغلّوه , ثم الجحيم صلّوه) . والثاني : إحداث إيقاع خارجي يتناسب فيه الفعل (صلّوه) الذي يدل في صوته على الشدة في التعذيب , مع الإيقاع العام للسورة , إذ تحدث هذه السورة وقعا في أذن السامع يُشعره بأهوال ذلك اليوم .

(أصلى) :

ورد الفعل (أصلى) أربع مرات في القرآن الكريم , فورد في قوله تعالى: ﴿إِنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا بِآيَاتِنَا سَوْفَ نُصَلِّيهِمْ نَارًا﴾. [النساء/٥٦] وليس المقصود من كفرهم بالآيات جودها, وإنما " يدخل في الآيات كل ما يدل على ذات الله وأفعاله وصفاته وأسمائه والملائكة والكتب والرسل . وكفرهم بالآيات ليس يكون بالجحد , لكن بوجوه , منها أن ينكروا كونها آيات, ومنها أن يغفلوا عنها فلا ينظروا فيها.ومنها أن يلقوا الشكوك والشبهات فيها... " (٣).
"والمراد سوف ندخلهم نارا عظيمة" (٤).

1 . المرجع نفسه , ج٢٩ , ص ٥٠ .

2 . الألوسي , روح المعاني , ج٢٩ , ص ٥٠ .

3 . فخر الدين الرازي , التفسير الكبير , ج١٠ , ص ١٠٨ .

4 . الشوكاني , فتح القدير , ج١ , ص ٤٧٩ .

وورد في قوله تعالى: ﴿وَمَنْ يَفْعَلْ ذَلِكَ عُدْوَانًا وَظُلْمًا فَسَوْفَ نُصَلِّيهِ نَارًا﴾. [النساء/٣٠]

أي من يأكل المال بالباطل ويقتل النفس عدواناً وظلماً فسوف ندخله النار^(١). وقال الألويسي:
"ندخله إياها ونحرقه بها , والجملة جواب الشرط"^(٢).

وورد في قوله تعالى: ﴿وَمَنْ يُشَاقِقِ الرَّسُولَ مِنْ بَعْدِ مَا تَبَيَّنَ لَهُ الْهُدَىٰ وَيَتَّبِعْ غَيْرَ سَبِيلِ

الْمُؤْمِنِينَ نُوَلِّهِ مَا تَوَلَّىٰ وَنُصَلِّهِ جَهَنَّمَ وَسَاءَتْ مَصِيرًا﴾. [النساء/١١٥] وهذه الآية "نزلت في طعمة بن أبيرق , وذلك أنه لما ظهرت عليه السرقة خاف على نفسه من قطع اليد والفضيحة , فهرب إلى مكة وارتد عن الدين"^(٣). ومعنى نُصَلِّهِ: "ندخله إياها"^(٤).

وورد في قوله تعالى: ﴿سَأُصَلِّيهِ سَقَرَ﴾. [المدثر/٢٦] والمقصود في الآية الوليد بن

المغيرة, قال فخر الدين الرازي: "أجمعوا على أن المراد ههنا الوليد بن المغيرة"^(٥). ومعنى الآية: "سأدخله سقر كي يصلى حرها , وإنما سميت سقر من: سَقَرْتُهُ الشمسُ, إذا أذابتها ولوحتها وأحرقت جلده وجهه"^(٦), ولا ينصرف للتعريف والتأنيث"^(٧).

بعد الوقوف على السياقات التي ورد فيها الفعلان (صَلَّى , وأصلى), ثم الوقوف على

تفاسيرها, يُلاحظ ما يلي :

أولاً: ورد الفعل (صَلَّى) بالتشديد مرة وحيدة , وقد اختصَّ بأحد رؤوس الكفر هو الأسود

بن عبد الأسد . فتناسب التشديد مع شدة عذاب هذا الكافر , لذلك أسند الفعل (صَلَّى) إلى ضمير

1 . انظر : الواحدي , الوجيز في تفسير الكتاب العزيز , ج ١ , ص ٢٦١ .

2 . الألويسي , روح المعاني , ج ٥ , ص ١٦ .

3 . البغوي , تفسير البغوي , ج ٢ , ص ٢٨٧ .

4 . أبو السعود , إرشاد العقل السليم إلى مزايا القرآن الكريم , ج ٢ , ص ٢٣٣ .

5 . فخر الدين الرازي , التفسير الكبير , ج ٣٠ , ص ١٧٥ .

6 . سَقَرْتَهُ الشمسُ تَسْقُرُهُ سَقْرًا لَوْحَتَهُ وَأَلَمَتْ دماغه بحرّها ... وسقر اسم من أسماء جهنم مشتق من ذلك ...

وهو اسم أعجمي علم لنار الآخرة (ابن منظور , لسان العرب , مادة : سقر , ج ٤ , ص ٣٧٢)

7 . القرطبي , الجامع لأحكام القرآن , ج ١٩ , ص ٧٧ .

الرفع العائد على الزبانية في قوله تعالى: (ثم الجحيم صلّوه) ليصور شدة الزبانية في التعامل معه. وهذا التصوير جاء مفصلاً , فسوف يوتقونه بشدة , ثم يلقونه في الجحيم , ثم يطوقونه بسلسلة عظيمة

ثانيا : عندما ورد الفعل (صلّى) ذُكرت النار باسم الجحيم . والجحيم منزلة شديدة في النار , فهي أشدّ من جهنم , وأشدّ من سقر , وأشدّ من لظى , فقد ورد " عن ابن جريج في قوله : لها سبعة أبواب . قال : أولها جهنم ثم لظى ثم الحطمة ثم السعير ثم سقر ثم الجحيم ثم الهاوية"^(١) . وفي البحر المحيط : "النار سبع دركات، قيل: أولها جهنم، ثم لظى، ثم الحطمة، ثم السعير، ثم سقر، ثم الجحيم ، ثم الهاوية . وقد تسمى جميعها باسم الطبقة الأولى ، وبعض الطبقات باسم بعض لأن لفظ النار يجمعها"^(٢) .

ثالثا : عندما ورد الفعل (أصلّى) كان بمعنى إدخال النار , وقد أُسندَ إلى الله تعالى في الآيات الأربعة . فالأمر في إدخال النار لله تعالى وحده, يُدخل النار من يشاء , ويُجنبها من يشاء . وبعد أن يأمر الله تعالى بإدخال أهل النار , يقوم الزبانية بتعذيب أهل النار بأمر الله تعالى . لذلك أُسند الفعل ههنا إلى الله , بينما أُسند الفعل (صلّى) إلى الزبانية .

رابعا: عندما ورد الفعل (أصلّى) ذُكرت النار باسم (سقر) في واحدة من الآيات , وكان الحديث عن الوليد بن المغيرة , وذُكرت باسم (جهنم) في آية أخرى , وكان الحديث عن طعمة بن أبيرق , ثم ذُكرت باسم (النار) مرتين , وكان الحديث عمّن يعصي الله بما تضمنت الآيات . لذلك كانت درجة التعذيب في النار غير مُعلنة كما في الآيات السابقة ليأخذ كلّ عاصٍ جزاءه من العذاب بحسب الذنب الذي أتى به , فأهل النار متفاوتون بحسب ذنوبهم .

1 . أبو الفرج الحنبلي , التخويف من النار والتعريف بحال دار البوار , ط ١ , ١٣٩٩هـ , مكتبة دار البيان، دمشق. ج ١، ص ٥٠ .

2 . أبو حيان الأندلسي , البحر المحيط ، ج ٣ ، ص ٣٩٦ .

(عَجَل , وَأَعَجَلَ)

" العين والجيم واللام أصلان صحيحان يدل أحدهما على الإسراع والآخر على بعض الحيوان " (١) . والمعنى المراد من الفعلين (عَجَلَ , وَأَعَجَلَ) لا يخرج عن المعنى الأول , أي الإسراع . قال الخليل : " استعجلته أي حثثته وأمرته أن يعجل في الأمر . وأعجلته وتعجلت خواجه أي كلفته أن يعجله " (٢) . وفي لسان العرب : " العَجَلُ والعَجَلَةُ السرعةُ خلاف البُطءُ . ورجُلٌ عَجَلٌ وعَجَلٌ وعَجَلَانٌ وعَاجِلٌ وعَجِيلٌ من قوم عَجَالِيٍّ وعُجَالِيٍّ وعُجَالٍ , وهذا كُلُّهُ جمع عَجَلَانٍ ... والاستِعْجَالُ والإِعْجَالُ والتَّعَجُّلُ واحد: بمعنى الاستِحْتِثَاتِ وطلب العَجَلَةِ . وَأَعَجَلَهُ وعَجَّلَهُ تَعْجِيلًا إِذَا اسْتَحْتَثَهُ " (٣) .

ورد الفعل (عَجَلَ) في القرآن الكريم خمس مرات , وورد الفعل (أَعَجَلَ) مرة واحدة . وقد أشار الفعلان إلى معنى الإسراع الذي هو من الاستعجال . فجاء الفعل (أَعَجَلَ) للدلالة على استعجال الجزاء الذي كان في الغالب شرًا , وجاء الفعل (أَعَجَلَ) للدلالة على استعجال اللقاء بدافع الشوق , وبيان ذلك على النحو الآتي :

(عَجَلَ) :

ورد الفعل (عَجَلَ) خمس مرات في القرآن الكريم , وقد دلَّ هذا الوزن على تعجيل الجزاء , سواء أكان الجزاء خيرا أم شرا . فدَلَّ على تعجيل العقاب في الدنيا , ودَلَّ على تعجيل حطام الدنيا الذي هو سبب في العذاب في الآخرة , ودَلَّ على تعجيل الخير للمجاهدين في سبيل الله , وذلك على النحو الآتي :

- 1 . أحمد بن فارس , مقاييس اللغة , مادة (عجل) , ج ٤ , ص ٢٣٧ .
- 2 . الخليل بن أحمد , كتاب العين , مادة (عجل) , ج ١ , ص ٢٢٧ .
- 3 . ابن منظور , لسان العرب , مادة (عجل) , ج ١١ , ص ٤٢٥ .

أ . تعجيل العقاب : وقد ورد في قوله تعالى : ﴿وَرَبُّكَ الْغَفُورُ ذُو الرَّحْمَةِ لَوْ يُؤَاخِذُهُمْ بِمَا كَسَبُوا لَعَجَّلَ لَهُمُ الْعَذَابَ بَلْ لَهُمْ مَوْعِدٌ لَنْ يَجِدُوا مِنْ دُونِهِ مَوْثِقًا﴾ . [الكهف/٥٨] قال ابن عطية : " ولو أخذوا بحسب ما يستحقونه لبادرهم بالعذاب المبيد لهم ولكنه تعالى أخرهم " (١) .
فالتعجيل هنا للعذاب .

وورد في قوله تعالى حكاية عن كفار مكة : ﴿وَقَالُوا رَبَّنَا عَجِّلْ لَنَا قِطْنَآ قَبْلَ يَوْمِ الْحِسَابِ﴾ . [ص/١٦] فهم يريدون تعجيل عذابهم لأنهم منكرون له , " يعني كفار مكة حين ذكر الله في كتابه فأما من أوتى كتابه بيمينه وأما من أوتى كتابه بشماله " (٢) . لقد كذب هؤلاء الكفار بيوم الحساب , " وقالوا بطريق الاستهزاء والسخرية ربنا عجل لنا قسطنا ونصيبنا من العذاب الذي توعدنا به , ولا تؤخره إلى يوم الحساب " (٣) .

وورد في قوله تعالى : ﴿وَلَوْ يُعَجِّلُ اللَّهُ لِلنَّاسِ الشَّرَّ اسْتِعْجَالَهُمْ بِالْخَيْرِ لَقُضِيَ إِلَيْهِمْ أَجْلُهُمْ﴾ . [يونس/١١] قال القرطبي : " قيل معناه ولو عجل الله للناس العقوبة كما يستعجلون الثواب والخير لماتوا لأنهم خلقوا في الدنيا خلقا ضعيفا , وليس هم كذا يوم القيامة , لأنهم يوم القيامة يخلقون للبقاء " (٤) , " وهذا من لطفه وإحسانه بعباده , أنه لو عجل لهم الشر إذا أتوا بأسبابه , وبادرهم بالعقوبة على ذلك كما يعجل لهم الخير إذا أتوا بأسبابه , (لقضي إليهم أجلهم) أي لمحقتهم العقوبة . ولكنه تعال يمهلهم ولا يهملهم , ويعفو عن كثير من حقوقه , فلو يؤاخذ الله الناس بظلمهم , ما ترك على ظهرها من دابة " (٥) .

-
- 1 . ابن عطية , المحرر الوجيز , ج ٣ , ص ٥٢٦ .
 - 2 . الفيروز آبادي , تنوير المقباس من تفسير ابن عباس , ج ١ . ص ٣٨١ .
 - 3 . الألويسي , روح المعاني , ج ٢٣ , ص ١٧٣ .
 - 4 . القرطبي , الجامع لأحكام القرآن , ج ٨ , ص ٣١٥ .
 - 5 . السعدي , تيسير الكريم الرحمن في تفسير كلام المنان , ج ١ , ص ٣٥٩ .

ب . تعجيل حطام الدنيا : وورد في قوله تعالى : ﴿مَنْ كَانَ يُرِيدُ الْعَاجِلَةَ عَجَّلْنَا لَهُ فِيهَا مَا نَشَاءُ لِمَنْ نُرِيدُ ثُمَّ جَعَلْنَا لَهُ جَهَنَّمَ يَصَلَّاهَا مَذْمُومًا مَدْحُورًا﴾ . [الإسراء/١٨] أي من أراد الدنيا "فإن الله يعجل له من حطامها ومتاعها ما يشاؤه ويريده ... ثم يجعل له في الآخرة جهنم يصلها , أي : يباشر عذابها " (١) . والتعجيل هنا لحطام الدنيا ومتاعها الذي يكون سببا للعذاب . قال الكلبي : " يعجل الله لهم حظا من الدنيا بقبدين أحدهما تقييد المقدار المعجل بمشيئة الله , والآخر تقييد الشخص المعجل له بإرادة الله " .

ج . تعجيل الخير : ورد ذلك في قوله تعالى : ﴿وَعَدَّكُمْ اللَّهُ مَغَانِمَ كَثِيرَةً تَأْخُذُونَهَا فَعَجَّلَ لَكُمْ هَذِهِ وَكَفَّ أَيْدِيَ النَّاسِ عَنْكُمْ﴾ . [الفتح/٢٠] قال الواحدي : " وعدكم الله مغنم كثيرة تأخذونها . وهي الفتوح التي تفتح لهم إلى يوم القيامة . فعجل لكم هذه , يعني خيبر " (٢) . فالتعجيل هنا بمعنى تعجيل الجزاء , لكنّ الجزاء في هذه الآية يختلف عن الجزاء في الآيات السابقة , فهذا تعجيل من الله تعالى للمسلمين يبشّرهم به بالغنائم جزاءً على صبرهم .

بعد تتبع مواطن ذكر الفعل (عَجَلَ) في القرآن الكريم , والوقوف على تفاسير الآيات التي ورد فيها , يُلاحظ أنه جاء مشيراً إلى استعجال الجزاء , فأشار إلى تعجيل الشرّ في أربعة مواضع , وكانت العجلة غير محمودة , كالتي تُقال في المثل : في العجلة الندامة . وأشار في موضع وحيد إلى تعجيل جزاء الخير , فأشار إلى تعجيل الحصول على غنيمة وعدّ الله بها المسلمين . فتناسب الفعل المضعّف في دلالاته على التكثير مع عجلة ابن آدم التي أخبر الله تعالى عنها , قال تعالى : ﴿خُلِقَ الْإِنْسَانُ مِنْ عَجَلٍ﴾ . [الأنبياء/٣٧] وقال تعالى : ﴿وَكَانَ الْإِنْسَانُ عَجُولًا﴾ .

1 . السعدي , تيسير الكريم الرحمن في تفسير كلام المنان , ج ١ ص ٤٥٥ .

2 . الواحدي , الوجيز في تفسير الكتاب العزيز , ج ٢ , ص ١٠١١ .

(أعجل) :

ورد الفعل (أعجل) في القرآن الكريم مرةً وحيدة في قوله تعالى : ﴿وَمَا أَعْجَلَكَ عَنْ قَوْمِكَ يَا مُوسَى ، قَالَ هُمْ أَوْلَاءٌ عَلَيَّ أَثْرِي وَعَجَلْتُ إِلَيْكَ رَبِّ لِتَرْضَى﴾ . [طه/٨٣، ٨٤] والآية لم تأت في سياق استعجال الجزاء كما في الآيات السابقة ، وإنما هي عجلة الشوق إلى الله تعالى ، قال ابن عطية : " رأى على جهة الاجتهاد أن يتقدم وحده مبادرا إلى أمر الله تعالى ، وحرصا على القرب منه وشوقا إلى مناجاته" (١) ، وقال الواحدي : "سبقهم شوقا إلى ميعاد الله" (٢) ، فالعجلة بدافع الشوق إلى الله تعالى ، وقد عبّر موسى عليه السلام عن ذلك بابتغاء الرضا ، قال القرطبي : " كنى عن ذكر الشوق وصدقه إلى ابتغاء الرضا" (٣) .

لقد جاء الفعل على وزن (أفعل) لأن الكلام في حضرة النبي موسى عليه السلام ، فما كان في قلبه من استعجال ليس للحصول على جزاء ما ، وإنما هو الاستعجال إلى لقاء الله تعالى حباً وشوقاً . فكأن مجيء الفعل على وزن (أفعل) قد فرق بين ذلك الاستعجال الذي أشار إليه وزن (فعل) وهو في الغالب استعجالٌ للشر ، وهذا الاستعجال الذي هو شوقٌ إلى الله تعالى ، وصادر عن نبيٍّ من أنبياء الله تعالى . قال الفخر الرازي : " العجلة مذمومة . والجواب : إنها ممدوحة في الدين" (٤) .

1 . ابن عطية ، المحرر الوجيز ، ج ٤ ، ص ٥٧ .

2 . الواحدي ، الوجيز في تفسير الكتاب العزيز ، ج ٢ ، ص ٧٠٢ .

3 . القرطبي ، الجامع لأحكام القرآن ، ج ١١ ، ص ٢٣٣ .

4 . فخر الدين الرازي ، التفسير الكبير ، ج ٢٢ ، ص ٨٥ .

(نَبَأٌ , وَأَنْبَاءٌ)

" النون والباء والهمزة قياسه الإتيان من مكان إلى مكان , يُقال للذي ينبأ من أرض إلى أرض نأبىء , وسيلٌ نأبىءٌ أتى من بلد إلى بلد , ورجلٌ نأبىءٌ مثله ... ومن هذا القياس النبأ الخبر , لأنه يأتي من مكان إلى مكان " (١) . قال الخليل بن أحمد : " النبأ مهموزٌ الخبر , وإن لفلان نبأ أي خبرا , والفعل نبأته وأنبأته واستنبأته , والجميع الأنباء " (٢) . وفي لسان العرب : " النبأ : الخبر , والجمع أنباءٌ ... وقد أنبأه إياه وبه , وكذلك نبأه " (٣) . " وقيل : نبأته أبلغ من أنبأته , قال تعالى : (مَنْ أَنْبَأَكَ هَذَا قَالَ نَبَأَنِي الْعَلِيمُ الْخَبِيرُ) . [التحریم/٣] لم يقل أنبأني , بل عدل إلى نبأ الذي هو أبلغ , تنبيهاً على تحقيقه وكونه من قبل الله تعالى " (٤) . وقد ذكر المعجميون فروقا بين النبأ والخبر , " فالنبأ : خبرٌ ذو فائدةٍ عظيمةٍ يحصل به علمٌ أو غلبةٌ ظن , ولا يُقال للخبر في الأصل نبأ حتى يتضمَّن هذه الأشياء الثلاثة , ويكون صادقا , وحقه أن يتعرَّى عن الكذب ... وقد أنبأه إياه إذا تضمَّن معنى العلم , وأنبأ به إذا تضمَّن معنى الخبر " (٥) .

ورد الفعلان (نبأ , وأنبأ) في القرآن الكريم , فورد الفعل (نبأ) ستا وأربعين مرة , وورد الفعل (أنبأ) أربع مرات . وقد دلَّ الفعلان على معنى الإخبار الذي أشار إليه المعجميون , مع انسجام كل منهما مع السياقات القرآنية التي ورد فيها , فدلَّ الفعل (نبأ) على الخبر نفسه , ودلَّ الفعل (أنبأ) على شيء آخر خارج تفاصيل الخبر , وبيان ذلك على النحو الآتي :

- 1 . ابن فارس , مقاييس اللغة , مادة (نبأ) , ج ٥ , ص ٣٨٥ .
- 2 . الخليل بن أحمد , كتاب العين , مادة (نبأ) , ج ٨ , ص ٣٨٢ .
- 3 . لسان العرب , مادة (نبأ) , ج ١ , ص ١٦٢ .
- 4 . الزبيدي , تاج العروس , مادة (نبأ) , ج ١ , ص ٤٤٣ — ٤٤٤ .
- 5 . تاج العروس , مادة (نبأ) . وانظر : موسى الأحمد , معجم الأفعال المتعدية بحرف , ج ١ , ص ٣٦٠ .

(نَبَأٌ)

اختصَّ الفعل (نَبَأٌ) بالإخبار عن شيء على وجه التفصيل , بحيث يكون الخبر الذي عبّر عنه هو محور الحديث في الجملة , فتكون خلاصة الجملة وفائدتها في الخبر عينه . وقد أدى الفعل (نَبَأٌ) هذا المعنى من خلال الدلالات الآتية :

أولاً : إخبار الخلق في الآخرة بما كانوا عليه في الدنيا :

وهو إخبار على وجه التفصيل والتبيين مرتبطٌ بالجزاء , فيخبر الله تعالى خلقه بما عملوه في الدنيا , فيأخذ كلُّ جزاءه بما عمل . وقد ورد الفعل (نَبَأٌ) معبّراً عن إخبار الخلق في الآخرة بما عملوه في الدنيا واحداً وعشرين مرّة , وتتوعت طرق التعبير عن الخبر – ضمن هذه الدلالة – من خلال خمسة أفعال , بحيث يعبر كلُّ منها عن تفاصيل الخبر , فجاء إخبار الخلق بما عملوا , وبما فعلوا , وبما صنعوا , وبما اختلفوا فيه , وبما قدّموا وأخروا . وبيان ذلك على النحو الآتي :

أ . إخبار الخلق بما عملوا : فيخبر الله تعالى خلقه بما عملوه في الدنيا , وقد ورد ذلك ست عشرة مرّة , فورد في قوله تعالى: ﴿إِلَى اللَّهِ مَرْجِعُكُمْ جَمِيعًا فَيُنَبِّئُكُمْ بِمَا كُنْتُمْ تَعْمَلُونَ﴾ . [المائدة/١٠٥] وقوله : ﴿ثُمَّ إِلَىٰ رَبِّكُمْ مَرْجِعُكُمْ فَيُنَبِّئُكُمْ بِمَا كُنْتُمْ تَعْمَلُونَ﴾ . [الزمر/٧] وقوله: ﴿وَسْتَرْدُّونَ إِلَىٰ عَالَمِ الْغَيْبِ وَالشَّهَادَةِ فَيُنَبِّئُكُمْ بِمَا كُنْتُمْ تَعْمَلُونَ﴾ . [التوبة/١٠٥] وورد ذلك أيضا في مواضع آخر (١) .

1 . ورد ذلك في : الجمعة / ٨ , و التوبة / ٩٤ , والأنعام/ ٦٠ , ويونس/ ٢٣ , والعنكبوت/ ٨ , ولقمان/ ١٥ , ٢٣ , والأنعام/ ١٠٨ , والمجادلة/ ٦٠٧ , والنور/ ٦٤ , والتغابن/ ٧ , وفصلت/ ٥٠ .

ب . إخبار الخلق بما فعلوا : وقد ورد ذلك مرّة وحيدة , قال تعالى: ﴿إِنَّ الَّذِينَ فَرَّقُوا دِينَهُمْ وَكَانُوا شِيَعًا لَسْتَ مِنْهُمْ فِي شَيْءٍ إِنَّمَا أَمْرُهُمْ إِلَى اللَّهِ ثُمَّ يُنَبِّئُهُمْ بِمَا كَانُوا يَفْعَلُونَ﴾ .
[الأنعام/١٥٩]

ج . إخبار الخلق بما صنعوا : وقد ورد ذلك مرّة وحيدة , قال تعالى: ﴿وَمِنَ الَّذِينَ قَالُوا إِنَّا نَصَارَى أَخَذْنَا مِيثَاقَهُمْ فَنَسُوا حَظًّا مِمَّا ذُكِّرُوا بِهِ فَأَغْرَيْنَا بَيْنَهُمُ الْعَدَاوَةَ وَالْبَغْضَاءَ إِلَى يَوْمِ الْقِيَامَةِ وَسَوْفَ يُنَبِّئُهُمُ اللَّهُ بِمَا كَانُوا يَصْنَعُونَ﴾ . [المائدة/١٤]

يُلاحظُ أن الإخبار — الذي عبّر عنه الفعل (نباً) — ارتبط ستّ عشرة مرّة بالفعل (عملوا) , بينما ارتبط مرّة وحيدة بكل من الفعلين (فعلوا , وصنعوا) , ولعلّ ذلك يحمل دلالات تتناسب مع السياقات القرآنية . وليبيان ذلك لا بدّ من توضيح الفرق بين كلّ من : الفعل , والعمل , والصنع . قال الراغب : " فالعمل كل فعل يكون من الحيوان بقصد , وهو أخصّ من الفعل , لأن الفعل قد ينسب إلى الحيوانات التي يقع منها فعل بغير قصد , وقد ينسب إلى الجمادات , والعمل قلما ينسب إلى ذلك , ولم يستعمل العمل في الحيوانات إلا في قولهم : البقر العوامل . والعمل يستعمل في الأعمال الصالحة والسيئة" (١) . وقال أيضا : "الصنع إجادة الفعل , فكل صنع فعل وليس كل فعل صنعا , ولا ينسب إلى الحيوانات والجمادات كما ينسب إليها الفعل " (٢) . وبناءً على ذلك يكون " الصنع أخصّ الثلاثة , والعمل أوسطها , والفعل أعمها , وكل صنع عمل ولا عكس , وكل عمل فعل ولا عكس " (٣) .

1 . الراغب الأصفاني , المفردات في غريب القرآن , ج ١ , ص ٣٤٨ .

2 . المرجع نفسه , ج ١ , ص ٢٨٦ .

3 . عبد الرؤوف المناوي , فيض القدير شرح الجامع الصغير , الطبعة الأولى , المكتبة التجارية الكبرى , مصر , ١٣٥٦هـ . ج ١ , ص ٥٣٣ .

يُستنتج مما سبق أن العمل أخص من الفعل , و الصنع أخص منهما . فالفعل عام لما كان بقصدٍ أو بغير قصد , ولما كان بعلم أو بجهل . والعمل خاص لما كان بقصد , سواء أكان خيراً أم شراً . والصنع خاص لما كان بقصد , مع إجادة الفعل . وبناءً على المعاني التي يحملها كلٌّ من : الفعل , والعمل , والصنع , فإن دلالات الإخبار عنها ستكون على النحو الآتي :

اختصَّ إخبار الخلق بما عملوا بالإفعال المقصودة, فجاء السياق القرآني جامعاً بين الفعل (نبأ) و (العمل) للدلالة على تنوع أعمال البشر – في الدنيا – بين الخير والشر , وبالتالي تنوع الجزاء – في الآخرة – بين الثواب للمحسن والعقاب للمسيء . فدلَّ إخبار الخلق بما عملوا على عدل الله تعالى بعباده , فكلُّ سيجازى بما عمله في الدنيا سواء أكان العمل خيراً أم شراً . ودلَّ أيضاً على رحمة الله تعالى بعباده , وكأن النصوص القرآنية التي ورد فيها الفعل (نبأ) مع (العمل) , جاءت مشيرة إلى أنه من عمل عملاً سيئاً بغير قصد فلا عقاب له . فكأنها أشارت من خلال هذه الدلالات إلى قوله تعالى : ﴿ وَلَيْسَ عَلَيْكُمْ جُنَاحٌ فِيمَا أَخْطَأْتُمْ بِهِ وَلَكِنْ مَا تَعَمَّدَتْ قُلُوبُكُمْ ﴾ . [الأحزاب/٥] وإلى قوله صلى الله عليه وسلم : " إِنَّ اللَّهَ تَجَاوَزَ عَنِّ أُمَّتِي الْخَطَأَ وَالنِّسْيَانَ وَمَا اسْتَكْرَهُوا عَلَيْهِ " (١) .

أما إخبار الخلق بما فعلوا – من خلال الفعل (نبأ) – فقد حَقَّق انسجاماً مع السياق القرآني الذي ورد فيه , فالفعل أعم من العمل , فهو عام لما كان بإجادة أو غير إجادة , ولما كان بعلم أو غير علم , وقصد أو غير قصد^(٢) . ولعلَّ هذا ينسجم مع معنى الآية التي ورد فيها , ففي قوله تعالى : "إِنَّ الَّذِينَ فَرَّقُوا دِينَهُمْ وَكَانُوا شِيَعًا لَسْتَ مِنْهُمْ فِي شَيْءٍ إِنَّمَا أَمْرُهُمْ إِلَى اللَّهِ ثُمَّ يُنَبِّئُهُمْ بِمَا كَانُوا يَفْعَلُونَ" . قال الفخر الرازي : "هم اليهود والنصارى ، وذلك لأنَّ النصرى

1 . ابن ماجه, سنن ابن ماجه , تحقيق بشار عواد معروف, الطبعة الأولى , دار الجيل , ١٤١٨هـ - ١٩٩٨م . ج ٣, ص ٤٤٤ .

2 . الراغب الأصفهاني , المفردات في غريب القرآن , ج ١ , ص ٣٨٢ .

تفرقوا فرقا ، وكفر بعضهم بعضاً ، وكذلك اليهود ، وهم أهل كتاب واحد ، واليهود تكفّر النصارى" (١) . وقال أبو السعود: "كانوا جاهلين بحال ما ارتكبهوه, غافلين عن سوء عاقبته" (٢) . فكأن التركيز في الخطاب الموجّه إلى سيدنا محمد صلى الله عليه وسلم في قوله : (لست منهم في شيء), أكثر منه في قوله تعالى : (ثم ينبئهم بما كانوا يفعلون) , لذلك قال : (يفعلون) ولم يقل: (يعملون) لأن القوم قد تخطبوا بأفعال كثيرة وبعيدة عن الدين الصحيح , فجاء الخطاب الإلهي موجّها للنبيّ صلى الله عليه وسلم ليخبره أنّ أمر هؤلاء الأقوام , وما تخطبوا فيه من أفعال مردّه إلى الله تعالى . أما أنت يا محمد فلست منهم في شيء , " أي من السؤال عنهم وعن تفرّقهم " (٣) . " ذلك أن اليهود والنصارى اختلفوا قبل مبعث محمد صلى الله عليه وسلم فتفرقوا , فلما بُعث محمد صلى الله عليه وسلم أنزل الله عليه : (إن الذين فرقوا دينهم وكانوا شيعا لست منهم في شيء...)" (٤) .

أمّا إخبار الخلق بما صنعوه — من خلال الفعل (نبا) — فقد حقّق انسجاما مع السياق القرآني الذي ورد فيه في قوله تعالى: ﴿وَمِنَ الَّذِينَ قَالُوا إِنَّا نَصَارَى أَخَذْنَا مِيثَاقَهُمْ فَنَسُوا حَظًّا مِمَّا ذُكِّرُوا بِهِ فَأَعْرَبْنَا بَيْنَهُمُ الْعَدَاوَةَ وَالْبَغْضَاءَ إِلَى يَوْمِ الْقِيَامَةِ وَسَوْفَ يُنَبِّئُهُمُ اللَّهُ بِمَا كَانُوا يَصْنَعُونَ﴾. [المائدة/١٤] والحديث عن النصارى خاصّة, "يعني نصارى نجران" (٥), وهو على وجه التفصيل لبيان صنيعهم في نقض العهود والكذب على الله سبحانه وتعالى , قال ابن كثير: " هذا تهديد ووعد أكيد للنصارى على ما ارتكبهوه من الكذب على الله ورسوله , وما نسبوه إلى

1 . فخر الدين الرازي , التفسير الكبير , ج ١٤ , ص ٨ .

2 . أبو السعود , إرشاد العقل السليم إلى مزايا القرآن الكريم , ج ٣ , ص ٢٠٦ .

3 . الزمخشري , الكشاف , ج ٢ , ص ٧٩ .

4 . ابن كثير , تفسير القرآن العظيم , ج ٢ , ص ١٩٧ .

5 . الفيروز آبادي , تنوير المقباس من تفسير ابن عباس , ج ١ , ص ٩٠ .

الربَّ عزَّ وجلَّ وتعالى وتقدس عن قولهم علوا كبيرا من جعلهم له صاحبة وولدا " (١). فصنيع النصارى لم يكن بلا قصد , بل كان عملا متقنا أصرّوا فيه على الاستمرار في نقض الميثاق , والافتراء على الله تعالى . فجاء الفعل (صنعوا) معبرا عن معنيين : الأول : القصد فيما صنعه النصارى , والثاني : إجادة الافتراء والإصرار عليه , قال أبو السعود : " أي يجازيهم بما عملوا على الاستمرار من نقض الميثاق ونسيان الحظ الوافر مما ذكروا به , وسوف لتأكيد الوعيد " (٢) .

د . إخبار الخلق بما قدموا وأخروا : وقد ورد ذلك مرّة واحدة , قال تعالى : ﴿إِلَىٰ رَبِّكَ يَوْمَئِذٍ الْمُسْتَقَرُّ، يُنَبِّأُ الْإِنْسَانَ يَوْمَئِذٍ بِمَا قَدَّمَ وَأَخَّرَ﴾. [القيامة/١٢، ١٣] فهو إخبار على وجه التفصيل والتبيين , " أي بجميع أعماله , ما قدّم منها في أول عمره وما أخّر في آخره . وقيل : ما قدّم في حياته , وما أخّر من سنّة أو وصية بعد مماته . وقيل ما قدّم لنفسه من ماله , وما أخّر منه لورثته " (٣) .

هـ . إخبار الخلق بما اختلفوا فيه : وهو إخبار على وجه التفصيل والتبيين أيضا , وقد ورد ذلك مرتين , فورد في قوله تعالى : ﴿إِلَىٰ اللَّهِ مَرْجِعُكُمْ جَمِيعًا فَيُنَبِّئُكُمْ بِمَا كُنْتُمْ فِيهِ تَخْتَلِفُونَ﴾ . [المائدة/٤٨] فجمع الفعل (نبأ) بين الدلالة على التفصيل والمجازاة . قال أبو السعود : " أي فيفعل بكم من الجزاء الفاصل بين المحق والمبطل ما لا يبقى لكم معه شائبة شك فيما كنتم فيه تختلفون في الدنيا , وإنما عبر عن ذلك بما ذكر لوقوعه موقع إزالة الاختلاف التي هي وظيفة الإخبار " (٤) . وكذلك في قوله تعالى : ﴿ثُمَّ إِلَىٰ رَبِّكُمْ مَرْجِعُكُمْ فَيُنَبِّئُكُمْ بِمَا كُنْتُمْ فِيهِ تَخْتَلِفُونَ﴾

1 . ابن كثير , تفسير القرآن العظيم , ج ٢ , ص ٣٤ .

2 . أبو السعود , إرشاد العقل السليم إلى مزايا القرآن الكريم , ج ٣ , ص ١٧ .

3 . الكلبي , التسهيل لعلوم التنزيل , ج ٤ , ص ١٦٤ .

4 . أبو السعود , إرشاد العقل السليم إلى مزايا القرآن الكريم , ج ٣ , ص ٤٦ .

. [الأنعام/١٦٤] أي : " إليه مصيركم ومنقلبكم فينبئكم بما كنتم فيه في الدنيا تختلفون من الأديان والملل ... ثم يجازي جميعكم بما كان يعمل في الدنيا من خير أو شر " (١) .

ثانيا : إخبار الناس في الدنيا بما سيكون في الآخرة :

ورد الفعل (نبأ) في القرآن الكريم معبرا عن إخبار الناس في الدنيا بما سيكون في الآخرة ستّ مرّات , وكان التركيز في جميع الآيات على النبأ نفسه , لذلك جاء النبأ مفصّلا .
فورد في قوله تعالى : ﴿ زَيْنَ لِلنَّاسِ حُبُّ الشَّهَوَاتِ مِنَ النِّسَاءِ وَالْبَنِينَ وَالْقَنَاطِيرِ الْمُقَنْطَرَةِ مِنَ الذَّهَبِ وَالْفِضَّةِ وَالْخَيْلِ الْمُسَوَّمَةِ وَالْأَنْعَامِ وَالْحَرْثِ ذَلِكَ مَتَاعُ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَاللَّهُ عِنْدَهُ حُسْنُ الْمَبَإِ قُلْ أَوْفُوا بِعَهْدِكُمْ بِخَيْرٍ مِنْ ذَلِكَ لِلَّذِينَ اتَّقَوْا عِنْدَ رَبِّهِمْ جَنَّاتٌ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ خَالِدِينَ فِيهَا وَأَزْوَاجٌ مُطَهَّرَةٌ وَرِضْوَانٌ مِنَ اللَّهِ وَاللَّهُ بَصِيرٌ بِالْعِبَادِ ﴾ . [آل عمران/١٤، ١٥] فالإخبار في هذه الآية موجّه للكفار , أي " قل يا محمد للكفار " (٢) , " ووجه الآية أنه أخبر أن ما عنده خير مما في الدنيا وإن كان محبوبا " (٣) . والإخبار في هذه الآية على وجه التفصيل والتبيين .

وورد في قوله تعالى : ﴿ قُلْ هَلْ نُنَبِّئُكُمْ بِالْأَخْسَرِينَ أَعْمَالًا , الَّذِينَ ضَلَّ سَعِيَّهُمْ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَهُمْ يَحْسَبُونَ أَنَّهُمْ يُحْسِنُونَ صُنْعًا , أُولَئِكَ الَّذِينَ كَفَرُوا بِآيَاتِ رَبِّهِمْ وَلِقَائِهِ فَحَبِطَتْ أَعْمَالُهُمْ فَلَا نُقِيمُ لَهُمْ يَوْمَ الْقِيَامَةِ وَزَنًا ﴾ . [الكهف/١٠٣-١٠٥] فالإخبار هنا في الدنيا على وجه التفصيل , والأمر المخبر عنه هو أن الأخسرين أعمالا في الآخرة هم من عملوا باطلا في الدنيا , وبالتالي سيكون جزاؤهم جهنّم . قال أبو حيان : " أي قُلْ يا محمد للكافرين ... والأخسرون أعمالاً عن عليّ : هم الرهبان ... وعن مجاهد : هم أهل الكتاب . وقيل : هم الصابئون ... وينبغي حمل هذه الأقوال على

1 . الطبري , جامع البيان عن تأويل آي القرآن , ج ٨ , ص ١١٣ .

2 . الفيروزآبادي , تنوير المقباس من تفسير ابن عباس , ج ١ , ص ٤٤ .

3 . الجوزي , زاد المسير في علم التفسير , ج ١ , ص ٣٦٠ .

التمثيل لا على الحصر , إذ الأخسرون أعمالاً هم كل من دان بدين غير الإسلام، أو رآى بعمله، أو أقام على بدعة تؤول به إلى الكفر، والأخسر من أتعب نفسه فأدى تعبته به إلى النار" (١).

وورد في قوله تعالى: ﴿قُلْ أَفَأُنَبِّئُكُمْ بِشَرٍّ مِنْ ذَلِكَُ النَّارُ وَعَدَهَا اللَّهُ الَّذِينَ كَفَرُوا وَبِئْسَ الْمَصِيرُ﴾. [الحج/٧٢] والإخبار هنا عن النار التي وعد الله الكافرين بها في الآخرة , " فالنار مرتفعة على أنها خير لمبتدأ محذوف , والجملة جواب سؤال مقدر كأنه قيل : ما هذا الأمر الذي هو شر مما نكأبده ونناهده عند سماعنا ما تتلوه علينا؟ فقال: هو النار وعدها الله الذين كفروا" (٢).

وورد في قوله تعالى : ﴿نَبِيُّ عِبَادِي أَنِّي أَنَا الْغُفُورُ الرَّحِيمُ، وَأَنَّ عَذَابِي هُوَ الْعَذَابُ الْأَلِيمُ﴾. [الحجر/٥٠،٤٩] والخطاب هنا موجّه إلى سيدنا محمد صلى الله عليه وسلم , والخبر هو رحمة الله بعبادة يوم القيامة , وكذلك شدة عذابه . أي : " خبر عبادي أنني أنا الغفور : المتجاوز , الرحيم : لمن مات على التوبة . وأن عذابي هو العذاب الأليم : الوجيع لمن لم يتب ومات على الكفر" (٣).

وورد في قوله تعالى: ﴿وَقَالَ الَّذِينَ كَفَرُوا هَلْ نَدُلُّكُمْ عَلَىٰ رَجُلٍ يُنَبِّئُكُمْ إِذَا مُرِّقْتُمْ كُلَّ مُمَرِّقٍ إِنَّكُمْ لَفِي خَلْقٍ جَدِيدٍ﴾. [سبأ/٧] قال الشوكاني: "أي: يخبركم بأمر عجيب ونبأ غريب , هو أنكم إذا مرقتم كل ممزق , أي : فرقتم كل تفريق , وقطعتم كل تقطيع , وصرتم بعد موتكم رفاتنا وترابا , إنكم لفي خلق جديد , أي : تُخلقون خلقاً جديداً، وتبعثون من قبوركم أحياء , وتعودون إلى الصور التي كنتم عليها" (٤). فالخبر هو بعث الناس من قبورهم يوم القيامة على الصورة التي كانوا عليها.

1 . أبو حيان الأندلسي , البحر المحيط ج ٦ , ص ١٥٨ .

2 . الشوكاني , فتح القدير , ج ٣ , ص ٤٦٨ .

3 . الفيروزآبادي , تنوير المقباس من تفسير ابن عباس , ج ١ , ص ٢١٨ .

4 . الشوكاني , فتح القدير , ج ٤ , ص ٣١٣ .

وورد في قوله تعالى: ﴿وَيَوْمَ الْقِيَامَةِ يَكْفُرُونَ بَشِرِكُمْ وَلَا يُنَبِّئُكُمْ مِثْلُ خَبِيرٍ﴾. [فاطر/١٤] فالمُخبر في هذه الآية هو الله سبحانه وتعالى , والخبرُ " أن الأصنام يكفرون يوم القيامة بمن عبدتهم"^(١). قال الطبري: " ولا يخبرك يا محمد عن آلهة هؤلاء المشركين وما يكون من أمرها وأمر عبادتها يوم القيامة من تبرئها منهم وكفرها بهم , مثل ذي خبرة بأمرها وأمرهم , وذلك الخبير هو الله الذي لا يخفى عليه شيء"^(٢).

ثالثا : الرد على الكفار فيما يزعمونه من أكاذيب وافتراءات على الله تعالى ورسوله .

ورد الفعل (نبا) معبرا عن هذه الدلالة أربع مرات , فورد بأسلوب الأمر مرة وحيدة في قوله تعالى: ﴿قُلْ الذَّكْرَيْنِ حَرَّمَ أَمِ الذُّنَيْنِ أَمَّا اشْتَمَلَتْ عَلَيْهِ أَرْحَامُ الذُّنَيْنِ نَبُونِي بِعِلْمٍ إِنْ كُنْتُمْ صَادِقِينَ﴾. [الأنعام/١٤٣] "أي أخبروني بأمر معلوم من جهة الله تعالى من الكتاب أو أخبار الأنبياء , يدل على أنه تعالى حرم شيئا مما ذكر , أو نبئوني تنبئةً ملتبسةً بعلم , صادرةً عنه (إن كنتم صادقين) في دعوى التحريم عليه سبحانه"^(٣). فالكفار قد افتروا دعوى التحريم عليه سبحانه وتعالى , لذلك فإن الإخبار المطلوب منهم يجب أن يكون مفصلا ومثبتا بدليل قاطع, وهذا محال على الكفار لعدم وجوده في الأصل , " والمراد من هذا التبيكيت لهم وإلزام الحجة لأنه يعلم أنه لا علم عندهم"^(٤).

وورد بأسلوب الاستفهام في أربعة مواضع , فورد في قوله تعالى: ﴿قُلْ أَتُنَبِّئُونَ اللَّهَ بِمَا لَا يَعْلَمُ فِي السَّمَاوَاتِ وَلَا فِي الْأَرْضِ سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى عَمَّا يُشْرِكُونَ﴾. [يونس/١٨] أي: "أتخبرون الله

1 . الكلبي , التسهيل لعلوم التنزيل , ج ٣ , ص ١٥٦ .

2 . الطبري , جامع البيان عن تأويل آي القرآن , ج ٢٢ , ص ١٢٦ .

3 . أبو السعود , إرشاد العقل السليم إلى مزايا القرآن الكريم , ج ٣ , ص ١٩٣ .

4 . الشوكاني , فتح القدير , ج ٢ , ص ١٧١ .

أن له شركاء في ملكه يُعبدون كما يُعبد ، أو أتخبرونه أن لكم شفعاء بغير إذنه ، والله سبحانه لا يعلم لنفسه شريكا ولا شفيعا بغير إذنه من جميع مخلوقاته الذين هم في سمواته وفي أرضه . وهذا الكلام حاصله عدم وجود من هو كذلك أصلا، وفي هذا من التهكم بالكفار ما لا يخفى^(١). وقد جاءت هذه الآية ردًا على المشركين عندما زعموا أن لهم آلهة تشفع لهم عند الله ، قال الطبري: "كان المشركون يزعمون أنها تشفع لهم عند الله"^(٢).

وفي قوله تعالى: ﴿وَجَعَلُوا لِلَّهِ شُرَكَاءَ قُلْ سَمُّهُمْ أَمْ تُنَبِّئُونَهُ بِمَا لَا يَعْلَمُ فِي الْأَرْضِ أَمْ بِظَاهِرٍ مِنَ الْقَوْلِ﴾. [الرعد/٣٣] "وإنما خصَّ الأرض بنفي الشريك عنها — وإن لم يكن له شريك في غير الأرض — لأنهم ادعوا أن له شريكا في الأرض"^(٣). وتفسيرها: "أي أتخبرونه بشريك له في الأرض وهو لا يعلم لنفسه شريكا"^(٤). فالإخبار بوجود شيء لا يعلمه الله تعالى باطلٌ ومحالٌ لانتفاء وجود الشيء في الأصل ، قال الفخر الرازي : " اعلم أن المفسرين قرروا وجهاً واحداً ، وهو أن المراد من نفي علم الله تعالى بذلك تقرير نفيه في نفسه ، وبيان أن لا وجود له ألَبَتَة ، وذلك لأنه لو كان موجوداً لكان معلوماً لله تعالى ، وحيث لم يكن معلوماً لله تعالى وجب أن لا يكون موجوداً"^(٥).

وفي قوله تعالى : ﴿هَلْ أُنَبِّئُكُمْ عَلَىٰ مَنْ تَنَزَّلُ الشَّيَاطِينُ ، تَنَزَّلُ عَلَىٰ كُلِّ أَفَّاكٍ أَثِيمٍ﴾. [الشعراء/٢٢١، ٢٢٢] أي : "هل أخبركم أيها المشركون على من تنزل الشياطين ، ثم نبأ فقال : تنزل على كل أفَّاكٍ أَثِيمٍ . أي : مرتكب للآثام وهم : الكهنة والمتنبئة كسطيح وطليحة

1. المرجع نفسه ، ج ٢ ، ص ٤٣٢ .

2. الطبري ، جامع البيان عن تأويل آي القرآن ، ج ١١ ، ص ٩٨ .

3. الشوكاني ، فتح القدير ، ج ٣ ، ص ٨٥ .

4. الجوزي ، زاد المسير في علم التفسير ، ج ٤ ، ص ٣٣٣ .

5. فخر الدين الرازي ، التفسير الكبير ، ج ١٧ ، ص ٤٩ .

ومسيلمه^(١) ، " وهذا رد عليهم حين قالوا إنما يأتيه بالقرآن الشياطين"^(٢) . فجاء الفعل (نبأ) مفصلاً القول في وصف من تنزل عليه الشياطين ، ليكون ذلك ردًا صريحاً وواضحاً ، قال ابن كثير: "فزه الله سبحانه و تعالى جناب رسوله عن قولهم وافتراءهم ، ونبه أن ما جاء به إنما هو من عند الله وأنه تنزيله ووحيه"^(٣) .

وفي قوله تعالى: ﴿قُلْ هَلْ أُنَبِّئُكُمْ بِشَرِّ مِنْ ذَلِكَ مَثُوبَةً عِنْدَ اللَّهِ مَنْ لَعَنَهُ اللَّهُ وَغَضِبَ عَلَيْهِ وَجَعَلَ مِنْهُمْ الْقِرَدَةَ وَالْخَنَازِيرَ وَعَبَدَ الطَّاغُوتَ أُولَئِكَ شَرٌّ مَكَانًا وَأَضَلُّ عَنْ سَوَاءِ السَّبِيلِ﴾ . [المائدة/٦٠] " نزلت في مقاتلهم : وما نعلم أهل دين من الأديان أقل حظاً من محمد صلى الله عليه وسلم وأصحابه"^(٤) ، والمعنى: "قل يا محمد هل أخبركم بشر من ذلك الذي ذكرتم ، يعني قولهم لم نر أهل دين أقل حظاً في الدنيا والآخرة منكم ، ولا ديناً شراً من دينكم... هو من لعنه الله وغضب عليه وجعل منهم القردة والخنازير... "^(٥) . فالخبر عن اليهود الذين مسخهم الله قردةً وخنازير ، قال الشوكاني: "هم اليهود ، فإن الله مسخ أصحاب السبت قردة وكفار مائدة عيسى منهم خنازير"^(٦) . وعن ابن عباس: "جعل منهم القردة في زمن داود النبي صلى الله عليه وسلم ، والخنازير في زمن عيسى بعد أكلهم من المائدة " ^(٧) .

رابعا : الإخبار في الدنيا عن شيء مضى :

ورد الفعل (نبأ) للدلالة على تفصيل الخبر عن شيء مضى ثلاث مرّات ، فورد في قوله تعالى : ﴿ فَلَمَّا ذَهَبُوا بِهِ وَاجْمَعُوا أَنْ يَجْعَلُوهُ فِي غِيَابَةِ الْجَبِّ وَأَوْحَيْنَا إِلَيْهِ لَتُنَبِّئَنَّهُمْ بِأَمْرِهِمْ

- 1 . تفسير النسفي ، ج ٣ ، ص ٢٠١ .
- 2 . الجوزي ، زاد المسير في علم التفسير ، ج ٦ ، ص ١٤٩ .
- 3 . ابن كثير ، تفسير القرآن العظيم ، ج ٣ ، ص ٣٥٣ .
- 4 . الفيروز آبادي ، تنوير المقباس من تفسير ابن عباس ، ج ١ ، ص ٩٦ .
- 5 . تفسير البغوي ، ج ٣ ، ص ٧٥ .
- 6 . الشوكاني ، فتح القدير ، ج ٢ ، ص ٥٥ .
- 7 . الفيروز آبادي ، تنوير المقباس من تفسير ابن عباس ، ج ١ ، ص ٩٧ .

هَذَا وَهُمْ لَا يَشْعُرُونَ ﴿١٥﴾ . [يوسف/١٥] " أي لتخبرن إخوتك بأمرهم هذا الذي فعلوه معك بعد خلوصك مما أرادوه بك من الكيد " (١) ، فالله تعالى أوحى إلى سيدنا يوسف أنه سينبئهم في المستقبل بما فعلوه به بعد أن يصبح ذا سلطان ، فالإنباء سيكون في المستقبل ، والنبأ الذي سينبئهم به سيكون عن شيء مضى وانتهى منذ سنين لحظة الإخبار به ، وقد صدق الله تعالى ما أوحاه لنبيه ، ذلك أن سيدنا يوسف قد نبأهم بما فعلوه بأخيهم — أي بما فعلوه به — بعد أن أصبح ذا سلطان في مصر ، أي بعد سنوات . وكان الإخبار بالتفصيل حيث قال لهم : " كان لكم أخ من أبيكم يقال له يوسف ، وكان يدينه دونكم ، وأنكم انطلقتم به وأققيتموه في غيابة الجب، وقلتم لأبيكم : أكله الذئب ، وبعتموه بثمن بخس " (٢) .

وورد في قوله تعالى : ﴿ وَنَبَّأَهُمْ عَنْ ضَيْفِ إِبْرَاهِيمَ ﴾ . [الحجر/٥١] والمخاطب هنا سيدنا محمد صلى الله عليه وسلم ، والمعنى : " أي أخبرهم بما جرى على إبراهيم من الأمر الذي اجتمع فيه له الرجاء والخوف ، والتبشير الذي خالطه نوع من الوجع ، ليعتبروا بذلك ويعلموا أنها سنة الله سبحانه في عباده " (٣) . ثم تأتي الآيات مفصلة للخبر في قوله تعالى : ﴿ إِذْ دَخَلُوا عَلَيْهِ فَقَالُوا سَلَامًا قَالَ إِنَّا مِنْكُمْ وَجِلُونَ ، قَالُوا لَا تَوْجَلْ إِنَّا نُبَشِّرُكَ بِغُلَامٍ عَلِيمٍ ، قَالَ أَبَشْرْتُمُونِي عَلَى أَنْ مَسَّنِيَ الْكِبَرُ فِيمَ تُبَشِّرُونَ ، قَالُوا بُشِّرْنَاكَ بِالْحَقِّ ... ﴾ . [الحجر/٥٥٢-٥٥٥] إلى نهاية الآيات . فالإخبار هنا عن شيء قد مضى على وجه التفصيل لأخذ العبرة .

وورد في قوله تعالى : ﴿ أَمْ لَمْ يُنَبِّأْ بِمَا فِي صُحُفِ مُوسَى ، وَإِبْرَاهِيمَ الَّذِي وَفَّى ، أَلَا تَزِرُ وَازِرَةٌ وِزْرَ أُخْرَى ، وَأَنْ لَيْسَ لِلْإِنْسَانِ إِلَّا مَا سَعَى ﴾ . [النجم/٣٦-٣٩] والمقصود من قوله

1 . الشوكاني ، فتح القدير ، ج ٣ ، ص ١٠ .

2 . الزمخشري ، الكشاف ، ج ٢ ، ص ٤٢٤ .

3 . الشوكاني ، فتح القدير ، ج ٣ ، ص ١٣٤ .

(يُنْبَأُ) هو " من تولى عن الخير وأعرض عن اتباع الحق " (١) . فالإخبار في الآيات عمّا كان في صحف سيدنا موسى وسيدنا إبراهيم عليهما السلام , " ثم بين سبحانه ما في صحفهما فقال (ألا تزر وازرة وزر أخرى) أي لا تحمل نفس حاملة حمل نفس أخرى , ومعناه لا تؤخذ نفس بذنب غيرها... (وأن ليس الإنسان إلا ما سعى) عطف على قوله (ألا تزر) وهذا أيضا مما في صحف موسى... " (٢) . فالإخبار هنا على وجه التفصيل عن شيء كان في الماضي .

خامسا : الإخبار عن شيء مخفي على سبيل الإعجاز

ورد الفعل (نبا) للدلالة على الإخبار عن شيء على سبيل التحدي والإعجاز ثلاث مرّات, ووجه التحدي في النبا أنه مخفي غير ظاهر , والعبرة من إظهاره الإعجاز . فورد في قوله تعالى حكاية عن عيسى عليه السلام : ﴿وَأُنَبِّئُكُمْ بِمَا تَأْكُلُونَ وَمَا تَدَّخِرُونَ فِي بُيُوتِكُمْ إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَةً لِّكُمْ إِن كُنْتُمْ مَعْرِضِينَ﴾ [آل عمران/٤٩] أي: "أخبركم بما تأكلونه مما لم أعيناه وأشاهده معكم في وقت أكلكموه (وما تدخرون) يعني بذلك وما ترفعونه فتخبئونه ولا تأكلونه " (٣) .

وورد في قوله تعالى: ﴿يَخَذِرُ الْمُنَافِقُونَ أَنْ تُنزَلَ عَلَيْهِمْ سُورَةٌ تُنَبِّئُهُمْ بِمَا فِي قُلُوبِهِمْ﴾ [التوبة/٦٤] أي ما أسروا "من الكفر والنفاق , والضمان للمنافقين لأن السورة إذا نزلت في معاناهم فهي نازلة عليهم" (٤) , "فكأنها تقول لهم : في قلوبكم كيت وكيت , يعني أنها تذيع أسرارهم عليهم حتى يسمعوها مذاعة منتشرة فكأنها تخبرهم بها " (٥) . فالإخبار في الآية عن شيء مخفي غير ظاهر على وجه التفصيل .

1 . الشوكاني , فتح القدير , ج ٥ , ص ١١٣ .

2 . المرجع نفسه , ج ٥ , ص ١١٤ .

3 . الطبري , جامع البيان عن تأويل آي القرآن , ج ٣ , ص ٢٧٨ .

4 . تفسير النسفي , ج ٢ , ص ٩٦ .

5 . الزمخشري , الكشاف , ج ٢ , ص ٢٧٣ .

وورد في قوله تعالى حكاية عن سيدنا يوسف: ﴿قَالَ لَا يَأْتِيكُمَا طَعَامٌ تُرْزَقَانِهِ إِلَّا نَبَأُكُمَا
 بِتَأْوِيلِهِ قَبْلَ أَنْ يَأْتِيَكُمَا ذَلِكُمْ مِمَّا عَلَّمَنِي رَبِّي﴾. [يوسف/٣٧] فسيدنا يوسف يخاطب الفتيين الذين
 كانا معه في السجن , فيخبرهما أنه يعلم شيئاً من الغيب بإذن الله تعالى . قال الشوكاني : "
 ومعنى ذلك أنه يعلم شيئاً من الغيب ... أي لا يأتیکما طعام في حال من الأحوال إلا حال ما
 نبأكما , أي بينت لكما ماهيته وكيفيته قبل أن يأتیکما " (١) . فالإخبار هنا عن شيء غير ظاهر
 على وجه التفصيل .

سادسا : الإخبار عن إجابة لتساؤل ما :

دلّ الفعل (نبأ) على الإخبار عن إجابة لتساؤل ما على وجه التفصيل في ثلاثة مواضع,
 فورد في قوله تعالى حكاية عن الفتيين اللذين كانا في السجن مع سيدنا يوسف عليه السلام :
 ﴿وَدَخَلَ مَعَهُ السَّجْنَ فَتَيَانِ قَالَ أَحَدُهُمَا إِنِّي أَرَانِي أَعْصِرُ خَمْرًا وَقَالَ الْآخَرُ إِنِّي أَرَانِي أُحْمَلُ فَوْقَ
 رَأْسِي خُبْرًا تَأْكُلُ الطَّيْرُ مِنْهُ نَبَأْنَا بِتَأْوِيلِهِ إِنَّا نَرَاكَ مِنَ الْمُحْسِنِينَ﴾ . [يوسف/٣٦] والمعنى "خبرنا
 بتفسير الرؤيا " (٢) . فهما يطلبان من سيدنا يوسف أن يفصل لهما الجواب عن تساؤلها فيما
 يتعلق برؤية كل منهما . وبذلك يكون الفعل (نبأ) قد أدى دلالة مختلفة عن تلك التي أداها في
 الآية التي بعدها – والتي سبق الحديث عنها – حيث قال تعالى: (نَبَأْنَا بِتَأْوِيلِهِ إِنَّا نَرَاكَ مِنَ
 الْمُحْسِنِينَ , قَالَ لَا يَأْتِيكُمَا طَعَامٌ تُرْزَقَانِهِ إِلَّا نَبَأُكُمَا بِتَأْوِيلِهِ قَبْلَ أَنْ يَأْتِيَكُمَا) . ففي الآية الأولى دلّ
 الفعل (نبأ) على تفصيل القول عن تسائل ما, وفي الآية الثانية دلّ على تفصيل القول عن شيء
 في علم الغيب , وهنالك فرق ما بين الداللتين , قال الشوكاني : " ومعنى ذلك أنه يعلم شيئاً من
 الغيب , وأنه لا يأتيهما إلى السجن طعام إلا أخبرهما بماهيته قبل أن يأتيهما , وهذا ليس من

1 . الشوكاني , فتح القدير , ج ٣ , ص ٢٦ .

2 . الواحدي , الوجيز في تفسير الكتاب العزيز , ج ١ , ص ٥٤٦ .

جواب سؤالهما تعبير ما قصاه عليه , بل جعله عليه السلام مقدمة قبل تعبيره لرؤياهما , بيانا لعلو مرتبته في العلم , وأنه ليس من المعبرين الذين يعبرون الرؤيا عن ظنّ وتخمين^(١).

ثم يرد الفعل (نبأ) في نفس القصة حكاية عن الفتى الذي طلب منه سيدنا يوسف أن يذكره عند الملك , فأنساه الشيطان ذلك , ثم تذكر بعد سنين , وذلك عندما رأى الملك رؤيا لم يجد من يفسرها له , قال تعالى : ﴿ وَقَالَ الَّذِي نَجَا مِنْهُمَا وَادَّكَرَ بَعْدَ أُمَّةٍ أَنَا أُنَبِّئُكُمْ بِتَأْوِيلِهِ فَأَرْسِلُونِ ﴾ . [يوسف/٤٥] أي : " طلب منهم أن يرسلوه إلى يوسف ليقصّ عليه رؤيا الملك حتى يخبره بتأويلها فيعود بذلك إلى الملك " ^(٢) . فالإخبار هنا بمعنى تأويل رؤيا الملك على وجه التفصيل , وهذا ينسجم مع تفصيل سيدنا يوسف عليه السلام للرؤيا في الآيات اللاحقة , وهي قوله تعالى حكاية عن سيدنا يوسف : ﴿ قَالَ تَزْرَعُونَ سَبْعَ سِنِينَ دَابًّا فَمَا حَصَدْتُمْ فَذَرُوهُ فِي سُنْبُلِهِ إِلَّا قَلِيلًا مِمَّا تَأْكُلُونَ , ثُمَّ يَأْتِي مِنْ بَعْدِ ذَلِكَ سَبْعٌ شِدَادٌ يَأْكُلْنَ مَا قَدَّمْتُمْ لَهُنَّ إِلَّا قَلِيلًا مِمَّا تَحْصِنُونَ , ثُمَّ يَأْتِي مِنْ بَعْدِ ذَلِكَ عَامٌ فِيهِ يُغَاثُ النَّاسُ وَفِيهِ يَعْرِضُونَ ﴾ . [يوسف/٤٦-٤٩]

وورد في قوله تعالى حكاية عن الخضر: ﴿ قَالَ هَذَا فِرَاقُ بَيْنِي وَبَيْنِكَ سَأُنَبِّئُكَ بِتَأْوِيلِ مَا لَمْ تَسْتَطِعْ عَلَيْهِ صَبْرًا ﴾ . [الكهف/٧٨] " أي سأخبرك بحكمة هذه المسائل الثلاثة " ^(٣) .

فالإخبار هنا على وجه التفصيل " وهو خلاص السفينة من اليد العادية , وخلص أبوي الغلام من شره مع الفوز بالبدل الأحسن , واستخراج اليتيمين للكنز " ^(٤) . وكان ذلك بعد تسائل سيدنا موسى عليه السلام " فالسؤال أقل وجوه الاعتراضات , أمّا الإنكار والتخطئة فأعظم منه " ^(٥) .

1 . الشوكاني , فتح القدير , ج ٣ , ص ٢٦ .

2 . المرجع نفسه , ج ٣ , ص ٣١ .

3 . فخر الدين الرازي , التفسير الكبير , ج ٢١ , ص ١٣٤ .

4 . أبو السعود , إرشاد العقل السليم إلى مزايا القرآن الكريم , ج ٥ , ص ٢٣٧ .

5 . ابن عطية , المحرر الوجيز , ج ٣ , ص ٥٣٤ .

سابعا : الإخبار عن أمر خاص :

ورد الفعل (نبأ) في القرآن الكريم للدلالة على الإخبار — على وجه التفصيل — عن أمر خاص أربع مرّات , فورد مرّة للإخبار عن كيفية قسمة الماء بين قوم سيدنا صالح عليه السلام والناقة في قوله تعالى : ﴿وَتَبْنَهُمْ أَنَّ الْمَاءَ قِسْمَةٌ بَيْنَهُمْ كُلُّ شِرْبٍ مُحْتَضَرٌ﴾. [القمر/٢٨] والخطاب موجّه إلى سيدنا صالح عليه السلام ليخبر قومه أنّ الماء مقسومٌ بينهم وبين الناقة , أي "مقسومٌ لها يوم ولهم يوم , وبينهم لتغليب العقلاء " (١) , "لأنّ العرب إذا أخبرت عن بني آدم وعن البهائم غلبت بني آدم على البهائم" (٢) . فدلّ الفعل (نبأ) على الإخبار عن أمر خاص هو كيفية قسمة الماء بين ثمود والناقة , وكان الإخبار على وجه التفصيل والتبيين .

وتكرّر وروده ثلاث مرّات للإخبار عن حديث سيدنا محمد صلى الله عليه وسلم الذي أسره لبعض أزواجه . قال تعالى : ﴿وَإِذْ أَسْرَ النَّبِيُّ إِلَىٰ بَعْضِ أَزْوَاجِهِ حَدِيثًا فَلَمَّا نَبَّأَتْ بِهِ وَأَظْهَرَهُ اللَّهُ عَلَيْهِ عَرَّفَ بَعْضُهُ وَأَعْرَضَ عَنْ بَعْضٍ فَلَمَّا نَبَّأَهَا بِهِ قَالَتْ مَنْ أَنْبَأَكَ هَذَا قَالَ نَبَّأَنِيَ الْعَلِيمُ الْخَبِيرُ﴾. [التحریم/٣] فقد أخبر سيدنا محمد صلى الله عليه وسلم زوجته حفصة — رضي الله عنها — حديثا طلب إليها ألا تخبر أحدا عنه , والحديث " على ثلاثة أقوال أحدها أنه تحريم الجارية (٣) , فإنه لما حرّمها قال لحفصة لا تخبري بذلك أحدا . والآخر أنه قال إنّ أبا بكر وعمر يلبان الأمر من بعده . والثالث أنه قوله شربت عسلا ... وكانت حفصة قد أخبرت عائشة بما أسر إليها رسول الله صلى الله عليه وسلم من تحريم الجارية , فأخبر الله رسوله عليه السلام بذلك , فعاقب حفصة على إفشائها لسره فطلقها , ثم أمره الله بمراجعتها فراجعها , وقيل لم

1 . أبو السعود , إرشاد العقل السليم إلى مزايا القرآن الكريم , ج ٨ ص ١٧٢ , وكذلك : الشوكاني , فتح القدير , ج ٥ , ص ١٢٦ .
2 . تفسير البغوي , ج ٤ , ص ٢٦٢ .
3 . أي : مارية القبطية رضى الله عنها .

يطلقها... وقوله عرف بعضه أي عاتب حفصة على بعضه وأعرض عن بعض حياء وتكريما، فإن من عادة الفضلاء التغافل عن الزلات والتقصير في العتاب^(١).

لقد ورد الفعل في الآية السابقة مشددا ثلاث مرات (نبأت ، ونبأها ، ونبأني) ، وقد أشار في هذه المرات الثلاث إلى التفصيل في ذكر الخبر والتركيز عليه . أمّا قوله (نبأت) ، فقد أخبرت حفصة عائشة بما أخبرها به النبي صلى الله عليه وسلم ، وإخبارها لها كان على وجه التفصيل ، ذلك أن الخبر كان مهما بتفاصيله لكل من حفصة وعائشة ، سواء أكان الخبر عن مارية ، أم عن أبي بكر وعمر . وأمّا قوله (نبأها) فقد أخبر النبي صلى الله عليه وسلم حفصة عن بعض ما أفشته لعائشة ، وهذا يتطلب تفصيلا ، والتركيز فيه على الخبر أيضا . فأخبرها النبي صلى الله عليه وسلم أنها قالت لها كذا وكذا . وأمّا قوله (نبأني) فقد أطلع الله تعالى نبيّه على ما دار بين حفصة وعائشة بالتفصيل أيضا ، فعلم النبي صلى الله عليه وسلم ما دار بينهما من حديث على وجه التفصيل. أمّا الفعل (أنبأ) في قوله تعالى حكاية عن عائشة رضي الله عنها : (قالت من أنبأك هذا) فقد أفاد دلالات أخرى من خلال مجيئه على وزن (أفعل) يأتي الحديث عنها إن شاء الله .

(أنبأ) :

اختص الفعل (أنبأ) بالإخبار عن شيء على وجه الذكر لا على وجه التفصيل ، بحيث يكون الخبر الذي عبر عنه الفعل (أنبأ) وسيلة لإظهار فائدة الجملة وخلاصتها ، فالتركيز في الجملة ليس على الخبر نفسه، وإنما على شيء آخر خارج عن تفاصيل الخبر ، بحيث يكون الخبر — الذي يدلّ عليه الفعل — وسيلة لإظهاره .

ورد الفعل (أنبأ) أربع مرّات في القرآن الكريم , فورد في قوله تعالى حكاية عن حفصة رضي الله عنها: ﴿فَلَمَّا نَبَّأَهَا بِهِ قَالَتْ مَنْ أَنْبَأَكَ﴾ . [التحریم/٣] وقد ذكر تفسير هذه الآية سابقا, فأفاد الفعل المضعّف (نبأ) تفصيل الخبر , بحيث تكون فائدة الكلام في الخبر نفسه . أمّا الفعل (أنبأ) فقد دلّ على شيء آخر غير الخبر نفسه , ذلك أنّ فائدة الكلام في جملة (من أنبأك هذا) هي سؤال حفصة : هل عائشة هي من أفشت أمري لرسول الله ؟ قال ابن عطية: "لما أخبر رسول الله صلى الله عليه وسلم حفصة بالخبر وأنها أفشته إلى عائشة , ظنّت أن عائشة فضحتها , فقالت من أنبأك هذا على جهة التنبّث"^(١). وقال البغوي: "من أنبأك هذا أي من أخبرك بأنني أفشيت السر"^(٢). وقال الكلبي: "ظنّت بأنّ عائشة هي التي أخبرته, فقالت له من أنبأك هذا"^(٣).

يتبين من الآية السابقة أن الخبر الذي دلّ عليه الفعل (أنبأ) هو : إخبار النبي صلى الله عليه وسلم بما قالته حفصة لعائشة , وهذا الخبر يُظهرُ أمرا آخرَ خارجا عن تفاصيله هو: هل عائشة هي من أفشت السرّ لرسول الله صلى الله عليه وسلم ؟ فالخبر ما دار بين حفصة وعائشة . والفائدة من الجملة التي ورد فيها الفعل (أنبأ) ليست تفاصيل الخبر السابق , وإنما التأكيد من أن عائشة من أفشت السرّ.

وورد ثلاث مرّات في قوله تعالى: ﴿وَإِذْ قَالَ رَبُّكَ لِلْمَلَائِكَةِ إِنِّي جَاعِلٌ فِي الْأَرْضِ خَلِيفَةً قَالُوا أَتَجْعَلُ فِيهَا مَنْ يُفْسِدُ فِيهَا وَيَسْفِكُ الدِّمَاءَ وَنَحْنُ نُسَبِّحُ بِحَمْدِكَ وَنُقَدِّسُ لَكَ قَالَ إِنِّي أَعْلَمُ مَا لَا تَعْلَمُونَ , وَعَلَّمَ آدَمَ الْأَسْمَاءَ كُلَّهَا ثُمَّ عَرَضَهُمْ عَلَى الْمَلَائِكَةِ فَقَالَ أَنْبِئُونِي بِأَسْمَاءِ هَؤُلَاءِ إِنْ كُنْتُمْ صَادِقِينَ , قَالُوا سُبْحَانَكَ لَا عِلْمَ لَنَا إِلَّا مَا عَلَّمْتَنَا إِنَّكَ أَنْتَ الْعَلِيمُ الْحَكِيمُ , قَالَ يَا آدَمُ أَنْبِئْهُمْ

-
- 1 . ابن عطية , المحرر الوجيز , ج ٥ , ص ٣٣١ .
 - 2 . تفسير البغوي , ج ٤ , ص ٣٦٤ .
 - 3 . الكلبي , التسهيل لعلوم التنزيل , ج ٤ , ص ١٣١ .

بِأَسْمَائِهِمْ فَلَمَّا أَنْبَأَهُمْ بِأَسْمَائِهِمْ قَالَ أَلَمْ أَقُلْ لَكُمْ إِنِّي أَعْلَمُ غَيْبَ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَأَعْلَمُ مَا تُبْدُونَ
وَمَا كُنْتُمْ تَكْتُمُونَ ﴿٣٠-٣٣﴾ [البقرة/٣٠-٣٣]

لقد أخبر سيدنا آدم عليه السلام الملائكة بما أعلمه الله إياه , وقد أراد الله ذلك كي يظهر فضل آدم على بقية خلقه , فالله تعالى أمر الملائكة أن يخبروه بأسماء المسميات المقصودة في الآية , "مع علمه تعالى بعجزهم" ^(١) , وقوله : (إن كنتم صادقين) أي: "في أن الخليفة يفسد ويسفك" ^(٢) . فجاء الفعل (أنبأ) للدلالة على الإخبار, إلا أن الفائدة والقصد في الآيات السابقة ليس الإخبار بمسميات الأسماء ليكون التركيز عليها , وإنما الفائدة في إظهار تكريم آدم عليه السلام , وتفضيله على بقية المخلوقات , فالله تعالى " علمه جميع الأسماء, ولم يخرج عن هذا شيء منها كائنا ما كان" ^(٣) , ومن أجل إظهار هذا التكريم أمر الله الملائكة أن ينبئوه بأسماء المسميات , " وهذا أمر تعجيز أراد الله تعالى أن يبين عجزهم عن علم ما يرون ويعاينون" ^(٤) , ثم أمر سيدنا آدم أن ينبئ الملائكة بأسماء تلك المسميات بعد عجزهم عن ذلك ليظهر فضله عليهم . قال أبو حيان : "لما أخبرهم آدم عليه السلام بأسماء ما تقاصرت عنه علومهم , ظهرت فضيلته عليهم" ^(٥) . وقال القرطبي: "ليعلموا أنه أعلم بما سألهم عنه , تنبيهها على فضله وعلو شأنه, فكان أفضل منهم بأن قدمه عليهم , وأسجدهم له, وجعلهم تلامذته, وأمرهم بأن يتعلموا منه, فحصلت له رتبة الجلال والعظمة بأن جعله مسجودا له , مختصا بالعلم" ^(٦) .

1 . فخر الدين الرازي , التفسير الكبير , ج ٢ , ص ١٦٢ .

2 . ابن عطية , المحرر الوجيز , ج ١ , ص ١٢١ .

3 . الشوكاني , فتح القدير , ج ١ , ص ٦٤ .

4 . الواحدي , الوجيز في تفسير الكتاب العزيز , ج ١ , ص ٩٩ .

5 . أبو حيان الأندلسي , البحر المحيط ج ١ , ص ٢٩٨ .

6 . القرطبي , الجامع لأحكام القرآن , ج ١ , ص ٢٨٨ .

يتبين من الآيات السابقة أن الخبر الذي دلّ عليه الفعل (أنبأ) هو: الإخبار بأسماء المسميات, وهذا الخبر يُظهرُ أمراً آخر خارجاً عن تفاصيله هو : تكريم آدم على بقية المخلوقات. فالخبر ذكرُ أسماء المسميات. والفائدة من الجمل التي ورد فيها الفعل (أنبأ) ليست تفاصيل الخبر السابق , وإنما إظهار تكريم آدم عليه السلام .

(نَزَلَ , وَأَنْزَلَ)

" النون والزاء واللام كلمة صحيحة تدل على هبوط شيء ووقوعه" (١) , و" النُّزُولُ الحلول، وقد نَزَلَهُمْ ونَزَلَ عَلَيْهِمْ ونَزَلَ بِهِمْ , يَنْزِلُ نَزُولًا وَمَنْزِلًا وَمَنْزِلًا بالكسر شاذ ... والنَّزَالُ في الحرب أَنْ يَتَنَازَلَ الْفَرِيقَانِ ... والنُّزُلُ والنُّزْلُ ما هَيَّيَءَ لِلضَّيْفِ إِذَا نَزَلَ عَلَيْهِ ... وَالْمُنْزَلُ الْإِنْزَالُ ، تقول : أَنْزَلْتَنِي مَنْزِلًا مُبَارَكًا... وَالْمَنْزِلُ وَالْمَنْزِلَةُ موضع النُّزُولِ... والنُّزْلُ والنَّزْلُ، بالتحريك رَيْعٌ ما يُزْرَعُ أَي زَكَاؤُهُ... وَالنَّزْلُ الْمَكَانُ الصَّلْبُ السَّرِيعُ السَّيْلُ... وَالنَّزْلُ الْمَطَرُ" (٢) , " وَالتَّنْزِيلُ أَيْضًا التَّرْتِيبُ ، وَالتَّنَزُّلُ النُّزُولُ فِي مُهْلَةٍ ، وَالنَّازِلَةُ الشَّدِيدَةُ مِنْ شِدَائِدِ الدَّهْرِ تَنْزِلُ بِالنَّاسِ ، وَالنَّزْلَةُ كَالزُّكَامِ يُقَالُ بِهِ نَزَلَتْهُ وَقَدْ نَزَلَ" (٣) . " وَفِي الْحَدِيثِ : اللَّهُمَّ إِنِّي أَسْأَلُكَ نَزْلَ الشُّهَدَاءِ ، قَالَ ابْنُ الْأَثِيرِ : النَّزْلُ فِي الْأَصْلِ قَرَى الضَّيْفِ ، وَتَضَمُّ زَائِهِ ، يَرِيدُ مَا لِلشُّهَدَاءِ عِنْدَ اللَّهِ مِنَ الْأَجْرِ وَالثَّوَابِ ، وَمِنْهُ حَدِيثُ الدَّعَاءِ لِلْمَيِّتِ : وَأَكْرِمِ نَزْلَهُ . النَّزْلُ أَيْضًا : الطَّعَامُ وَالرَّرْقُ ، وَبِهِ فُسِّرَ قَوْلُهُ تَعَالَى : هَذَا نَزْلُهُمْ يَوْمَ الدِّينِ . وَالنَّزْلُ : الْبَرَكَةُ ، يُقَالُ : طَعَامٌ ذُو النَّزْلِ : أَي ذُو الْبَرَكَةِ" (٤) .

ورد الفعلان (نَزَلَ , وَأَنْزَلَ) في القرآن الكريم في مواضع كثيرة، فورد الفعل (نَزَلَ) اثنتين وستين مرة، وورد الفعل (أَنْزَلَ) مئةً وثلاثًا وثمانين مرةً . فدلًا على نزول القرآن، ونزول الملائكة ، ونزول الماء من السماء ، وغير ذلك مما سيأتي . وقد تحدت اللغويون عن الفرق بين الإنزال والتنزيل ، قال الراغب: "الفرق بين الإنزال والتنزيل في وصف القرآن والملائكة أن

1 . ابن فارس ، مقاييس اللغة ، مادة (نزل) ، ج ٥ ، ص ٤١٧ .

2 . ابن منظور ، لسان العرب ، مادة (نزل) ، ج ١١ ، ص ٦٥٧ - ٦٥٩ .

3 . الرازي ، مختار الصحاح ، مادة (نزل) ، ص ٢٧٣ .

4 . الزبيدي ، تاج العروس ، مادة (نزل) ، ج ٣٠ ، ص ٤٨٠ .

التنزيل يختص بالموضع الذي يشير إلى إنزاله مفرداً ، ومرة بعد أخرى ، والإنزال عام^(١) .
 وجاء في الفروق اللغوية : " الإنزال دفعي ، والتنزيل للتدرّج"^(٢) . وجاء في تاج العروس :
 "نَزَلَهُ تَنْزِيلاً ، وَأَنْزَلَهُ أَنْزَالاً وَمُنْزَلاً كَمُجْمَلٍ ، وَاسْتَنْزَلَهُ بِمَعْنَى وَاحِدٍ ، قَالَ سَيَبَوِيه : وَكَانَ أَبُو
 عمرو يَفْرُقُ بَيْنَ نَزَلَتْ وَأَنْزَلْتُ ، وَلَمْ يَذْكُرْ وَجَهَ الْفَرْقِ"^(٣) ، قال أبو الحسن : لا فَرْقَ عِنْدِي بَيْنَهُمَا
 إِلَّا صِغَةُ التَّكْثِيرِ فِي نَزَلْتُ فِي قِرَاءَةِ ابْنِ مَسْعُودٍ : وَأَنْزَلَ الْمَلَائِكَةُ تَنْزِيلاً . أَنْزَلَ كَنْزَلَ ، قَالَ
 شيخنا : وَفَرَّقَ جَمَاعَةٌ مِنْ أَرْبَابِ التَّحْقِيقِ ، فَقَالُوا : التَّنْزِيلُ تَدْرِيجِيٌّ ، وَالْإِنْزَالُ دَفْعِيٌّ^(٤) .

عند تتبع الآيات التي ورد فيها كل من الفعلين (نزل ، وأنزل) ، يُلاحظ أن هنالك
 انسجاماً بين السياق والوزن الذي ورد عليه الفعل ، فجاء التشديد منسجماً مع دلالات التنزيل
 نحو : التكرير ، والتدرّج ، والاهتمام ، والمبالغة . وجاء التخفيف منسجماً مع دلالات الإنزال ،
 نحو : العموم ، والإنزال دفعةً .

(نَزَلَ) :

ورد الفعل (نَزَلَ) اثنتين وثمانين مرّة في القرآن الكريم ، وقد سبق الحديث عن الفرق
 بين الإنزال والتنزيل ، ودلالات التشديد فيه ، " فالفعل (نَزَلَ) يمكن أن يستعمل لأكثر من معنى ،
 فإنّ هذا الفعل قد يكون للتدرّج والتكرير ، وقد يكون للمبالغة والاهتمام ، فما استعمل فيه (نَزَلَ)
 يكون أهم وأكّد ممّا استعمل فيه (أَنْزَلَ)"^(٥) . وقد ورد الفعل (نَزَلَ) للدلالة على تنزيل عدّة
 أمور ، نحو : تنزيل القرآن ، وتنزيل الملائكة ، وتنزيل الماء من السماء ، وبيان ذلك على النحو
 الآتي :

- 1 . الراغب ، المفردات في غريب القرآن ، ص ٤٨٩ .
- 2 . أبو هلال العسكري ، الفروق اللغوية ، ج ١ ، ص ٧٩ .
- 3 . انظر : سيبويه ، الكتاب ، ج ٤ ، ص ٦٣ .
- 4 . الزبيدي ، تاج العروس ، مادة (نزل) ، ج ٣٠ ، ص ٤٧٩ .
- 5 . فاضل السامرائي ، بلاغة الكلمة في التعبير القرآني ، ص ٥٤ .

أولاً : تنزيل القرآن :

ورد ذكر القرآن الكريم بعدة أسماء وصفات , فعُبر عنه بالقرآن , وبالكتاب , وبالذكر , وبالنور , وبغير ذلك . " قال القاضي أبو المعالي عزيبي بن عبد الملك رحمه الله : اعلم أن الله تعالى سمى القرآن بخمسة وخمسين اسماً " (١), ولعله قد خلط في ذلك بين التسمية والوصف (٢), ذلك أنّ المفسرين ذكروا أربعة أسماء للقرآن , جاء في تفسير الطبري : " إن الله تعالى ذكره سمى تنزيله الذي أنزله على نبيه محمد أسماء أربعة , منهن القرآن ... ومنهن الفرقان ... ومنهن الكتاب ... ومنهن الذكر ... ولكل اسم من أسمائه الأربعة في كلام العرب معنى ووجه، غير معنى الآخر ووجهه " (٣) .

ورد الفعلان (نزل , وأنزل) للدلالة على تنزيل القرآن الكريم , وقد مرّ سابقاً أنّ الفرق بين الإنزال والتّزيل في وصف القرآن والملائكة , أنّ التّزيل يختصّ بالموضع الذي يُشير إلى إنزاله مُتفرّقاً مُنجمًا , ومرةً بعد أخرى , والإنزال عامٌّ , فالإنزال دفعي , والتّزيل للتدرّج . " وقيل أنّ ذلك هو الأكثر وليس نصّاً في أحد المعنيين ... والذي يبدو أنّ استعمال (نزل) قد يكون للتدرّج والتكثير , وقد يكون للاهتمام والمبالغة " . (٤) وقد ورد الفعل (نزل) للدلالة على تنزيل القرآن الكريم من خلال التعبير عنه باسم القرآن , أو الفرقان , أو الذكر , أو الكتاب . أو التعبير عنه دون ذكر اسم معين وذلك من خلال الضمير , أو من خلال العبير عنه بالسور والآيات . أمّا دلالات التشديد فجاءت على النحو الآتي :

- 1 . الزركشي , البرهان في علوم القرآن , ج ١ , ص ٢٧٣ .
- 2 . انظر : محمود ياقوت , فقه اللغة وعلم اللغة , ص ١٠٠ .
- 3 . الطبري , جامع البيان ج ١ , ص ٤٢ . وانظر : الماوردي , النكت والعيون , ج ١ , ص ٢٣ .
- 4 . فاضل السامرائي , بلاغة الكلمة في التعبير القرآني , ص ٥٢ - ٥٣ .

أ. للدلالة على تنزيل القرآن منجماً :

ورد الفعل (نَزَلَ) للدلالة على تنزيل القرآن منجماً نحو قوله تعالى : ﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لِمَا تَسْأَلُوا عَنْ أَشْيَاءَ إِن تُبَدَّ لَكُمْ تَسْؤُكُمْ وَإِنْ تَسْأَلُوا عَنْهَا حِينَ يُنَزَّلُ الْقُرْآنُ تُبَدَّ لَكُمْ ﴾ . [المائدة/١٠١] وقد روي في سبب نزول هذه الآية أن الصحابة أكثروا سؤال النبي صلى الله عليه وسلم عن أمور مختلفة ، وكان في الجواب عنها ما قد يسوء بعضهم ، كسؤال من طعن في نسبه عن أبيه ، وسؤال من سأل عن موضعه فأخبر أنه في النار ، فنزلت هذه الآية لتهيئهم عن مثل هذه الأسئلة ، وأن ينتظروا وقت تنزل القرآن ليجدوا فيه بيان ما يحتاجون إليه ، وتوضيح ما هو حلال وما هو حرام ^(١) . فتناسب الفعل المشدّد الدال على تنزيل القرآن مفروقاً ، مع التعبير عن تنجيّمه في أوقات متفرّقة بحسب الحاجة والدواعي .

وقوله تعالى : ﴿ وَقُرْآنًا فَرَقْنَاهُ لِتَقْرَأَهُ عَلَى النَّاسِ عَلَى مُكْثٍ وَنَزَّلْنَاهُ تَنْزِيلًا ﴾ [الإسراء/١٠٦] . " أي : جعلنا نزوله مفروقاً منجماً ... وَنَزَّلْنَاهُ تَنْزِيلًا : على حسب الحوادث . " ^(٢) قال الكرمانى : " وإنما تفرقت سوره وآياته نزولاً لحاجة الناس حالة بعد حالة ، ولأن فيه الناسخ والمنسوخ ولم يكونا ليجمعاً نزولاً " ^(٣) .

وقوله تعالى : ﴿ تَبَارَكَ الَّذِي نَزَّلَ الْفُرْقَانَ عَلَى عَبْدِهِ لِيَكُونَ لِلْعَالَمِينَ نَذِيرًا ﴾ . [الفرقان/١] قال الزمخشري : " الفرقان : مصدر فرق بين الشئيين إذا فصل بينهما ، وسمي به القرآن لفصله

1 . انظر : القرطبي ، الجامع لأحكام القرآن ، ج ٦ ، ص ٣٣٠ . والواحدى ، الوجيز في تفسير الكتاب العزيز ، ج ١ ص ٣٣٧ . والسمرقندي ، بحر العلوم ، ج ١ ص ٤٤٣ . والسمعاني ، تفسير القرآن ، ج ٢ ص ٧١ .
2 . الزمخشري ، الكشاف ، ج ٢ ، ص ٦٥٣ .
3 . الكرمانى ، التكرار في القرآن ، ص ٢٤ .

بين الحق والباطل ، أو لأنه لم ينزل جملة واحدة ، ولكن مفروقاً ، مفصلاً بين بعضه وبعض في الإنزال " (١) .

وقوله تعالى : ﴿ وَإِنْ كُنْتُمْ فِي رَيْبٍ مِمَّا نَزَّلْنَا عَلَىٰ عَبْدِنَا فَأْتُوا بِسُورَةٍ مِثْلِهِ ﴾ .
 [البقرة/٢٣] ذهب الزمخشري إلى أن التضعيف للدلالة على نزول القرآن منجماً ، قال : " فإن قلت لم قيل : مما نزلنا . على لفظ التنزيل دون الإنزال . قلت لأن المراد النزول على سبيل التدريج والتتجيم ... ذلك أنهم كانوا يقولون لو كان هذا من عند الله مخالفاً لما يكون من عند الناس لم ينزل هكذا نجوماً ، سورة بعد سورة ... فقيل إن ارتبتم في هذا الذي وقع إنزاله هكذا على مهل وتدريج ، فهاتوا أنتم نوبة واحدة من نوبه ، وهلموا نجماً فرداً من نجومه ، سورة من أصغر السور ، أو آيات شتى مفتريات ، وهذه غاية التبكيت ومنتهى إزاحة العلل " (٢) . وقد ورد الفعل (نزل) في مواضع أخر دلّ فيها التشديد على تنزيل القرآن الكريم منجماً (٣) .

ب. للدلالة على الأهمية والمبالغة :

ورد الفعل (نزل) للدلالة على الأهمية والمبالغة ، فجاء التشديد دالاً على الأهمية في السياقات التي تحدثت عن مكانة القرآن الكريم وأهميته ، نحو قوله تعالى : ﴿ وَنُنزِّلُ مِنَ الْقُرْآنِ مَا هُوَ شِفَاءٌ وَرَحْمَةٌ لِّلْمُؤْمِنِينَ ﴾ . [الإسراء/٨٢] والتشديد هنا على الأهمية، قال الفخر الرازي : " اعلم أن القرآن شفاء من الأمراض الروحانية ، وشفاء أيضاً من الأمراض الجسمانية " (٤) .

1 . الزمخشري ، الكشاف ، ج ٣ ، ص ٢٦٧ .

2 . المرجع نفسه ، ج ١ ، ص ١٢٧ .

3 . ورد في : الإنسان/٢٣ ، والنساء/١٣٦ ، والنحل/١٠١، ١٠٢ ، والحديد/٩ ، وآل عمران/٣ .

4 . فخر الدين الرازي ، التفسير الكبير ، ج ٢١ ، ص ٢٩ . وانظر : الكلبى ، التسهيل لعلوم التنزيل ، ج ٢ ، ص ١٧٧ .

وقوله تعالى: ﴿وَنَزَّلْنَا عَلَيْكَ الْكِتَابَ تَبْيَانًا لِّكُلِّ شَيْءٍ﴾. [النحل/٨٩] قال الألوسي: "التبيان مصدر يدل على التكثر" (١) ، وقال الشوكاني : " أي بيانا له ، والتاء للمبالغة ، ونظيره من المصادر التلقاء ، ولم يأت غيرهما (٢) ... ومعنى كونه تبيانا لكل شيء أن فيه البيان الكثير من الأحكام ، والإحالة فيما بقي منها على السنة" (٣) .

وقوله تعالى : ﴿اللَّهُ نَزَّلَ أَحْسَنَ الْحَدِيثِ كِتَابًا مُتَشَابِهًا مَثَانِيَ تَقْشَعْرُ مِنْهُ جُلُودَ الَّذِينَ يَخْشَوْنَ رَبَّهُمْ ثُمَّ تَلِينُ جُلُودُهُمْ وَقُلُوبُهُمْ إِلَىٰ ذِكْرِ اللَّهِ﴾. [الزمر/٢٣] دلّ التشديد على الأهمية والتفخيم ، " فهذا مدح من الله عز وجل لكتابه القرآن العظيم المنزل على رسوله الكريم " (٤) ، " فأحسن الحديث كلام الله ، وأحسن الكتب المنزلة من كلام الله هذا القرآن" (٥) .

وقوله تعالى : ﴿وَأَنْزَلْنَا إِلَيْكَ الذِّكْرَ لِتُبَيِّنَ لِلنَّاسِ مَا نُزِّلَ إِلَيْهِمْ﴾. [النحل/٤٤] وقد تحدّث المفسرون عن دلالة التشديد هنا حيث دلّ على التفصيل الشافي ، وهذا ينسجم مع معنى الآية ، قال أبو السعود : " ما نزل إليهم في ذلك الذكر من الأحكام والشرائع ، وغير ذلك من أحوال القرون المهلكة بأفانين العذاب حسب أعمالهم الموجبة لذلك ، على وجه التفصيل ، بيانا شافيا كما ينبئ عنه صيغة التفعيل في الفعلين ، لا سيما بعد ورود الثاني أولا على صيغة الإفعال" (٦) .

- 1 . الألوسي ، روح المعاني ج ١٤ ص ٢١٤ .
- 2 . العرب تقول : بَيَّنَّتْ الشَّيْءَ تَبْيِينًا وَتَبْيَانًا بكسر التاء ، وَتَفَعَّلَ بكسر التاء يكون اسماً ، فأما المصدر فإنه يجيء على تَفَعَّلَ بفتح التاء مثل : التَّكْذَابُ وَالتَّصَدَاقُ وما أشبهه ، وفي المصادر حرفان نادران : وهما تَلْقَاءُ الشَّيْءِ وَالتَّبْيَانُ ، ولا يقاس عليهما . (ابن منظور ، لسان العرب ، مادة : بين ، ج ١٣ ، ص ٦٨)
- 3 . الشوكاني ، فتح القدير ، ج ٣ ، ص ١٨٧ .
- 4 . ابن كثير ، تفسير القرآن العظيم ، ج ٤ ، ص ٥١ .
- 5 . السعدي ، تيسير الكريم الرحمن في تفسير كلام المنان ، ص ٧٢٣ .
- 6 . أبو السعود ، إرشاد العقل السليم إلى مزايا القرآن الكريم ، ج ٥ ، ص ١١٦ . وكذلك : الألوسي ، روح المعاني ، ج ١٤ ، ص ١٥٠ .

وجاء التشديد للدلالة على الأهمية في السياقات التي اشتملت على مجادلة وتكذيب ، وفي السياقات التي ظهرت فيها قوة الخطاب بما ينسجم مع شدة الموقف ، نحو قوله تعالى مخبراً عن الكفار : ﴿ وَقَالَ الَّذِينَ كَفَرُوا لَوْلَا نُزِّلَ عَلَيْهِ الْقُرْآنُ جُمْلَةً وَاحِدَةً كَذَلِكَ لِنُثَبِّتَ بِهِ فُؤَادَكَ وَرَتَّلْنَاهُ تَرْتِيلًا ﴾ . [الفرقان/٣٢] والتنزيل هنا ليس للتدرج ، فما اقترحه الكفار هو إنزال القرآن كاملاً . قال أبو السعود : " التنزيل ههنا مجرد عن معنى التدرج ، كما في قوله تعالى : يسألك أهل الكتاب أن تنزل عليهم كتاباً من السماء . ويجوز أن يراد به الدلالة على كثرة المنزل في نفسه ، أي هلا أنزل كله جملة واحدة كالكتب الثلاثة " (١) ، وقال الألوسي : " لا قصد فيه إلى التدرج... إذ يكون المعنى لولا فرق القرآن جملة واحدة ، والتفريق ينافي الجمالية . وقيل : عبر بذلك للدلالة على كثرة المنزل في نفسه " . (٢)

وقوله تعالى : ﴿ وَقَالُوا يَا أَيُّهَا الَّذِي نُزِّلَ عَلَيْهِ الذِّكْرُ إِنَّكَ لَمَجْنُونٌ ، لَوْ مَا تَأْتِينَا بِالْمَلَائِكَةِ إِنْ كُنْتَ مِنَ الصَّادِقِينَ ، مَا نُنزِّلُ الْمَلَائِكَةَ إِلَّا بِالْحَقِّ وَمَا كَانُوا إِذَا مُنْظَرِينَ ، إِنَّا نَحْنُ نَزَّلْنَا الذِّكْرَ وَإِنَّا لَهُ لَحَافِظُونَ ﴾ . [الحجر/٦-٩] " أي قال كفار مكة مخاطبين لرسول الله صلى الله عليه وسلم ومتهمين به ، حيث أثبتوا له إنزال الذكر عليه ، مع إنكارهم لذلك في الواقع أشد إنكار ، ونفيهم له أبلغ نفي " (٣) ، فقولهم هذا " كلام على جهة الاستخفاف ، أي بزعمك ودعواك ، وهذه المخاطبة كما تقول لرجل جاهل أراد أن يتكلم فيما لا يحسن : يا أيها العالم لا تحسن تتوضأ" (٤) ، فهم " يعنون يا من يدعي مثل هذا الأمر العظيم الخارق للعادة ، إنك بسبب تلك

1 . أبو السعود ، إرشاد العقل السليم إلى مزايا القرآن الكريم ، ج ٦ ، ص ٢١٥ .

2 . الألوسي ، روح المعاني ج ١٩ ص ١٥ .

3 . الشوكاني ، فتح القدير ، ج ٣ ، ص ١٢٢ .

4 . ابن عطية ، المحرر الوجيز ، ج ٣ ، ص ٣٥١ .

الدعوى متحقق جنونك على أتم وجه " (١) , فاستخدموا التعكيس , حيث أثبتوا المنزل , ورموا المنزل عليه بالجنون , " والتعكيس في كلامهم للاستهزاء والتهمك " (٢) . لذلك جاء التعبير من خلال الفعل المشدّد للدلالة على شدة استهزائهم وتهكّمهم , وبنائوه للمجهول يخدم هذا المعنى أيضا , " فهذا النداء منهم على وجه الاستهزاء , كما قال فرعون إن رسولكم الذي أرسل إليكم لمجنون ... والتهمك سائغ , ومنه فبشرهم بعذاب أليم " (٣) . وقوله تعالى : (إِنَّا نَحْنُ نَزَّلْنَا الذِّكْرَ وَإِنَّا لَهُ لَحَافِظُونَ) ردُّ على دعواهم , فجاء التعبير من خلال الفعل المشدّد أيضا , تأكيدا على صدق ما جاء به عليه الصلاة والسلام , قال الكلبي : " الذكر هنا هو القرآن , وفي قوله إِنَّا نحن نزلنا الذكر , رد لإنكارهم واستخفافهم في قولهم يا أيها الذي نزل عليه الذكر " (٤) . فالتشديد في الموضع الأول يخدم معنى التعكيس الذي أرادوه , والتشديد في الموضع الثاني يخدم قوّة الردّ عليهم , قال ابن عطية : " هذا كما يقول لك رجل على جهة الاستخفاف يا عظيم القدر , فتقول له على جهة الرد والنجّه (٥) : نعم أنا عظيم القدر " (٦) .

كما جاءت الآية الكريمة بصيغة الجمع في قوله (إِنَّا نحن) تعظيماً لهذا التنزيل , قال الفخر الرازي : " هذه الصيغة وإن كانت للجمع , إلا أنّ هذا من كلام الملوك عند إظهار التعظيم , فإنّ الواحد منهم إذا فعل فعلاً أو قال قولاً قال : إِنَّا فعلنا كذا وقلنا كذا , فكذا ههنا " (٧) ,

1 . الألويسي , روح المعاني , ج١٤ , ص١٢ .

2 . الزمخشري , الكشاف , ج٢ , ص٥٣٥ .

3 . تفسير النسفي , ج٢ , ص٢٣٧ .

4 . الكلبي , التسهيل لعلوم التنزيل , ج٢ , ص١٤٤ .

5 . النجّه : استقبالك الرجل بما يكره وردك إياه عن حاجته ، وقيل: هو أفبح الرد... وفي الحديث : بعدما نجّهها عُمر , أي بعدما ردّها وانتهرها . والنجّه : الزجر والرّدغ . (ابن منظور , لسان العرب , مادة : نجّه , ج١٣ , ص٥٤٧)

6 . ابن عطية , المحرر الوجيز , ج٣ , ص٣٥١ .

7 . فخر الدين الرازي , التفسير الكبير , ج١٩ , ص١٢٧ .

"وفي سبك الجملتين من الدلالة على كمال الكبرياء والجلالة وعلى فخامة شأن التنزيل ما لا يخفى ، وفي إيراد الثانية بالجملة الاسمية دلالة على دوام الحفظ والله سبحانه أعلم" (١) . لذلك جاء الرد من خلال الفعل المشدّد في الآيتين : (مَا نُنزِلُ الْمَلَائِكَةَ إِلَّا بِالْحَقِّ) ، و(إِنَّا نَحْنُ نَزَّلْنَا الذِّكْرَ) تأكيدا على صدق ما أنكروه. وقد ورد الفعل (نزل) في مواضع آخر تتاسب التشديد فيها مع قوّة الخطاب في السياقات (٢) .

ثانيا : تنزيل التوراة :

جاء التعبير عن إنزال التوراة والإنجيل في القرآن الكريم من خلال الفعل (أنزل) لنزولها جملة ، أمّا الفعل (نزل) فلم يُعبّر من خلاله عن ذلك إلا في موضع وحيد ، ولعلّ هناك دلالة للتشديد في هذا الموضع ، قال تعالى : ﴿ كُلُّ الطَّعَامِ كَانَ حِلاًّ لِّبَنِي إِسْرَائِيلَ إِلَّا مَا حَرَّمَ إِسْرَائِيلُ عَلَى نَفْسِهِ مِنْ قَبْلِ أَنْ تُنزَلَ التَّوْرَةُ ﴾ . [آل عمران/٩٣] أي من قبل نزول التوراة بالتحريم (٣) ، قال النسفي : لما نزلت التوراة على موسى حرّم عليهم فيها لحوم الإبل وألبانها ، لتحريم إسرائيل ذلك على نفسه " (٤) . وقد تتاسب التشديد في (تنزل) مع معنى الآية ، فالتنزيل فيه دلالة على إثبات شرع الله وإقراره لأن من معاني التنزيل : الترتيب (٥) ، ورتبته بمعنى : "

1 . أبو السعود ، إرشاد العقل السليم إلى مزايا القرآن الكريم ، ج ٥ ، ص ٦٩ .

2 . ورد ذلك في : البقرة/٩٧ ، ١٧٦ ، والأعراف/١٩٦ ، والشعراء/١٩٨ ، ومحمد/٢ ، ٢٠ ، والنساء/٤٧ ، والزخرف/٣١ ، والتوبة/٦٤ .

3 . ادعت اليهود أن النبي صلى الله عليه وسلم ليس على ملة إبراهيم ، بدليل أنه يأكل لحوم الإبل وألبانها ، وقد حرّمت في ملة إبراهيم ونوح عليهما السلام ، فأخبرهم النبي أن ذلك كان حلالا قبل يعقوب ، ولكن يعقوب حرّمه على نفسه — عندما أصيب بعرق النسا ، ونذر أنه إن شفي ليرتكب أحبّ الطعام والشراب إليه ، وكان ذلك لحوم الإبل وألبانها — ، وبقيت تلك الحرمة في أولاده ، فأمر الرسول اليهود أن يأتوا بدليل من التوراة يدل على أن ذلك كان محرّما قبل يعقوب ، فعجزوا عن ذلك لعدم صحّته . (انظر : القرطبي ، الجامع لأحكام القرآن ، ج ٤ ، ص ١٣٤ . وفخر الدين الرازي ، التفسير الكبير ، ج ٨ ، ص ١٢٠)

4 . تفسير النسفي ، ج ١ ، ص ١٦٦ .

5 . انظر : ابن منظور ، لسان العرب ، مادة (نزل) ، ج ١١ ، ص ٦٥٧ .

أَثَبْتَهُ وَأَقْرَهُ وَجَعَلَهُ فِي مَرْتَبَتِهِ " (١) , والله تعالى قد أثبت في التوراة التي نزلها ما أحله وما حرّمه . فجاء التشديد متناسبا مع المعنى .

ثالثا : تنزيل الماء من السماء :

ورد الفعل (نزل) للتعبير عن نزول الماء من السماء , وقد تناسبت دلالات التشديد في الفعل مع السياقات , فقد مرّ سابقا أنّ التشديد في (نزل) يفيد التدرّج والتكثير , وقد يكون للاهتمام والمبالغة , فما استعمل فيه (نزل) يكون أهم وأكّد مما استعمل فيه (أنزل) . لذلك ورد (نزل) للدلالة على نزول الماء بصيغة المضارع غالبا , أمّا (أنزل) فورد بصيغة الماضي فقط , وهذا يخدم معنى كلّ منهما , فدلالة الزمن المضارع على الاستمرار تتناسب مع ما هو آكد وأهم . وقد أفاد الفعل (نزل) معنى الأهمية والمبالغة أو التكثير على النحو الآتي :

ورد في قوله تعالى : ﴿ إِذْ يُغَشِّيكُمُ النُّعَاسَ أَمَنَةً مِنْهُ وَيُنزِلُ عَلَيْكُمْ مِنَ السَّمَاءِ مَاءً لِيُطَهِّرَكُم بِهِ وَيُذْهِبَ عَنْكُمْ رِجْزَ الشَّيْطَانِ وَلِيَرْبِطَ عَلَى قُلُوبِكُمْ وَيُثَبِّتَ بِهِ الْأَقْدَامَ ﴾ . [الأنفال/ ١١]

والماء المنزل في هذه الآية ليس لإنبات الزرع وإخراج الثمر , وإنما لنصر المسلمين وتثبيت أقدامهم , قال مجاهد : " أطفأ بالماء الغبار , والبدت به الأرض , وطابت به أنفسهم , وثبتت به أقدامهم " (٢) , فجاء التشديد في الفعل دالا على الاهتمام والمبالغة عنايةً بالمسلمين , فالماء هنا لغاية النصر .

وورد في قوله تعالى : ﴿ وَلَئِن سَأَلْتَهُمْ مَنْ نَزَّلَ مِنَ السَّمَاءِ مَاءً فَأَحْيَا بِهِ الْأَرْضَ مِنَ بَعْدِ مَوْتِهَا لَيَقُولُنَّ اللَّهُ قُلِ الْحَمْدُ لِلَّهِ بَلْ أَكْثَرُهُمْ لَا يَعْقِلُونَ ﴾ . [العنكبوت/ ٦٣] والآية في سياق سؤال وتقرير , فجاء التعبير عن نزول الماء بالتشديد للأهمية والتأكيد (٣) . ويلاحظ في هذه الآية أنه

1 . المعجم الوسيط , مادة (رتب) .

2 . تفسير مجاهد , ج ١ , ص ٢٥٩ .

3 . وكذلك في : الزخرف / ١١ .

قال (من بعد موتها) في حين قال في مواضع أخر ^(١) (بعد موتها) , وهذا ينسجم مع السياق , وقد تحدث الكرمانى عن دلالة زيادة حرف الجر (من) في هذا الموضع وتركه في البقرة والجاثية والروم , فقال : " ما في هذه السورة سؤال وتقرير , والتقرير يحتاج إلى التحقيق فوق غيره , فقيد الظرف بمن " ^(٢) . لذلك جاء التعبير عن نزول الماء من خلال الفعل المشدّد , تناسبا مع سياق التقرير بعد السؤال الذي فيه من التأكيد والأهمية ما لا يخفى .

وورد في قوله تعالى : ﴿ وَإِنْ مِنْ شَيْءٍ إِلَّا عِنْدَنَا خَزَائِنُهُ وَمَا نُنزِّلُهُ إِلَّا بِقَدَرٍ مَعْلُومٍ ﴾ . [الحجر/٢١] " قال جمهور المفسرين إن المراد بما في هذه الآية هو المطر لأنه سبب الأرزاق والمعاش " ^(٣) , وقال القرطبي : " يعني المطر المنزل من السماء لأن به نبات كل شيء ... (وما ننزله إلا بقدر معلوم) أي ولكن لا ننزله إلا على حسب مشيئتنا , وعلى حسب حاجة الخلق إليه " ^(٤) . فجاء قوله (وإن من شيء إلا عندنا خزائنه) للدلالة على العموم , " فذكر الخزائن تمثيل لاقتداره على كل مقدور , والمعنى أن كل الممكنات مقدورة ومملوكة يخرجها من عدم إلى الوجود بمقدار , كيف شاء " ^(٥) , وجاء قوله (وما ننزله إلا بقدر معلوم) للدلالة على التنزيل على حسب الحاجة , فتضمّن التشديد معنى التدرّج والتكرار .

وورد الفعل (نزل) في السياقات الدالة على وحدانية الله , وقد ورد الفعل (أنزل) في مثل هذه السياقات أيضا , لكن الآيات التي ورد فيها (نزل) كان الخطاب فيها أشدّ من التي ورد فيها (أنزل) , وهذا ينسجم مع دلالة (نزل) على الأهمية والمبالغة , فورد في قوله تعالى

-
- 1 . ورد ذلك في : النحل / ٦٥ , والجاثية / ٥ , والبقرة / ١٦٤ , والروم / ٢٤ . أمّا (من بعد موتها) فلم يرد إلا في موضع وحيد هو ما جاء في العنكبوت .
 - 2 . الكرمانى , أسرار التكرار في القرآن , ج ١ , ص ١٦٦ .
 - 3 . الشوكاني , فتح القدير ج ٣ ص ١٢٦ .
 - 4 . القرطبي , الجامع لأحكام القرآن , ج ١٠ , ص ١٤ .
 - 5 . الشوكاني , فتح القدير , ج ٣ , ص ١٢٦ .

: ﴿ وَمِنْ آيَاتِهِ يُرِيكُمُ الْبَرْقَ خَوْفًا وَطَمَعًا وَيُنزِلُ مِنَ السَّمَاءِ مَاءً فَيُحْيِي بِهِ الْأَرْضَ بَعْدَ مَوْتِهَا إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَاتٍ لِقَوْمٍ يَعْقِلُونَ ﴾ . [الروم/ ٢٤] فجاء التشديد في الفعل متناسبا مع سياق الآيات , فالآيات تدعو إلى التفكر في عظمة الله , وتسبيحه وحمده لما أنعم به , فتبدأ السورة بذكر شيء من علم الغيب وهو أن الروم سيغلبون الفرس — وقد تحقق هذا الخبر — , ثم تأتي الآيات داعية إلى إفراده تعالى بالتسبيح والحمد في كل الأوقات , فيقول تعالى : (فَسُبْحَانَ اللَّهِ حِينَ تُمْسُونَ وَحِينَ تُصْبِحُونَ . وَلَهُ الْحَمْدُ فِي السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَعَشِيًّا وَحِينَ تُظْهِرُونَ) , وقد عبّر عن معظم الأزمنة هنا من خلال الفعل , فقال : (تمسون , وتصبحون , وتظهرون) , وفي هذا دلالة على وجوب استمرار تسبيح الله وحمده , " فالفعل يدلّ على الحدوث والتجدد , والاسم يدلّ على الثبوت " (١) .

ثم تأتي الآيات بعد ذلك مخبرة عن مظاهر قدرة الله تعالى وهي : (يُخْرِجُ الْحَيَّ مِنَ الْمَيِّتِ وَيُخْرِجُ الْمَيِّتَ مِنَ الْحَيِّ وَيُحْيِي الْأَرْضَ بَعْدَ مَوْتِهَا ... وَمِنْ آيَاتِهِ أَنْ خَلَقَكُمْ مِنْ تُرَابٍ ... وَمِنْ آيَاتِهِ أَنْ خَلَقَ لَكُمْ مِنْ أَنْفُسِكُمْ أَزْوَاجًا لِتَسْكُنُوا إِلَيْهَا ... وَمِنْ آيَاتِهِ خَلْقَ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَاخْتِلَافَ السِّنِّتِكُمْ ... وَمِنْ آيَاتِهِ مَنْامُكُمْ بِاللَّيْلِ وَالنَّهَارِ وَابْتِغَاؤُكُمْ مِنْ فَضْلِهِ ... وَمِنْ آيَاتِهِ يُرِيكُمُ الْبَرْقَ خَوْفًا وَطَمَعًا وَيُنزِلُ مِنَ السَّمَاءِ مَاءً ... وَمِنْ آيَاتِهِ أَنْ تَقُومَ السَّمَاءُ وَالْأَرْضُ بِأَمْرِهِ ...) . والله تعالى يأمرنا أن نتفكر في هذه الآيات لندرك أنه هو المستحق للعبادة , فقال في نهايات الآيات : (إن في ذلك لآيات لقوم يتفكرون , ثم لقوم يسمعون , ثم لقوم يعقلون) وقد جاء ذكر تنزيل الماء مع قوله (إن في ذلك لآيات لقوم يعقلون) , " فخصّ العقل بالذكر لأن به يتوصل إلى معرفة الآيات " (٢) وذكر قبله التفكر . فجاء الفعل (نزل) بالتشديد للدلالة على كثرة تجدد

1 . فاضل السامرائي , التعبير القرآني , ص ٢٢ .

2 . الكرمانى , أسرار التكرار في القرآن , ص ٣٧ .

حدوث هذه الآيات ، وبالتالي إظهار قيمة العقل ، وضرورة تجدد تأمله وتفكره في هذا الكون ،
 فعبر عن نزول المطر بالتنزيل .

وورد في قوله تعالى : ﴿ وَيُنزِلُ مِنَ السَّمَاءِ مِنْ جِبَالٍ فِيهَا مِنْ بَرَدٍ فَيُصِيبُ بِهِ مَنْ يَشَاءُ
 وَيَصْرِفُهُ عَنِ مَنْ يَشَاءُ ﴾ . [النور/٤٣] فعبر الفعل (نزل) عن المطر الكثير الذي ينزل من
 جبال من البرد جعلها الله في السماء ، قال الكلبي : " قيل إن الجبال هنا حقيقة وأن الله جعل في
 السماء جبالا من برد ، وقيل إنه مجاز " (١) ، وقال الفخر الرازي : " في هذه الآية قولان :
 أحدهما : أن في السماء جبالا من برد خلقها الله تعالى كذلك ، ثم ينزل منها ما شاء وهذا القول
 عليه أكثر المفسرين " (٢) .

ورد في قوله تعالى : ﴿ وَنَزَّلْنَا مِنَ السَّمَاءِ مَاءً مُبَارَكًا فَأَنْبَتْنَا بِهِ جَنَّاتٍ وَحَبَّ الْحَصِيدِ ﴾ .
 [ق/٩] ، أي : " كثير الخير وفيه حياة كل شيء وهو المطر " (٣) ، وقد تناسب التشديد مع سياق
 الآيات في السورة ، فسورة ق سورة مكيّة اشتملت على " ذكر البعث والجزاء والجنة والنار
 وغير ذلك من أحوال القيامة " (٤) ، وقد بدأت السورة بذكر الكافرين الذين أنكروا البعث بعد
 الموت ، فجاءت الآيات الدالة على قدرة الله تعالى ومنها أنه يزل الماء المبارك الكثير فيحيي به
 الأرض بعد موتها ، وكذلك هو قادرٌ على بعث الناس بعد موتهم . فجاء التشديد متناسبا مع هذا
 السياق من خلال دلالاته على ما هو أهم وأكد ، والمقصود بالأهمية والتأكيد ما ينسجم مع السياق
 وليس تفضيل شيء على آخر ، وفي هذا السياق روعي التأكيد على حقيقة البعث التي أنكروها
 الكافرون . ولو سأل أحدهم فقال : لقد ورد ذكر نزول الماء بوصفه مظهرا من مظاهر قدرة الله

1 . الكلبي ، التسهيل لعلم التنزيل ، ج ٣ ، ص ٧٠ .

2 . فخر الدين الرازي ، التفسير الكبير ، ج ٢٤ ، ص ١٤ .

3 . تفسير البغوي ، ج ٤ ، ص ٢٢١ .

4 . السيوطي ، أسرار ترتيب القرآن ، ص ١٣٢ .

في سورة النبأ ، وكان ذلك بعد ذكر إنكار البعث أيضا ، ولكنه عبّر عنه بالفعل المخفف فقال :

﴿ وَأَنْزَلْنَا مِنَ الْمُعْصِرَاتِ مَاءً ثَجَّاجًا ﴾ . [النبأ/١٤] فهل هنالك دلالة للتشديد في سورة (ق) ؟

عند النظر في السياقين يُلاحظ أنّ كليهما ورد فيه ذكر إنكار البعث ، ثم وردت

الآيات الدالة على أنّ الله تعالى قدير على بعث الناس بعد موتهم . لكن سياق التكذيب في ق كان

أشدّ منه في النبأ ، فجاء التأكيد في ذكر التنزيل من خلال الفعل المشدّد تناسبا مع شدة الخطاب ،

فالخطاب في ق أشدّ بدلائل ، منها :

١ . بدأ في ق بالقسم ، قال السعدي : " يقسم تعالى بالقرآن المجيد ... الذي حوى من الفصاحة

أكملها ، ومن الألفاظ أجزلها ، ومن المعاني أعمها وأحسنها ، وهذا موجب لكمال اتباعه وسرعة

الانقياد له ، وشكر الله على المنّة به . ولكن أكثر الناس ، لا يقدر نعم الله قدرها ، ولهذا قال

تعالى : بل عجبوا ، أي : المكذبون للرسول صلى الله عليه وسلم " (١) .

٢ . عبّر عن إنكار البعث في النبأ بقوله : (الذي هم فيه مختلفون) . ذلك أنّ " منهم من صدّق

وآمن ، ومنهم من كذب " (٢) . أمّا في (ق) فعبّر عنه بقوله : (أعذا متنا وكنا ترابا ذلك رجع

بعيد) . " والمعنى استنكارهم للبعث بعد موتهم ومصيرهم ترابا ، ثم جزموا باستبعادهم للبعث

فقالوا (ذلك) أي البعث (رجع بعيد) أي بعيد عن العقول أو الأفهام أو العادة أو الإمكان " (٣) .

فالإنكار في ق أشدّ مما ورد في النبأ.

٣ . بدأ في السورتين بذكر مظاهر قدرة الله تعالى من خلال أسلوب السؤال ، فقال في النبأ : (

أَلَمْ نَجْعَلِ الْأَرْضَ مِهَادًا) . وقال في ق : (أَلَمْ يَنْظُرُوا إِلَى السَّمَاءِ فَوْقَهُمْ كَيْفَ بَنَيْنَاهَا وَزَيَّنَّاهَا

1 . السعدي ، تيسير الكريم الرحمن في تفسير كلام المنان ، ج ١ ، ص ٨٠٣ .

2 . الجوزي ، زاد المسير ج ٩ ، ص ٥ . وكذلك : القرطبي ، الجامع لأحكام القرآن ، ج ١٩ ، ص ١٧٠ .

3 . الشوكاني ، فتح القدير ، ج ٥ ، ص ٧١ .

وَمَا لَهَا مِنْ فُرُوجٍ) . والتأكيد في ق أكثر لأن السؤال فيه دعوة إلى التأمل في آيات الله بالمشاهدة فقال (ينظروا) , وبالتفكر فقال (كيف بنيناها وزيناها) .

كما تناسب التشديد الدال على الكثرة مع وصف الماء بالمبارك , " فالبركة: النماء والزيادة " (١) , " ويوصف بها كل شئ لزمه وثبت فيه خير إلهي ... ولا يسند فعل البركة إلا إلى الله " (٢) , " وقال بعض المفسرين : يريد به ماء مخصوصا خالصا للبركة ينزله الله كل سنة , وليس كل المطر يتصف بذلك " (٣) .

وورد في قوله تعالى : ﴿اللَّهُ الَّذِي يُرْسِلُ الرِّيَّاحَ فَتُثِيرُ سَحَابًا فَيَبْسُطُهُ فِي السَّمَاءِ كَيْفَ يَشَاءُ وَيَجْعَلُهُ كِسْفًا فترى الودقَ يخرج من خلاله فإذا أصاب به من يشاء من عباده إذا هم يستبشرون , وَإِنْ كَانُوا مِنْ قَبْلِ أَنْ يُنْزَلَ عَلَيْهِمْ مِنَ قَبْلِهِ لَمُبْلِسِينَ ﴾ . [الروم/٤٨، ٤٩] أي إذا أنزل الله عليهم المطر فإنهم يفرحون بنزوله , وقد كانوا قبل نزوله يائسين ومكتئبين وحزينين باحتباسه عنهم (٤) , فأشارت الآية إلى طول عهدهم بالمطر واستحكام اليأس منهم , قال أبو السعود : " (من قبله) تكرر للتأكد , والإيدان بطول عهدهم بالمطر واستحكام يأسهم منه " (٥) .

لقد تناسب التشديد في التعبير عن نزول المطر مع معنى الآية , فالقوم قد طال انتظارهم للمطر حتى تمكن اليأس منهم , ثم أنزل الله المطر ففرحوا بنزوله , فدل التشديد على استغراق وقت أطول في نزوله حتى يتحقق فرحهم بعد أن يأسوا من نزوله , فجاء الفعل على صيغة

-
- 1 . ابن منظور , لسان العرب , مادة (برك) , ج ١٠ , ص ٣٩٥ .
 - 2 . أبو هلال العسكري , الفروق اللغوية , ص ٩٦ .
 - 3 . ابن عطية , المحرر الوجيز , ج ٥ , ص ١٥٨ .
 - 4 . انظر : تفسير البغوي , ج ٣ , ص ٤٨٧ . والطبري , جامع البيان عن تأويل آي القرآن , ج ٢١ , ص ٥٤ .
 - 5 . أبو السعود , إرشاد العقل السليم إلى مزايا القرآن الكريم , ج ٧ , ص ٦٤ . وتفسير البيضاوي , ج ٤ , ص ٣٤٠ .

التفعيل الدالة على التكثير للدلالة على المكث ، " فمن مقتضيات التكثير والمبالغة في الحدث استغراق وقت أطول ، وأنه يفيد تلبثنا أو مكثنا " (١) .

وورد الفعل (نَزَلَ) للتعبير عن نزول المطر عندما عبّر عنه بالغيث ، وقد ورد ذلك مرتين ، قال تعالى : ﴿ إِنَّ اللَّهَ عِنْدَهُ عِلْمُ السَّاعَةِ وَيُنزِلُ الْغَيْثَ وَيَعْلَمُ مَا فِي الْأَرْحَامِ ﴾ . [لقمان/٣٤] وفي قوله تعالى : ﴿ وَهُوَ الَّذِي يُنَزِّلُ الْغَيْثَ مِنْ بَعْدِ مَا قَنَطُوا وَيَنْشُرُ رَحْمَتَهُ وَهُوَ الْوَلِيُّ الْحَمِيدُ ﴾ . [الشورى/٢٨] فتناسب التشديد الدال على التدرج والأهمية والمبالغة مع معنى الغيث في القرآن الكريم ، فالغيث في القرآن الكريم يختص بالخير والعطاء ، أما المطر فنقمة الله على الكافرين (٢) . ويلاحظ في الآيتين السابقتين أنه لم يقل بعد تنزيل الغيث : فأخرجنا ، أو فأنبثنا ، أو فأحيينا ، في حين كان يذكر ذلك — على الأغلب — في (أنزل) ، ولعل السبب في ذلك أن استخدام كلمة (الغيث) تفي للدلالة على نزول الماء وإنبات الكلاً ، قال ابن منظور : " الغيثُ المطرُ والكلاً ، وقيل : الأصلُ المطرُ ، ثم سُمِّيَ ما يَنْبُتُ به غَيْثًا ... وَالغَيْثُ الكَلأُ يَنْبُتُ من ماء السماء " (٣) ، فدلت جملة (ينزل الغيث) على كثرة نزول الماء ، وعلى خروج الكلاً بالتدرج .

وورد الفعل (نَزَلَ) في سياق الجمع بين إظهار الآيات وإنزال الرزق رعاية لمصالح الأديان والأبدان ، قال تعالى : ﴿ هُوَ الَّذِي يُرِيكُمُ آيَاتِهِ وَيُنَزِّلُ لَكُم مِّنَ السَّمَاءِ رِزْقًا وَمَا يَتَذَكَّرُ إِلَّا مَنْ يُنِيبُ ، فَادْعُوا اللَّهَ مُخْلِصِينَ لَهُ الدِّينَ وَلَوْ كَرِهَ الْكَافِرُونَ ﴾ . [غافر/١٤، ١٣] " يعني المطر ، فإنه سبب الأرزاق " (٤) ، وقد عبّر عن نزوله من خلال الفعل المشدّد للأهمية والمبالغة ، ففي هذه الآية يبين الله تعالى أهمية رعاية الأديان ، فقد أوجد سبحانه آياته ودلائل وجوده رعاية

1 . فاضل السامرائي ، بلاغة الكلمة في التعبير القرآني ، ص ٥١ .

2 . انظر : عودة خليل ، التطور الدلالي بين لغة الشعر ولغة القرآن ، ص ٥٠٧ .

3 . ابن منظور ، لسان العرب ، مادة (غيث) ، ج ٢ ، ص ١٧٥ .

4 . الشوكاني ، فتح القدير ، ج ٤ ، ص ٤٨٤ .

لمصالح الأديان ، فالأديان تحيا بآيات الله كما تحيا الأبدان بالأرزاق ، قال الفخر الرازي : " واعلم أن أهم المهمات رعاية مصالح الأديان ، ومصالح الأبدان ، فهو سبحانه وتعالى راعى مصالح أديان العباد بإظهار البيّنات والآيات ، وراعى مصالح أبدانهم بإنزال الرزق من السماء ، فموقع الآيات من الأديان كموقع الأرزاق من الأبدان ، فالآيات لحياة الأديان ، والأرزاق لحياة الأبدان ، وعند حصولهما يحصل الإنعام على أقوى الاعتبارات وأكمل الجهات " (١) . وقال القرطبي : " جمع بين إظهار الآيات وإنزال الرزق ، لأن بالآيات قوام الأديان وبالرزق قوام الأبدان ، وهذه الآيات هي السماوات والأرضون ، وما فيهما وما بينهما من الشمس والقمر والنجوم والرياح والسحاب والبخار والأنهار والعيون ... " (٢) .

كما تناسب التشديد الدال على الأهمية مع إفراد نعمة إنزال المطر بالذكر ، قال أبو السعود : " وإفراده بالذكر مع كونه من جملة الآيات الدالة على كمال قدرته تعالى ؛ لنفرده بعنوان كونه من آثار رحمته وجلائل نعمته الموجبة للشكر . وصيغة المضارع في الفعلين للدلالة على تجدد الإراءة والتنزيل واستمرارهما " (٣) .

رابعاً : تنزيل الملائكة :

مرّ سابقاً أنّ الفرق بين الإنزال والتنزيل في وصف القرآن والملائكة، أنّ التنزيل يكون مرّةً بعد أخرى ، والإنزال عامٌّ ، وأنّ التنزيل للتدرّج ، والإنزال دفعي . وقد ورد الفعل (نزل) للدلالة على نزول الملائكة خمس مرّات ، فجاء الفعل (نزل) لوصف نزول الملائكة مشدداً للدلالة على التكرير والأهمية ، فدلّ على أنّ تنزيل الملائكة من جهة الله تعالى كائنٌ ، إمّا على جهة التحقيق ، وهو نزول جبريل على سيدنا محمد ، ونزول الملائكة يوم القيامة ، أو على

1 . فخر الدين الرازي ، التفسير الكبير ، ج٢٧ ، ص٣٨ .

2 . القرطبي ، الجامع لأحكام القرآن ، ج١٥ ، ص٢٩٩ . وكذلك : الشوكاني ، فتح القدير ج٤ ص٤٨٤ .

3 . أبو السعود ، إرشاد العقل السليم إلى مزايا القرآن الكريم ، ج٧ ، ص٢٧٠ .

جهة المشيئة , وهو ما جاء ردًا على الكفار . فجاء التعبير عما أخبر الله به حكاية عن الكفار من خلال الفعل (أنزل) , وجاء الإخبار عما حكاه الله تعالى من خلال الفعل (نزل) .

دلّ الفعل (نزل) على نزول الملائكة على جهة التحقيق في قوله تعالى : ﴿ يُنَزِّلُ الْمَلَائِكَةَ بِالرُّوحِ مِنْ أَمْرِهِ عَلَى مَنْ يَشَاءُ مِنْ عِبَادِهِ ﴾ . [النحل/٢] والمقصود جبريل عليه السلام , قال الواحدي : " يعني جبريل عليه السلام وحده " (١) , " وتسمية الواحد باسم الجمع إذا كان ذلك الواحد رئيساً مقدماً جائز " (٢) . فالله تعالى " كان ينزل من الوحي على من نزله شيئاً بعد شيء , والتشديد به إذ كان ذلك معناه أولى من التخفيف " (٣) .

وفي قوله تعالى : ﴿ وَيَوْمَ تَشَقَّقُ السَّمَاءُ بِالْغَمَامِ وَنُزِّلَ الْمَلَائِكَةُ تَنْزِيلًا ﴾ . [الفرقان/٢٥] دلّ التشديد على كثرة الملائكة النازلين بأمر الله , ذلك أنهم يحيطون الخلق , قال ابن كثير : " يخبر تعالى عن هول يوم القيامة وما يكون فيه من الأمور العظيمة , فمنها انشقاق السماء وتقطرها وانفراجها بالغمام , وهو ظلل النور العظيم الذي يبهر الأبصار ونزول ملائكة السموات يومئذ فيحيطون بالخالق " (٤) . وقد روي عن ابن عباس أنه قال : " إن هذه السماء إذا انشقت نزل منها من الملائكة أكثر من الجن والإنس ... ثم تتشقق السماء الثانية ثم سماء سماء على قدر ذلك من التضعيف إلى السماء السابعة , فينزل منها من الملائكة أكثر من جميع من نزل من السموات ومن الجن والإنس " (٥) .

ودلّ الفعل (نزل) على نزول الملائكة على جهة المشيئة في قوله تعالى : ﴿ قُلْ لَوْ كَانَ فِي الْأَرْضِ مَلَائِكَةٌ يَمْشُونَ مُطْمَئِنِّينَ لَنَزَلْنَا عَلَيْهِمْ مِنَ السَّمَاءِ مَلَكًا رَسُولًا ﴾ . [الإسراء/٩٥]

- 1 . الواحدي , الوجيز في تفسير الكتاب العزيز , ج ١ , ص ٦٠٠ .
- 2 . فخر الدين الرازي , التفسير الكبير , ج ١٩ , ص ١٧٥ .
- 3 . الطبري , جامع البيان عن تأويل آي القرآن , ج ١٤ , ص ٧٦ .
- 4 . ابن كثير , تفسير القرآن العظيم , ج ٣ , ص ٣١٦ .
- 5 . الطبري , جامع البيان عن تأويل آي القرآن , ج ١٩ , ص ٧ .

أي : " لو كان أهل الأرض ملائكة لكان الرسول إليهم ملكا , ولكنهم بشر فالرسول إليهم بشر من جنسهم " (١) . فلو كانت مشيئة الله أن كان سكان هذه الأرض من البشر ملائكة , لأرسل إليهم أنبياء ملائكة , لكنه شاء أن يكونوا بشرا , لذلك أرسل إليهم رسلا بشرا من جنسهم .

وفي قوله تعالى : ﴿ وَلَوْ أَنَّا نَزَّلْنَا إِلَيْهِمُ الْمَلَائِكَةَ وَكَلَّمَهُمُ الْمَوْتَى وَحَشَرْنَا عَلَيْهِمْ كُلَّ شَيْءٍ قُبُلًا مَا كَانُوا لِيُؤْمِنُوا إِلَّا أَنْ يَشَاءَ اللَّهُ ﴾ . [الأنعام/١١١] أي : " لو أعطاهم ما طلبوه من إنزال الملائكة وإحياء الموتى حتى كلموهم , بل لو زاد في ذلك ما لا يبلغه اقتراحهم بأن يحشر عليهم كل شيء قبلاً , ما كانوا ليؤمنوا إلا أن يشاء الله " (٢) .

وفي قوله تعالى : ﴿ مَا نَنْزِلُ الْمَلَائِكَةَ إِلَّا بِالْحَقِّ وَمَا كَانُوا إِذَا مُنْظَرِينَ ﴾ . [الحجر/٨] فهذا " رد عليهم فيما اقترحوا , والمعنى أن الملائكة لا تنزل إلا بالحق من الوحي والمصالح التي يريدتها الله , لا باقتراح مقترح واختيار كافر " (٣) . فالتشديد يدل على كيفية نزول الملائكة عندما يشاء الله ذلك , أي : " كما يجب ويحق من الوحي والمنافع " (٤) .

خامسا : تنزيل أمر إلهي محدد :

ورد الفعل (نزل) للدلالة على تنزيل أمر إلهي محدد أمر به المؤمنين , فجاء التشديد للدلالة على المبالغة والأهمية وتأكيد الأمر المنزل , قال تعالى : ﴿ وَقَدْ نَزَّلَ عَلَيْكُمْ فِي الْكِتَابِ أَنْ إِذَا سَمِعْتُمْ آيَاتِ اللَّهِ يُكْفَرُ بِهَا وَيُسْتَهْزَأُ بِهَا فَلَا تَقْعُدُوا مَعَهُمْ حَتَّى يَخُوضُوا فِي حَدِيثٍ غَيْرِهِ إِنَّكُمْ إِذَا مَثَلْتُمْ إِنَّ اللَّهَ جَامِعُ الْمُنَافِقِينَ وَالْكَافِرِينَ فِي جَهَنَّمَ جَمِيعًا ﴾ . [النساء/١٤٠] والأمر المنزل هو تجنب مجالسة من يستهزئ بآيات الله , قال الزمخشري : " والمنزل عليهم في الكتاب هو ما

1 . الكلبى , التسهيل لعلوم التنزيل , ج ٢ , ص ١٧٩ .

2 . فخر الدين الرازى , التفسير الكبير , ج ١٣ , ص ١٢٣ .

3 . الكلبى , التسهيل لعلوم التنزيل , ج ٢ , ص ١٤٤ .

4 . ابن عطية , المحرر الوجيز , ج ٣ , ص ٣٥١ .

نزل عليهم بمكة من قوله : (وَإِذَا رَأَيْتَ الَّذِينَ يَخُوضُونَ فِي آيَاتِنَا فَأَعْرِضْ عَنْهُمْ حَتَّى يَخُوضُوا فِي حَدِيثٍ غَيْرِهِ) [الأنعام/٦٨] وذلك أن المشركين كانوا يخوضون في ذكر القرآن في مجالسهم فيستهزؤون به فهى المسلمون عن القعود معهم ما داموا خائضين فيه , وكان أحبار اليهود بالمدينة يفعلون نحو فعل المشركين " (١) .

ورد الفعل في الآية السابقة على صيغة التفعيل للدلالة على عظم الأمر المنزل وأهميته , فهو " خطاب للمنافقين بطريق الالتفات مفيد لتشديد التوبيخ الذي يستدعيه تعديد جناياتهم " (٢) , لذلك أضاف الآيات إلى اسمه تعالى , قال أبو السعود : " وإضافة الآيات إلى الاسم الجليل لتشريفها , وإبانة خطرهما , وتهويل أمر الكفر بها , أي نزل عليكم في الكتاب أنه إذا سمعتم آيات الله مكفورا بها ومستهزأ بها . وفيه دلالة على أن المنزل على النبي صلى الله عليه وسلم وإن خوطب به خاصة منزل على الأمة " (٣) . وقال ابن عطية : " وفي هذه الآية دليل قوى على وجوب تجنب أهل البدع وأهل المعاصي , وأن لا يجالسوا " (٤) .

سادسا : تنزيل الوحي والنبوة :

ورد الفعلان (نزل) للدلالة على تنزيل الوحي والنبوة على الأنبياء , فجاء للدلالة على تنزيل النبوة على سيدنا محمد صلى الله عليه وسلم , قال تعالى : ﴿ مَا يَوَدُّ الَّذِينَ كَفَرُوا مِنْ أَهْلِ الْكِتَابِ وَلِأَلَّا يُنَزَّلَ عَلَيْكُمْ مِنْ خَيْرٍ مِنْ رَبِّكُمْ وَاللَّهُ يَخْتَصُّ بِرَحْمَتِهِ مَنْ يَشَاءُ ﴾ . [البقرة/١٠٥] قال البيضاوي : " فسر الخير بالوحي , والمعنى أنهم يحسدونكم به , وما يحبون

1 . الزمخشري , الكشاف , ج ١ , ص ٦١١ .

2 . الألويسي , روح المعاني ج ٥ ص ١٧٢ .

3 . أبو السعود , إرشاد العقل السليم إلى مزايا القرآن الكريم , ج ٢ , ص ٢٤٤ .

4 . ابن عطية , المحرر الوجيز , ج ٢ , ص ١٢٥ .

أن ينزل عليكم شيء منه " (١) . وقال السمعاني : " معنى الآية أن الأنبياء قبله بُعثوا من ولد إسحاق ، فلما بُعث النبي من ولد إسماعيل ؛ لم يقع ذلك بولد اليهود ومحبتهم . وأما المشركون فإنما لم تقع نبوته بولدهم لأنه جاء بتضليلهم ، وعيب آهتهم ... وقال ابن عباس وأكثر المفسرين: الرحمة بمعنى النبوة هاهنا " (٢) .

وقال تعالى : ﴿ بِسْمَا اسْتَرَوْا بِهِ أَنْفُسَهُمْ أَنْ يَكْفُرُوا بِمَا أَنْزَلَ اللَّهُ بَغْيًا أَنْ يُنَزِّلَ اللَّهُ مِنْ فَضْلِهِ عَلَى مَنْ يَشَاءُ مِنْ عِبَادِهِ فَبَاءُوا بِغَضَبٍ عَلَى غَضَبٍ وَلِلْكَافِرِينَ عَذَابٌ مُهِينٌ ﴾ . [البقرة/٩٠] " يعني الوحي على من اختاره للرسالة " (٣) . فجعل الله النبوة فمن كان أهلا لذلك وهو محمد صلى الله عليه وسلم (٤) .

وورد في قوله تعالى مخبرا عن الكفار : ﴿ ذَلِكَ بِأَنَّهُمْ قَالُوا لِلَّذِينَ كَرَهُوا مَا نَزَلَ اللَّهُ سَنُطِيعُكُمْ فِي بَعْضِ الْأَمْرِ وَاللَّهُ يَعْلَمُ إِسْرَارَهُمْ ﴾ . [محمد/٢٦] قال الألوسي : " هم بنو قريظة والنضير من اليهود الكارهين لنزول القرآن على النبي عليه الصلاة والسلام ، مع علمهم بأنه من عند الله تعالى حسدا وطمعا في نزوله على أحد منهم " (٥) . فاليهود طمعوا أن تكون النبوة فيهم ، لذلك كرهوا أن خص الله بها سيدنا محمد صلى الله عليه وسلم . وقال السمعاني : " هم اليهود ، وإنما كرهوا حسدا وبغيا " (٦) .

وجاء للدلالة على تنزيل النبوة والرسالات على كافة الأنبياء في قوله تعالى مخبرا عن أهل النار : ﴿ كَلَّمَا أَلْفِي فِيهَا فَوَجَّ سَأَلَهُمْ خَزَنَتُهَا أَلَمْ يَأْتِكُمْ نَذِيرٌ ، قَالُوا بَلَى قَدْ جَاءَنَا نَذِيرٌ فَكَذَّبْنَا

1 . تفسير البيضاوي ، ج ١ ، ص ٣٧٦ .

2 . السمعاني ، تفسير القرآن ، ج ١ ، ص ١٢٠ .

3 . تفسير البيضاوي ج ١ ص ٣٦١ .

4 . انظر : السمرقندي ، بحر العلوم ، ج ١ ص ٩٩ .

5 . الألوسي ، روح المعاني ، ج ٢٦ ، ص ٧٥ .

6 . السمعاني ، تفسير القرآن ، ج ٥ ، ص ١٨٢ .

وَقُلْنَا مَا نَزَّلَ اللَّهُ مِنْ شَيْءٍ ﴿١﴾ [الملك/٨، ٩] أي : " من كتاب ولا بعث إينا رسولا " (١) ، ومعنى الآية : " أي فكذبنا الرسل ، وأفرطنا في التكذيب حتى نفينا الإنزال والإرسال رأسا ، وبلغنا في نسبتهم إلى الضلال " (٢) .

لقد انسجم التعبير — في الآيات السابقة — عن تنزيل النبوة من خلال الفعل المشدّد مع معاني الآيات وسياقاتها ، فجاء في أول ثلاث آيات للدلالة على تنزيل النبوة على سيدنا محمد صلى الله عليه وسلم ، فتناسب التشديد مع شدة السياقات التي ورد فيها ، ذلك أن الكفار كرهوا أن خصّ الله تعالى نبيّه محمد بالرسالة ، فكان إنكارهم بدافع الحسد والطمع ، لذلك جاء التعبير من خلال الفعل المشدّد للتأكيد والأهمية ، فلا يحقّ لأحد أن يعترض على مشيئة الله .

أمّا الآية الرابعة فتناسب التشديد فيها مع شدة الموقف في جهنّم ، ويظهر ذلك جلياً من خلال السياق ، قال تعالى : ﴿ وَلِلَّذِينَ كَفَرُوا بِرَبِّهِمْ عَذَابٌ جَهَنَّمَ وَيُسَّ الْمَصِيرُ ، إِذَا أُلْقُوا فِيهَا سَمِعُوا لَهَا شَهيقاً وهي تَفُورُ ، نَكَادُ تَمَيِّزُ مِنَ الْغَيْظِ كُلَّمَا أُلْقِيَ فِيهَا فَوْجٌ سَأَلَهُمْ خَزَنَتُهَا أَلَمْ يَأْتِكُمْ نَذِيرٌ ، قَالُوا بَلَى قَدْ جَاءَنَا نَذِيرٌ فَكَذَّبْنَا وَقُلْنَا مَا نَزَّلَ اللَّهُ مِنْ شَيْءٍ إِنْ أَنْتُمْ إِلَّا فِي ضَلَالٍ كَبِيرٍ ، وَقَالُوا لَوْ كُنَّا نَسْمَعُ أَوْ نَعْقِلُ مَا كُنَّا فِي أَصْحَابِ السَّعِيرِ ، فَاعْتَرَفُوا بِذَنبِهِمْ فَسُحِقًا لِأَصْحَابِ السَّعِيرِ ﴾ [الملك/٦-١١] .

سابعا : تنزيل الرزق :

ورد الفعل (نَزَلَ) للدلالة على تنزيل الرزق على العباد بقدر حاجتهم إليه ، قال تعالى : ﴿ وَلَوْ بَسَطَ اللَّهُ الرِّزْقَ لِعِبَادِهِ لَبَغَوْا فِي الْأَرْضِ وَلَكِنْ نُنَزِّلُ بِقَدَرٍ مَا يَشَاءُ إِنَّهُ بِعِبَادِهِ خَبِيرٌ بَصِيرٌ ﴾ [الشورى/٢٧] " أي ينزل من الرزق لعباده بتقدير ، على حسب مشيئته وما تقتضيه

1 . الفيروز آبادي ، تنوير المقباس من تفسير ابن عباس ، ج ١ ، ص ٤٧٩ .

2 . تفسير البيضاوي ، ج ٥ ، ص ٣٦٢ .

حكمته البالغة " (١) . فجاء الفعل (بسط) للدلالة على التوسيع في الرزق إلى حدّ البغي , وجاء الفعل المشدّد (نزل) للدلالة على التدرّج في توسيع الرزق إلى حدّ الصلاح , قال السمرقندي : " يعني لو وسّع الله تعالى عليهم المال لبغوا في الأرض , يعني لطموا في الأرض وعصوا . ولكن ينزل بقدر ما يشاء , يعني يوسع على كل إنسان بمقدار صلاحه في ذلك " (٢) . فهو تعالى " عالم بأحوال الناس وبطباعهم وبعواقب أمورهم , فيقدّر أرزاقهم على وفق مصالحهم , ولما بيّن تعالى أنه لا يعطيهم ما زاد على قدر حاجتهم لأجل أنه علم أن تلك الزيادة تضرهم في دينهم , بيّن أنهم إذا احتاجوا إلى الرزق فإنه لا يمنعهم " (٣) .

ثامنا : تنزيل المعجزات التي اقترحها الكفار :

ورد الفعلان (نزل , وأنزل) للدلالة على إنزال الآيات التي اقترحها الكفار على سيدنا محمد صلى الله عليه وسلّم , فجاء التشديد في المواقف التي ظهر فيه التكذيب والمجادلة بالباطل بشدّة , فقد اقترحوا أن ينزل الله عليهم صحفاً مشتملةً على أسمائهم , قال تعالى : ﴿ يَسْأَلُكَ أَهْلُ الْكِتَابِ أَنْ تُنزِلَ عَلَيْهِمْ كِتَابًا مِنَ السَّمَاءِ فَقَدْ سَأَلُوا مُوسَى أَكْبَرَ مِنْ ذَلِكَ فَقَالُوا أَرِنَا اللَّهَ جَهْرَةً فَأَخَذَتْهُمُ الصَّاعِقَةُ بِظُلْمِهِمْ ﴾ . [النساء/١٥٣] قال ابن كثير : " سألوه أن ينزل عليهم صحفاً من الله مكتوبة إلى فلان وفلان بتصديقه فيما جاءهم به , وهذا إنما قالوه على سبيل التعنت والعناد والكفر والإلحاد " (٤) .

وقال تعالى حكاية عنهم : ﴿ وَلَنْ نُؤْمِنَ لِرِيقِكَ حَتَّى تَنْزِلَ عَلَيْنَا كِتَابًا نَقْرُؤُهُ ﴾ .

[الإسراء/٩٣] وعند قراءة السياق الذي وردت فيه هذه الآية يتّضح عناد الكفار وشدّة مجادلتهم

1 . الشوكاني , فتح القدير ج ٤ ص ٥٣٥ .

2 . السمرقندي , بحر العلوم , ج ٣ , ص ٢٣١ .

3 . فخر الدين الرازي , التفسير الكبير , ج ٢٧ , ص ١٤٧ .

4 . ابن كثير , تفسير القرآن العظيم , ج ١ , ص ٥٧٣ .

بالباطل , قال تعالى حكاية عنهم : (وَقَالُوا لَنْ نُؤْمِنَ لَكَ حَتَّى تَفْجُرَ لَنَا مِنَ الْأَرْضِ يَنْبُوعًا , أَوْ تَكُونَ لَكَ جَنَّةٌ مِنْ نَخِيلٍ وَعِنَبٍ فَتُفَجِّرَ الْأَنْهَارَ خِلَالَهَا تَفْجِيرًا , أَوْ تُسْقِطَ السَّمَاءَ كَمَا زَعَمْتَ عَلَيْنَا كِسْفًا أَوْ تَأْتِيَنَا بِاللَّهِ وَالْمَلَائِكَةِ قَبِيلًا , أَوْ يَكُونَ لَكَ بَيْتٌ مِنْ زُخْرَفٍ أَوْ تَرْقَى فِي السَّمَاءِ وَلَنْ نُؤْمِنَ لِرُقِيِّكَ حَتَّى تُنَزَّلَ عَلَيْنَا كِتَابًا نَقْرُوهُ قُلْ سُبْحَانَ رَبِّيَ هَلْ كُنْتُ إِلَّا بَشَرًا رَسُولًا) . ويظهر جليًا عنادهم وشدة مجادلتهم بالباطل .

وورد بالتشديد — أيضا — إجابة لما اقترحوه في الآيات السابقة , قال تعالى : ﴿ وَلَوْ نَزَّلْنَا عَلَيْكَ كِتَابًا فِي قِرْطَاسٍ فَلَمَسُوهُ بِأَيْدِيهِمْ لَقَالِ الَّذِينَ كَفَرُوا إِنَّ هَذَا إِلَّا سِحْرٌ مُبِينٌ ﴾ . [الأنعام/٧] فهذه الآية جواب لما جاء في الإسراء , قال الشنقيطي : " ذكر في هذه الآية الكريمة أن الكفار لو نزل الله عليهم كتابا مكتوبا في قرطاس , أي صحيفة , إجابة لما اقترحوه كما قال تعالى عنهم : (ولن يؤمن لرقيك حتى تنزل علينا كتابا نقرؤه) فعابنوا ذلك الكتاب المنزل ولمسته أيديهم , لعاندوا وادعوا أن ذلك من أجل أنه سحرهم , وهذا العناد واللجاج العظيم والمكابرة الذي هو شأن الكفار بيّنه تعالى في آيات كثيرة " (١) . وقد ورد ذلك في مواضع آخر تناسب التشديد فيها مع قوة الخطاب في السياق (٢) .

تاسعا : تنزيل المن والسلوى :

ورد الفعل (نزل) للدلالة على تنزيل المن والسلوى على بني إسرائيل مرة واحدة في القرآن الكريم , قال تعالى : ﴿ يَا بَنِي إِسْرَائِيلَ قَدْ أَنْجَيْنَاكُمْ مِنْ عَدُوِّكُمْ وَوَعَدْنَاكُمْ جَانِبَ الطُّورِ الْأَيْمَنِ وَنَزَّلْنَا عَلَيْكُمُ الْمَنَّاءَ وَالسَّلْوى ﴾ . [طه/٨٠] وهذا " بعد ما أفاض عليهم من فنون النعم الدينية والدنيوية ما أفاض , وقيل : إنشاء خطاب للذين كانوا منهم في عهد النبي صلى الله تعالى

1 . الشنقيطي , أضواء البيان , ج ١ , ص ٤٧١ .

2 . ورد ذلك أيضا في : الأنعام/٣٧ , والشعراء/٤٠ .

عليه وسلم , على معنى أنه تعالى قد منَّ عليهم بما فعل آبائهم " (١) , " والمنّ حلوى كانت تنزل عليهم من السماء , والسلوى طائر يسقط عليهم, فيأخذون من كل قدر الحاجة إلى الغد, لطفاً من الله ورحمة بهم وإحساناً إليهم " (٢) . وقد جاء الفعل في الآية السابقة على صيغة التفعيل الدالة على التكثير , فالفعل (نَزَلَ) يشير إلى تكرار نزول المنّ والسلوى على بني إسرائيل , ممّا يظهر مدّة زمنية تتناسب مع معنى التكرار في الحدث كما يشير السياق , قال تعالى : ﴿ يَا بَنِي إِسْرَائِيلَ قَدْ أَنْجَيْنَاكُمْ مِنْ عَدُوِّكُمْ وَوَاعَدْنَاكُمْ جَانِبَ الطُّورِ الْأَيْمَنِ وَنَزَّلْنَا عَلَيْكُمُ الْمَنَّاءَ وَالسَّلْوى , كُلُوا مِنْ طَيِّبَاتِ مَا رَزَقْنَاكُمْ وَلَا تَطْغَوْا فِيهِ فَيَحِلَّ عَلَيْكُمْ غَضَبِي وَمَنْ يَحِلَّ عَلَيْهِ غَضَبِي فَقَدْ هَوَى , وَإِنِّي لَغَفَّارٌ لِمَنْ تَابَ وَآمَنَ وَعَمِلَ صَالِحًا ثُمَّ اهْتَدَى ﴾ . [طه/٨٠-٨٢] فبعد ذكر تنزيل المنّ والسلوى أمرهم أن يأكلوا من طيبات ما رزقهم , ثم أمرهم ألا يطغوا كي لا يحلّ غضبه تعالى عليهم , ذلك أن من حلّ عليه غضب الله فقد هوى , ثم أخبرهم أنه يتوب عمّن يؤمن ويعمل صالحاً . فجاء التشديد متناسبا مع السياق الذي أشار إلى عدد من الأحداث في أثناء نزول المنّ والسلوى عليهم , فدلّ التشديد في الفعل على التريث بما ينسجم مع السياق .

أمّا عندما ورد الفعل من غير تشديد في قوله تعالى : ﴿ وَظَلَّلْنَا عَلَيْهِمُ الْغَمَامَ وَأَنْزَلْنَا عَلَيْهِمُ الْمَنَّاءَ وَالسَّلْوى كُلُوا مِنْ طَيِّبَاتِ مَا رَزَقْنَاكُمْ وَمَا ظَلَمُونَا وَلَكِنْ كَانُوا أَنْفُسَهُمْ يَظْلِمُونَ ﴾ . [الأعراف/١٦٠] وقوله تعالى : ﴿ وَظَلَّلْنَا عَلَيْكُمُ الْغَمَامَ وَأَنْزَلْنَا عَلَيْكُمُ الْمَنَّاءَ وَالسَّلْوى كُلُوا مِنْ طَيِّبَاتِ مَا رَزَقْنَاكُمْ وَمَا ظَلَمُونَا وَلَكِنْ كَانُوا أَنْفُسَهُمْ يَظْلِمُونَ ﴾ . [البقرة/٥٧] فذكر النتيجة مباشرة بعد ذكر تنزيل المنّ والسلوى فقال : (وما ظلمونا ولكن كانوا أنفسهم يظلمون) , قال الفخر الرازي : " يعني فظلموا بأن كفروا هذه النعم , أو بأن أخذوا أزيد مما أطلق لهم في أخذه , أو

1 . الألويسي , روح المعاني , ج١٦ , ص٢٣٨ .

2 . ابن كثير , تفسير القرآن العظيم , ج٣ , ص١٦٢ .

بأن سألوا غير ذلك الجنس وما ظلمونا ، فاختصر الكلام بحذفه لدلالة (وَمَا ظَلَمُونَا) عليه " (١) . وقال الشوكاني : " في الكلام حذف والتقدير : قلنا كلوا فعصوا ولم يقابلوا النعم بالشكر ،

فظلموا أنفسهم وما ظلمونا ، فحذف هذا لدلالة (ولكن كانوا أنفسهم يظلمون) عليه " (٢) .

كما اجتمع — في الموضوعين — إنزال المنّ والسلوى ، والأمر بالأكل ، وكفرهم بهذه النعمة في آية واحدة ، مما يتناسب مع إيراد الفعل على صيغة الإفعال ، أي من غير إشارة إلى تريت بعد إنزال المنّ والسلوى عليهم . أمّا عندما أوردّه على صيغة التفعيل فكان ذكر التنزيل في آية ، والأمر بالأكل في آية أخرى ، وذكر المغفرة لمن تاب في أخرى . وهذا يتناسب مع الفعل (نزل) من خلال دلالته على التكثير الذي ينسجم مع معنى التريت .

ومما قد يُشارُ إليه أيضا أنه عندما قال (نزل) قيّد الأمر بالأكل بعدم الطغيان ، فأمرهم ألا يطغوا فيه كي لا يحلّ عليهم غضب الله . وهذا ينسجم مع معنى التريت الذي أشار إليه الفعل (نزل) ، أمّا عندما قال (أنزل) ، فلم يأمرهم بعدم الطغيان وإنما ذكر طغيانهم مباشرة بعد الأمر بالأكل ، فكانت الآية مخبرة عن النتيجة حيث أنهم طغوا .

عاشرا : تنزيل المائدة :

ورد كل من الفعلين (نزل ، وأنزل) للدلالة على تنزيل المائدة في قوله تعالى : ﴿ إِذْ قَالَ الْحَوَارِيُّونَ يَا عِيسَى ابْنَ مَرْيَمَ هَلْ يَسْتَطِيعُ رَبُّكَ أَنْ يُنَزِّلَ عَلَيْنَا مَائِدَةً مِنَ السَّمَاءِ قَالَ اتَّقُوا اللَّهَ إِنَّ كُنْتُمْ مُؤْمِنِينَ ، قَالُوا نُرِيدُ أَنْ نَأْكُلَ مِنْهَا وَتَطْمَئِنَّ قُلُوبُنَا وَنَعْلَمَ أَنْ قَدْ صَدَقْتَنَا وَنَكُونَ عَلَيْهَا مِنَ الشَّاهِدِينَ ، قَالَ عِيسَى ابْنُ مَرْيَمَ اللَّهُمَّ رَبَّنَا أَنْزِلْ عَلَيْنَا مَائِدَةً مِنَ السَّمَاءِ تَكُونُ لَنَا عِيدًا لِأَوَّلِنَا

1 . فخر الدين الرازي ، التفسير الكبير ، ج ٣ ، ص ٨٢ .

2 . الشوكاني ، فتح القدير ، ج ١ ، ص ٨٨ .

وَأَخْرِنَا وَآيَةً مِنْكَ وَارزُقْنَا وَأَنْتَ خَيْرُ الرَّازِقِينَ , قَالَ اللَّهُ إِنِّي مُنزِلُهَا عَلَيْكُمْ فَمَنْ يَكْفُرْ بَعْدُ مِنْكُمْ فَإِنِّي أُعَذِّبُهُ عَذَابًا لَّا أُعَذِّبُهُ أَحَدًا مِنَ الْعَالَمِينَ ﴿١١٢﴾ . [المائدة/١١٢-١١٥]

يُلاحظ في الآيات السابقة أن التعبير عن سؤال الحواريين جاء من خلال الفعل المشدّد , وأن التعبير عن دعاء النبي جاء من خلال الفعل المخفّف . ويُلاحظ أيضا أنّ التعبير عن الإجابة جاء من خلال البناء المشدّد في قوله : إِنِّي مَنَزَلُهَا .

أمّا سؤالهم " فلا يجوز لأحدٍ أن يتوهم أن الحواريين شكوا في قدرة الله , وإنما هذا كما يقول الإنسان لصاحبه : هل تستطيع أن تقوم معي وهو يعلم أنه مستطيع , ولكنه يريد هل يسهل عليك " (١) , ومما يؤيد ذلك " أن الله أتى على الحواريين في مواضع من كتابه " (٢) . وعلى هذا يكون التعبير من خلال الفعل المشدّد أنسب في هذا السياق , فالحواريون يعلمون أنّ الله قادر على أن ينزل مائدة من السماء , فجاء طلبهم بصيغة التفعيل للدلالة على التكثير , فهم يريدون تنزيلها ليأكلوا منها , ولتطمئن قلوبهم , وليعلموا صدق النبيّ , وليكونوا عليها من الشاهدين .

أمّا التعبير عن دعاء سيدنا عيسى من خلال الفعل المخفّف , فعمل فيه دلالة على يقين سيدنا عيسى بهوان ذلك الطلب على الله تعالى , فقد كان جوابه في البداية أن يتّقوا الله , لكنّه دعا الله بعد ذلك أن ينزل المائدة من أجل قومه لا من أجله . فجاءت الإجابة على دعائه بصيغة التفعيل عنايةً من الله تعالى , قال أبو السعود : " ورود الإجابة منه تعالى بصيغة التفعيل المنبئة عن التكثير مع كون الدعاء منه عليه السلام بصيغة الإفعال , لإظهار كمال اللطف والإحسان... مع ما فيه من مراعاة ما وقع في عبارة السائلين . وفي تصدير الجملة بكلمة التحقيق وجعل خبرها اسما , تحقيق للوعد وإيدان بأنه تعالى منجز له لا محالة , من غير صارف يثنيه ولا

1 . الجوزي , زاد المسير , ج ٢ , ص ٤٥٦ .

2 . الكلبى , التسهيل لعلوم التنزيل , ج ١ , ص ١٩٣ .

مانع يلويه ، وإشعار بالاستمرار ، أي إني منزل المائدة عليكم مرات كثيرة " (١) . فقد " كانت تنزل عليهم أربعين يوماً ، يأكل منها كل يوم أربعة آلاف أو خمسة آلاف نفر ، فكانوا يأكلون ولا ينقص منها شيء ، ثم تصعد ، ثم تنزل ، هكذا كل يوم حتى خانوا فيها ، فمسخوا قرده وخنازير ، ورفعت المائدة " (٢) .

حادي عشر : تنزيل الحجّة والبرهان لما زعم الكفار أنه يُعبد من دون الله :

ورد الفعل (نَزَلَ) منفيًا للدلالة على عدم تنزيل الحجّة والبرهان على صحّة الأسماء التي زعم الكفار أنها تُعبد من دون الله ، قال تعالى : ﴿ سَنُلْقِي فِي قُلُوبِ الَّذِينَ كَفَرُوا الرُّعْبَ بِمَا أَشْرَكُوا بِاللَّهِ مَا لَمْ يُنَزَّلْ بِهِ سُلْطَانًا وَمَأْوَاهُمُ النَّارُ وَبِئْسَ مَثْوَى الظَّالِمِينَ ﴾ . [آل عمران/١٥١] " والسلطان ههنا هو الحجّة والبرهان ... وقوله : مَا لَمْ يُنَزَّلْ بِهِ سُلْطَانًا ، يوهم أن فيه سلطاناً إلا أن الله تعالى ما أنزله وما أظهره ، إلا أن الجواب عنه أنه لو كان لأنزل الله به سلطاناً ، فلما لم يُنَزَّلْ به سلطاناً وجب عدمه " (٣) . قال الزمخشري : " إنما المراد نفي الحجّة " (٤) .

وقال تعالى حكاية عن سيدنا هود مع قومه : ﴿ قَالَ قَدْ وَقَعَ عَلَيْكُمْ مِنْ رَبِّكُمْ رِجْسٌ وَغَضَبٌ أَتَجَادِلُونَنِي فِي أَسْمَاءٍ سَمَّيْتُمُوهَا أَنْتُمْ وَأَبَاؤُكُمْ مَا نَزَّلَ اللَّهُ بِهَا مِنْ سُلْطَانٍ فَانظُرُوا إِنِّي مَعَكُمْ مِنَ الْمُنْتَظَرِينَ ﴾ . [الأعراف/٧١] " يعني أسماء الأصنام التي كانوا يعبدونها ، جعلها أسماء لأن مسمياتها لا حقيقة لها ، بل تسميتها بالآلهة باطلة ، فكأنها معدومة لم توجد ، بل الموجود أسماؤها فقط " (٥) .

1 . أبو السعود ، إرشاد العقل السليم إلى مزايا القرآن الكريم ، ج ٣ ، ص ٩٩ . والألوسي ، روح المعاني ، ج ٧ ، ص ٦٢ .

2 . السمعاني ، تفسير القرآن ، ج ٢ ، ص ٨١ .

3 . فخر الدين الرازي ، التفسير الكبير ، ج ٩ ، ص ٢٨ .

4 . الزمخشري ، الكشاف ، ج ١ ، ص ٤٥٣ .

5 . الشوكاني ، فتح القدير ، ج ٢ ، ص ٢١٨ .

وقال تعالى : ﴿ وَيَعْبُدُونَ مِنْ دُونِ اللَّهِ مَا لَمْ يَنْزَلْ بِهِ سُلْطَانًا وَمَا لَيْسَ لَهُمْ بِهِ عِلْمٌ وَمَا لِلظَّالِمِينَ مِنْ نَصِيرٍ , وَإِذَا تُلِيَتْ عَلَيْهِمْ آيَاتُنَا بَيِّنَاتٍ تَعْرِفُ فِي وُجُوهِ الَّذِينَ كَفَرُوا الْمُنْكَرَ يَكَادُونَ يَسْطُونَ بِالَّذِينَ يَتْلُونَ عَلَيْهِمْ آيَاتِنَا قُلْ أَفَأَنْبَتُكُمْ بِشَرٍّ مِنْ ذَلِكَُم النَّارِ وَعَدَهَا اللَّهُ الَّذِينَ كَفَرُوا وَبِئْسَ الْمَصِيرُ ﴾ . [الحج/٧٢،٧١] وقوله : ما لم ينزل به سلطانا " يعني الأصنام , والسلطان هنا الحجة والبرهان " (١) .

وقال تعالى : ﴿ قُلْ إِنَّمَا حَرَّمَ رَبِّيَ الْفَوَاحِشَ مَا ظَهَرَ مِنْهَا وَمَا بَطَنَ وَالْإِثْمَ وَالْبَغْيَ بِغَيْرِ الْحَقِّ وَأَنْ تُشْرِكُوا بِاللَّهِ مَا لَمْ يَنْزَلْ بِهِ سُلْطَانًا وَأَنْ تَقُولُوا عَلَى اللَّهِ مَا لَا تَعْلَمُونَ ﴾ . [الأعراف/٣٣] أي : " قل يا محمد لهؤلاء المشركين " (٢) , " والفواحش ما تزايد قبحه , وقيل ما يتعلق بالفروج ... والإثم ما يوجب الإثم ... وقيل شرب الخمر , والبغي الظلم أو الكبر , أفردته بالذكر للمبالغة ... وأن تشركوا بالله ما لم ينزل به سلطانا : تهكم بالمشركين وتبنيه على تحريم اتباع ما لم يدل عليه برهان , وأن تقولوا على الله ما لا تعلمون : بالإلحاد في صفاته سبحانه وتعالى والافتراء عليه " (٣) , " فالمراد التهكم بالمشركين , لأن الله لا ينزل برهانا بأن يكون غيره شريكا له " (٤) .

وقال تعالى مخبرا عن سيدنا إبراهيم : ﴿ وَحَاجَّهُ قَوْمُهُ قَالَ أَتُحَاجُّونِي فِي اللَّهِ وَقَدْ هَدَانِ وَلَا أَخَافُ مَا تُشْرِكُونَ بِهِ إِلَّا أَنْ يُشَاءَ رَبِّيَ شَيْئًا وَسِعَ رَبِّي كُلَّ شَيْءٍ عِلْمًا أَفَلَا تَتَذَكَّرُونَ , وَكَيْفَ أَخَافُ مَا أَشْرَكْتُمْ وَلَا تَخَافُونَ أَنَّكُمْ أَشْرَكْتُمْ بِاللَّهِ مَا لَمْ يَنْزَلْ بِهِ عَلَيْكُمْ سُلْطَانًا فَأَيُّ الْفَرِيقَيْنِ أَحَقُّ بِالْأَمْنِ إِنْ كُنْتُمْ تَعْلَمُونَ ﴾ . [الأنعام/٨٠-٨١] قال الفخر الرازي : " اعلم أن إبراهيم عليه السلام

1 . الكلبى , التسهيل لعلوم التنزيل , ج ٣ , ص ٤٦ .

2 . الطبري , جامع البيان عن تأويل آي القرآن , ج ٨ , ص ١٦٦ .

3 . تفسير البيضاوي , ج ٣ , ص ١٨ .

4 . الشوكاني , فتح القدير , ج ٢ , ص ٢٠١ .

لما أورد عليهم الحجة المذكورة فالقوم أوردوا عليه حججاً على صحة أقوالهم ، منها أنهم تمسكوا بالتقليد ... ومنها أنهم خوفوه بأنك لما طعنتَ في إلهية هذه الأصنام ، وقعتَ من جهة هذه الأصنام في الآفات والبلبات " (١) ، " فقال لهم وكيف أخاف وأرهب ما أشركتموه في عبادتكم ربكم فعبدتموه من دونه وهو لا يضر ولا ينفع ، ولو كانت تنفع أو تضر لدفعت عن أنفسها كسري إياها وضربي لها بالفأس ، وأنتم لا تخافون الله الذي خلقكم ورزقكم وهو القادر على نفعكم وضرركم في إشراككم في عبادتكم إياه ما لم ينزل به عليكم سلطانا ، يعني ما لم يعطكم على إشراككم إياه في عبادته حجة ، ولم يضع لكم عليه برهانا ولم يجعل لكم به عذراً" (٢).

ورد الفعل في الآيات السابقة مشدداً ، وهذا يتناسب مع السياقات التي ورد فيها ، فجاءت الآيات مشتملة على شدة في الخطاب من خلال المجادلة بالباطل ، والتكذيب والعنت ، والتوعّد بالعذاب ، ونحو ذلك مما ينسجم مع إيراد الفعل على صيغة التفعيل (٣) . ففي الموضع الأول توعّد الله الكافرين بأنه سيلقي في قلوبهم الرعب ، ومأواهم جهنم بسبب عبادتهم هذه الأصنام . وفي الموضع الثاني أخبر تعالى أنه قد وقع على الكافرين رجس و غضب من الله بسبب عنادهم وعبادتهم هذه الأصنام . وفي الموضع الثالث أخبر تعالى أنه لا ناصر لهم بسبب عبادتهم الأصنام ، ثم توعّدهم بالنار التي أعدّها لهم . وفي الموضع الرابع ذكر عدداً من أنكر الأفعال التي حرّمها تعالى ، فأخبر أنه قد حرّم الفواحش ، وحرّم الإثم ، وحرّم البغي بغير الحق ، وحرّم أن يشرك به . فجمع السياق عدداً من أشنع الأفعال التي توجب النار ولا سيما الإشراك بالله تعالى . وفي الموضع الخامس جاء السياق مشتملاً على مجادلة قوم سيدنا إبراهيم له بالباطل ،

1 . فخر الدين الرازي ، التفسير الكبير ، ج١٣ ، ص٤٨ .

2 . الطبري ، جامع البيان عن تأويل آي القرآن ، ج٧ ، ص٢٥٣ .

3 . انظر : فاضل السامرائي ، بلاغة الكلمة في التعبير القرآني ، ص٥٤ - ٥٥ .

فقد جادلوه وحاجّوه في أصنامهم , وخوفوه أن يصيبه الضرر منها إن أصرّ على عنادهم .
فجاء التشديد في هذه المواضع لما اشتملت عليه من شدّة في المجادلة والمحاورة , في حين ورد
الفعل مخفّفاً في يوسف والنجم والروم — كما سيأتي لاحقاً — لخلوها من هذه الشدّة في المجادلة,
فاستعمل (نزلَ) لما هو أهمّ وأكد ممّا استعمل فيه (أنزلَ) .

(أنزلَ) :

ورد الفعل (أنزلَ) مئةً وثلاثاً وثمانين مرّةً في القرآن الكريم , وقد تمّ الحديث سابقاً
عن الفرق بين الإنزال والتنزيل , فجاء الفعل (أنزلَ) للتعبير عن إنزال عدّة على النحو الآتي:
أولاً : إنزال القرآن :

ورد الفعل (أنزلَ) للدلالة على إنزال القرآن الكريم بعدة أسماء وصفات , وقد تمّ الحديث
عن الفرق بين تنزيل القرآن الكريم وإنزاله , ودلالات التشديد في (نزلَ) , فكان التنزيل للدلالة
على التجسيم والتدرّج والتكثير والأهمية , أمّا الإنزال فهو عام , فجاء للدلالة على الإنزال دفعة
واحدة , أو للدلالة على عموم ما أنزلَ , وأنه من جهة الله تعالى , أو نحو ذلك مما ينسجم مع
السياقات .

ففي قوله تعالى : ﴿ شَهْرُ رَمَضَانَ الَّذِي أُنزِلَ فِيهِ الْقُرْآنُ هُدًى لِّلنَّاسِ وَبَيِّنَاتٍ مِّنَ الْهُدَى
وَالْفُرْقَانِ ﴾ . [البقرة/١٨٥] دلّ الفعل (أنزلَ) على إنزال القرآن الكريم جملة , أي " أنزل فيه
القرآن من اللوح المحفوظ جملة واحدة إلى الكتبة في سماء الدنيا , ثم أنزل به جبريل عليه
السلام على رسول الله صلى الله عليه وسلم نجوماً نجوماً " (١) . وكذلك في قوله تعالى : ﴿ إِنَّا
أَنْزَلْنَاهُ فِي لَيْلَةِ مُبَارَكَةٍ ﴾ . [الدخان/٣] وقوله : ﴿ إِنَّا أَنْزَلْنَاهُ فِي لَيْلَةِ الْقَدْرِ ﴾ . [القدر/١] أي " أنزلَ

1 . السمرقندي , بحر العلوم , ج ١ , ص ١٤٨ .

جملة واحدة في ليلة القدر إلى سماء الدنيا من اللوح المحفوظ , وكان ينزل على النبي صلى الله عليه وآله وسلم نجوما على حسب الحاجة " (١) .

وفي قوله تعالى: ﴿ إِنَّا أَنْزَلْنَاهُ قُرْآنًا عَرَبِيًّا لَعَلَّكُمْ تَعْقِلُونَ ﴾ . [يوسف/٢] دلّ الفعل (أنزل) على أن كل ما نزل إلى سيدنا محمد صلى الله عليه وسلم من القرآن هو بلسان عربي , فالحديث هنا ليس عن كيفية الإنزال , وإنما عن صفة القرآن المنزل , قال ابن عطية : " الإنزال إمّا بمعنى الإثبات , وإمّا أن تتصف به التلاوة " (٢) , " أي أنزلناه بلغثكم لكي تعلموا معانيه وتفهموا ما فيه " (٣) .

وورد الفعل (أنزل) للدلالة على إنزال القرآن الكريم باسم (الذكر) أربع مرّات , والحديث في هذه المواضع الأربعة عن القرآن الكريم بشكل عام . فورد في قوله تعالى حكاية عن الكفار : ﴿ أُنزِلَ عَلَيْهِ الذِّكْرُ مِنْ بَيْنِنَا بَلْ هُمْ فِي شَكٍّ مِنْ ذِكْرِي بَلْ لَمَّا يَدُوقُوا عَذَابَ ﴿٨﴾ [ص/٨] والمقصود اعتراضهم على سيدنا محمد صلى الله عليه وسلم لأنه خصّ بما نزل من القرآن , " أي كيف خصّ بهذا دوننا وليس بأعلانا نسبا , ولا أعظما شرفا " (٤) . فالآية تبين إنكار الكفار للقرآن الكريم , والحديث هنا ليس عن كيفية نزول القرآن , وإنما عن إنكار كل ما نزل من القرآن , بحجة أنه لو كان حقّا لما خصّ به سيدنا محمد من بينهم . لذلك جاء التخفيف للدلالة على الكتاب المنزل على سيدنا محمد من جهة الله تعالى (٥) . أمّا عندما عبّر عن نزول الذكر من خلال الفعل المشدّد كما سبق , فكان ذلك في سياق الاستهزاء الشديد كما قال المفسرون , كأن تخاطب جاهلا فتقول له يا أيها العالم , لذلك جاء التشديد — مرتين — في ذلك

1 . الشوكاني , فتح القدير , ج ٥ , ص ٤٧١ .

2 . ابن عطية , المحرر الوجيز في تفسير الكتاب العزيز , ج ٣ , ص ٢١٨ .

3 . تفسير البغوي , ج ٢ , ص ٤٠٨ .

4 . الجوزي , زاد المسير , ج ٧ , ص ١٠٤ .

5 . ورد أيضا في : الأنبياء/٥٠ , و الطلاق/١٠ , و النحل/٤٤ .

الموضع تحديداً ، ففي الموضع الأول انسجم مع مقالة التعكيس التي تبين شدة استخفافهم، وفي الموضع الثاني جاء التشديد إثباتاً لما أنكروه ، فجاء الردّ من خلال البناء نفسه .

وقد يرد الفعل (أنزل) للدلالة على إنزال سور القرآن وآياته ، ففي قوله تعالى : ﴿ سُورَةٌ أَنْزَلْنَاهَا وَفَرَضْنَاهَا وَأَنْزَلْنَا فِيهَا آيَاتٍ بَيِّنَاتٍ لَعَلَّكُمْ تَذَكَّرُونَ ﴾ . [النور/١] دلّ الفعل (أنزل) على الإنزال دفعةً أي : " أنزلها من أم الكتاب في السماء الدنيا دفعةً واحدة ، ثم أنزلها بعد ذلك نجوماً على لسان جبريل عليه السلام " (١) .

وقد يرد للدلالة على إنزال السور والآيات بما فيها من أحكام وأوامر نحو قوله تعالى : ﴿ وَإِذَا مَا أَنْزَلْنَا سُورَةً فَمِنْهُمْ مَنْ يَقُولُ أَيْكُمُ زَادَتْهُ هَذِهِ إِيْمَانًا فَأَمَّا الَّذِينَ آمَنُوا فزَادَتْهُمْ إِيْمَانًا وَهُمْ يَسْتَبْشِرُونَ ﴾ . [التوبة/١٢٤] أي أن المؤمنين يزدادون إيماناً بنزول القرآن من خلال امتثال أوامره ، والمنافقين يزدادون كفراً بإنكارهم (٢) . فدلّ الإنزال على ما جاء من جهته تعالى ، قال الطبري : " لما أنزل الله السورة لزمهم فرض الإقرار بأنها بعينها من عند الله ، ووجب عليهم فرض الإيمان بما فيها من أحكام الله وحدوده وفرائضه ، فكان ذلك هو الزيادة التي زادهم نزول السورة حين نزلت من الإيمان والتصديق بها " (٣) . وقوله تعالى : ﴿ وَقَدْ أَنْزَلْنَا آيَاتٍ بَيِّنَاتٍ ﴾ . [المجادلة/٥] " يعني القرآن فيه بيان أمره ونهيه " (٤) . وقوله : ﴿ وَلَقَدْ أَنْزَلْنَا إِلَيْكُمْ آيَاتٍ مُبَيِّنَاتٍ ﴾ . [النور/٣٤] " يعني القرآن في آيات واضحات مفسرات " (٥) .

لقد ورد الفعل (أنزل) للدلالة على إنزال القرآن الكريم – بعدة أسماء وصفات – في مواضع كثيرة ، فجاء للدلالة على إنزال القرآن الكريم جملةً ، أو للدلالة على عموم ما أنزل من

1 . فخر الدين الرازي ، التفسير الكبير ، ج ٢٣ ، ص ١١٣ .

2 . انظر : تفسير البغوي ، ج ٢ ، ص ٣٤٠ .

3 . الطبري ، جامع البيان عن تأويل آي القرآن ، ج ١١ ، ص ٧٢ .

4 . السمرقندي ، بحر العلوم ، ج ٣ ، ص ٣٩٤ .

5 . ابن كثير ، تفسير القرآن العظيم ، ج ٣ ، ص ٢٩٠ .

القرآن الكريم لبيان صفته , أو غايته , أو هيئته التي أنزله الله تعالى عليها , أو ما اشتمل عليه من أوامر (١) .

وقد يرد الفعل (أنزل) للدلالة على نزول القرآن الكريم في سياق ذكر نزول الكتب الأخرى قبله , نحو تعالى : ﴿ وَالَّذِينَ يُؤْمِنُونَ بِمَا أُنزِلَ إِلَيْكَ وَمَا أُنزِلَ مِنْ قَبْلِكَ وَبِالْآخِرَةِ هُمْ يُوقِنُونَ ﴾ . [البقرة/٤] والمقصود القرآن والكتب السالفة (٢) . وهناك مواضع أخر ورد فيها ذلك (٣) .

ثانيا : إنزال الكتب السماوية قبل القرآن الكريم :

ورد الفعل (أنزل) للدلالة على إنزال الكتب السماوية قبل القرآن الكريم , وهذا ينسجم مع كون الإنزال دفعي , فقد نزلت الكتب السابقة دفعةً , لذلك لم يعبر عن إنزالها من خلال الفعل (نزل) , إلا في موضع وحيد اختص بنزول التوراة , وقد تمّ الحديث عن دلالة التشديد فيه سابقا . وقد ورود الفعل (أنزل) للدلالة على إنزال الكتب السماوية غير القرآن كثيرا , من ذلك قوله تعالى : ﴿ يَا أَهْلَ الْكِتَابِ لِمَ تَحَاجُّونَ فِي إِبْرَاهِيمَ وَمَا أُنزِلَتِ التَّوْرَةُ وَالْإِنْجِيلُ إِلَّا مِنْ بَعْدِهِ أَفَلَا تَعْقِلُونَ ﴾ . [آل عمران/٦٥] وقوله تعالى : ﴿ إِنَّا أَنْزَلْنَا التَّوْرَةَ فِيهَا هُدًى وَنُورٌ ﴾ . [المائدة/٤٤]

1 . ورد ذلك في : البقرة/٩٩ , ٢٣١ , ٢٨٥ , وآل عمران/٧ , والنساء/١٠٥ , ١١٣ , ١٧٤ , والمائدة/٤٨ , ٦٦ , ٦٨ , ٨٣ , والأعراف/٢ , ١٥٧ , والأنبياء/١٠ , والأحقاف/٣٠ , والرعد/١ , والأنعام/٩٢ , ٩٣ , ١٥٥ , ١٥٧ , وإبراهيم/١ , والعنكبوت/٤٧ , ٥١ , والنحل/٦٤ , والتغابن/٨ , وطه/٢ , ١١٣ , وص/٢٩ , والكهف/١ , والحشر/٢١ , والزمر/٢ , ٤١ , ومحمد/٢٠ , والتوبة/٨٦ , ١٢٧ , والأنفال/٤١ , والقصاص/٨٧ , والنور/٤٦ , والحج/١٦ , والرعد/٣٧ , والزمر/٥٥ , يونس/٩٤ .

2 . انظر : ابن عطية , المحرر الوجيز , ج ١ , ص ٨٦ .

3 . ورد ذلك في : البقرة/٤١ , ٩٠ , ٩١ , ١٣٦ , وآل عمران/٧٢ , ٨٤ , ١٩٩ , والنساء/٦٠ , ١٦٢ , ١٦٦ , والمائدة/٥٩ , ٦٤ , ٨١ , والأنعام/٩١ , والإسراء/١٠٥ , والرعد/١٩ , ٣٦ , والفرقان/٦ , والنحل/٣٠٢٤ , و سبأ/٦ , ومحمد/٩ , وهود/١٤ , والعنكبوت/٤٦ .

وقوله تعالى : ﴿ أَنْ تَقُولُوا إِنَّمَا أُنزِلَ الْكِتَابُ عَلَى طَائِفَتَيْنِ مِنْ قَبْلِنَا ﴾ . [الأأنعام/١٥٦] " أي التوراة والإنجيل " (١) . وهناك مواضع أأر ورد فيها ذلك (٢) .

وقد يرد الفعل (أنزل) للدلالة على إنزال بعض ما جاء في الكتب السماوية قبل القرآن الكريم , من ذلك إنزال صفة سيدنا محمد صلى الله عليه وسلم في التوراة , قال تعالى : ﴿ إِنَّ الَّذِينَ يَكْتُمُونَ مَا أَنْزَلَ اللَّهُ مِنَ الْكِتَابِ وَيَشْتَرُونَ بِهِ ثَمَنًا قَلِيلًا أُولَئِكَ مَا يَأْكُلُونَ فِي بُطُونِهِمْ إِلَّا النَّارَ وَلَا يُكَلِّمُهُمُ اللَّهُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ وَلَا يُزَكِّيهِمْ وَلَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ ﴾ . [البقرة/١٧٤] . أي : " كتموا ما أنزل الله في التوراة من صفة محمد صلى الله عليه وسلم " (٣) . وقال تعالى : ﴿ إِنَّ الَّذِينَ يَكْتُمُونَ مَا أَنْزَلْنَا مِنَ الْبَيِّنَاتِ وَالْهُدَى مِنْ بَعْدِ مَا بَيَّنَّاهُ لِلنَّاسِ فِي الْكِتَابِ أُولَئِكَ يَلْعَنُهُمُ اللَّهُ وَيَلْعَنُهُمُ اللَّاعِنُونَ ﴾ . [البقرة/١٥٩] " فالبيئات الحلال والحرام والحدود والفرائض , والهدى نعت النبي وصفته " (٤) .

وقد ورد الفعل (أنزل) للدلالة على إنزال جنس الكتاب نحو قوله تعالى : ﴿ لَقَدْ أَرْسَلْنَا رُسُلَنَا بِالْبَيِّنَاتِ وَأَنْزَلْنَا مَعَهُمُ الْكِتَابَ وَالْمِيزَانَ لِيَقُومَ النَّاسُ بِالْقِسْطِ ﴾ . [الحديد/٢٥] و" المراد الجنس , فيدخل فيه كتاب كل رسول " (٥) . وقوله تعالى : ﴿ اللَّهُ الَّذِي أَنْزَلَ الْكِتَابَ بِالْحَقِّ وَالْمِيزَانَ ﴾ . [الشورى/١٧] " والكتاب اسم جنس مراد به جميع الكتب السماوية " (٦) . وقوله تعالى : ﴿ كَانَ النَّاسُ أُمَّةً وَاحِدَةً فَبَعَثَ اللَّهُ النَّبِيِّينَ مُبَشِّرِينَ وَمُنذِرِينَ وَأَنْزَلَ مَعَهُمُ الْكِتَابَ بِالْحَقِّ لِيَحْكُمَ بَيْنَ النَّاسِ فِيمَا اخْتَلَفُوا فِيهِ ﴾ . [البقرة/٢١٣] و" يريد الجنس , أو مع كل واحد منهم

- 1 . الشوكاني , فتح القدير , ج ٢ , ص ١٨٠ .
- 2 . ورد في : البقرة/ ١٣٦ , وآل عمران/ ٣ , ٤ , ٥٣ , ٨٤ , والعنكبوت/ ٤٦ .
- 3 . الشوكاني , فتح القدير , ج ١ , ص ١٧١ .
- 4 . الجوزي , زاد المسير , ج ١ , ص ١٦٥ .
- 5 . الشوكاني , فتح القدير , ج ٥ , ص ١٧٧ .
- 6 . الشنقيطي , أضواء البيان , ج ٧ , ص ٦٤ .

كتابه" (١). وقوله تعالى : ﴿ وَقُلْ أَمَنْتُ بِمَا أَنْزَلَ اللَّهُ مِنْ كِتَابٍ ﴾ . [الشورى/١٥] " يعني بجميع ما أنزل الله من الكتب , عليّ وعلى من كان قبلي " (٢) .

ثالثا : إنزال الملائكة :

ورد الفعل (أنزل) للدلالة على إنزال الملائكة ثمان مرات , فورد للتعبير عما اقترحه الكفار عنادا وكفرا . قال تعالى حكاية عنهم : ﴿ وَقَالُوا مَالِ هَذَا الرَّسُولِ يَأْكُلُ الطَّعَامَ وَيَمْشِي فِي الْأَسْوَاقِ لَوْلَا أَنْزَلَ إِلَيْهِ مَلَكٌ فَيَكُونُ مَعَهُ نَذِيرًا ﴾ . [الفرقان/٧] أي : " طلبوا أن يكون النبي صلى الله عليه وسلم مصحوبا بملك يعضده ويساعده " (٣) . " فقالوا له ما بالك وأنت رسول الله تأكل الطعام وتقف بالأسواق وتريد التماس الرزق , أي إن من كان رسول الله مستغن عن جميع ذلك , ثم قالوا له سل ربك أن ينزل معك ملكا ينذر معك " (٤) .

وقال تعالى : ﴿ وَقَالَ الَّذِينَ لَا يَرْجُونَ لِقَاءَنَا لَوْلَا أُنزِلَ عَلَيْنَا الْمَلَائِكَةُ أَوْ نَرَى رَبَّنَا ﴾ . [الفرقان/٢١] أي : " هلا أنزل علينا الملائكة فيخبروننا بأنك رسول الله إلينا " (٥) . وكذلك في قوله : ﴿ فَقَالَ الْمَلَأُ الَّذِينَ كَفَرُوا مِنْ قَوْمِهِ مَا هَذَا إِلَّا بَشَرٌ مِثْلُكُمْ يُرِيدُ أَنْ يَفْضَلَ عَلَيْكُمْ وَلَوْ شَاءَ اللَّهُ لَأَنْزَلَ مَلَائِكَةً مَا سَمِعْنَا بِهَذَا فِي آبَائِنَا الْأُولِينَ ﴾ . [المؤمنون/٢٤] وقوله : ﴿ قَالُوا لَوْ شَاءَ رَبُّنَا لَأَنْزَلَ مَلَائِكَةً فَإِنَّا بِمَا أُرْسِلْتُمْ بِهِ كَافِرُونَ ﴾ . [فصلت/١٤]

وورد مرتين في قوله تعالى : ﴿ وَقَالُوا لَوْلَا أُنزِلَ عَلَيْهِ مَلَكٌ وَلَوْ أَنْزَلْنَا مَلَكَ لَقُضِيَ الْأَمْرُ ثُمَّ لَا يُنظَرُونَ ﴾ . [الأنعام/٨] أي قالوا هلا أنزل الله عليك ملكا نراه ويكلمنا أنه نبي حتى نؤمن

1 . الزمخشري , الكشاف , ج ١ , ص ٢٨٣ .

2 . السمرقندي , بحر العلوم , ج ٣ , ص ٢٢٧ .

3 . الشوكاني , فتح القدير , ج ٤ , ص ٦٣ .

4 . ابن عطية , المحرر الوجيز في تفسير الكتاب العزيز , ج ٤ , ص ٢٠١ .

5 . السمرقندي , بحر العلوم , ج ٢ , ص ٥٣٤ .

به واتبعه , كقولهم لولا أنزل إليه ملك فيكون معه نذيرا " (١) . فجاء التعبير عن اقتراحهم من خلال الفعل المخفف (أنزل) , وجاء الردّ بالتخفيف انسجاما مع التخفيف في (لولا أنزل) . ولعلّ هنالك دلالة أخرى للتخفيف في قوله (ولو أنزلنا) , وهي دلالة الفعل على النزول مرة واحدة لا تدريجا , فلو أنزل الله ملكا لماتوا حالما رأوه من هول رؤيته , قال الكلبي : " وقيل المعنى لو أنزلنا ملكا لماتوا من هول رؤيته " (٢) .

لقد جاء التعبير عما اقترحه الكفار من خلال الفعل المخفف (أنزل) , فهم لا علم لهم بكيفية نزول الملائكة , وإنما يقولون ذلك على سبيل العناد . أما الرد عليهم فمن خلال الفعل المشدّد (نزل) , لأن الله تعالى يعلم كيف ينزل ملائكته , فدلّ التشديد على الأهمية , وعلى التأكيد .

وورد الفعل (أنزل) للدلالة على إنزال جنود الله من السماء , فورد في قوله تعالى : ﴿ وَيَوْمَ حُنَيْنٍ إِذْ أَعْجَبَتْكُمْ كَثْرَتُكُمْ فَلَمْ تُغْنِ عَنْكُمْ شَيْئًا وَضَاقَتْ عَلَيْكُمُ الْأَرْضُ بِمَا رَحُبَتْ ثُمَّ وَلَّيْتُم مُّدْبِرِينَ , ثُمَّ أَنْزَلَ اللَّهُ سَكِينَتَهُ عَلَى رَسُولِهِ وَعَلَى الْمُؤْمِنِينَ وَأَنْزَلَ جُنُودًا لَمْ تَرَوْهَا وَعَذَّبَ الَّذِينَ كَفَرُوا وَذَلِكَ جَزَاءُ الْكَافِرِينَ ﴾ . [التوبة/٢٥،٢٦] قال الواحدي : " يريد الملائكة " (٣) , وقال أبو السعود : " هم الملائكة عليهم السلام عليهم البياض على خيول بلق " (٤) . فجاء (أنزل) مخففا هنا ليتناسب مع قوله (أنزل السكينة) , فإنزال السكينة في القرآن يكون — كما مرّ سابقا — من خلال الفعل المخفف . ولعلّ في التخفيف في هذا الموضع دلالة أخرى , وهي أنّ الملائكة لم

1 . الشوكاني , فتح القدير , ج ٢ , ص ١٠١ .

2 . الكلبي , التسهيل لعلوم التنزيل , ج ٢ , ص ٣ .

3 . الواحدي , الوجيز في تفسير الكتاب العزيز , ج ١ , ص ٤٥٩ .

4 . أبو السعود , إرشاد العقل السليم إلى مزايا القرآن الكريم , ج ٤ , ص ٥٦ .

تنزل للقتال وإنما لتشجيع المسلمين ، قال السمعاني : " ونزلت لا للقتال ، ولكن لتجبين الكفار وتشجيع المسلمين ، فإن المروي أن الملائكة لم تقا تل إلا في يوم بدر " (١) .

وورد في قوله تعالى : ﴿ وَمَا أَنْزَلْنَا عَلَى قَوْمِهِ مِنْ بَعْدِهِ مِنْ جُنْدٍ مِنَ السَّمَاءِ وَمَا كُنَّا مُنْزِلِينَ ، إِنْ كَانَتْ إِلَّا صَيْحَةً وَاحِدَةً فَإِذَا هُمْ خَامِدُونَ ﴾ . [يس/٢٨، ٢٩] والمقصود قوم حبيب النجار ، وهو الرجل الذي آمن برسل عيسى عليه السلام عندما بعثهم إلى أنطاكية ، أمر حبيب قومه أن يؤمنوا بهم ، لكنهم لم ينتصحووا وقتلوه ، وقيل لما هموا بقتله رفعه الله إلى الجنة (٢) .

فيخبر الله تعالى أنه لم يرسل إليهم جنودا من السماء لإهلاكهم كما وقع ذلك للنبي صلى الله عليه وسلم يوم بدر ، وإنما أهلكهم بصيحة جبريل عليه السلام (٣) . فالجند في هذه الآية بمعنى الملائكة ، قال الألوسي : " الظاهر أن المراد بهذا الجند جنود الملائكة ، أي ما أنزلنا لأهلاكهم ملائكة " (٤) . وقد تناسب إيراد الفعل مخففاً مع معنى النظم القرآني الذي أشار إلى تحقير القوم وتصغيرهم ، وهوان أمر إهلاكهم على الله تعالى ، قال الشوكاني : " الظاهر أن معنى النظم القرآني تحقير شأنهم ، وتصغير أمرهم ، أي ليسوا بأحقاء بأن تنزل لإهلاكهم جندا من السماء " (٥) ، وقال الفخر الرازي : " إشارة إلى هلاكهم بعده سريعاً على أسهل وجه، فإنه لم يحتج إلى إرسال جند يهلكهم... وقوله (واحدة) تأكيد لكون الأمر هيناً عند الله " (٦) .

1 . السمعاني ، تفسير القرآن ، ج ٢ ، ص ٢٩٩ .

2 . انظر : الواحدي ، الوجيز في تفسير الكتاب العزيز ، ج ٢ ، ص ٨٩٧ — ٨٩٩ . وأبو السعود ، إرشاد العقل السليم إلى مزايا القرآن الكريم ، ج ٧ ، ص ١٦٢ — ١٦٤ .

3 . انظر : الشوكاني ، فتح القدير ، ج ٤ ، ص ٣٦٧ .

4 . الألوسي ، روح المعاني ، ج ٢٣ ، ص ٢ .

5 . الشوكاني ، فتح القدير ، ج ٤ ، ص ٣٦٧ .

6 . فخر الدين الرازي ، التفسير الكبير ، ج ٢٦ ، ص ٥٥ .

رابعاً : إنزال الماء :

ورد الفعل أنزل للدلالة على إنزال الماء من السماء أربعاً وعشرين مرة في القرآن الكريم , وقد ورد بصيغة الماضي في جميع هذا المواطن , فجاء للدلالة على إنزال الماء بشكل عام , أي على سبيل الذكر . وبمعنى آخر: ورد (نزل) في القرآن الكريم في السياقات التي روعيَ فيها التأكيد والتدرج والاهتمام والمبالغة أكثر من (أنزل) , أي أن " ما استعمل فيه (نزل) يكون أهمّ وأكّد مما استعمل فيه (أنزل)"^(١).

ورد الفعل (أنزل) في سياقات تعدد نعم الله تعالى , فجاء الإنزال عاماً للدلالة على حدث نزول الماء من السماء بوصفه مظهراً من مظاهر قدرة الله ونعمته , وقد ذكر – غالباً – مع ذكر خلق الأرض والسموات والجبال والليل والنهار وغيرها , قال تعالى : ﴿ الَّذِي جَعَلَ لَكُمُ الْأَرْضَ مَهْدًا وَسَلَكَ لَكُمْ فِيهَا سُبُلًا وَأَنْزَلَ مِنَ السَّمَاءِ مَاءً فَأَخْرَجْنَا بِهِ أَزْوَاجًا مِنْ نَبَاتٍ شَتَّى ﴾ . [طه/٥٣] وقال تعالى : ﴿ خَلَقَ السَّمَاوَاتِ بِغَيْرِ عَمَدٍ تَرَوْنَهَا وَأَلْقَى فِي الْأَرْضِ رَوَاسِيَ أَنْ تَمِيدَ بِكُمْ وَبَثَّ فِيهَا مِنْ كُلِّ دَابَّةٍ وَأَنْزَلْنَا مِنَ السَّمَاءِ مَاءً فَأَنْبَتْنَا فِيهَا مِنْ كُلِّ زَوْجٍ كَرِيمٍ ﴾ . [لقمان/١٠] وقال تعالى : ﴿ أَلَمْ تَرَ أَنَّ اللَّهَ أَنْزَلَ مِنَ السَّمَاءِ مَاءً فَأَخْرَجْنَا بِهِ ثَمَرَاتٍ مُخْتَلِفًا أَلْوَانُهَا وَمِنَ الْجِبَالِ جُدَدٌ بَيْضٌ وَحُمْرٌ مُخْتَلِفٌ أَلْوَانُهَا وَغَرَابِيبُ سُودٌ ﴾ . [فاطر/٢٧] وقال تعالى : ﴿ الَّذِي جَعَلَ لَكُمُ الْأَرْضَ فِرَاشًا وَالسَّمَاءَ بِنَاءً وَأَنْزَلَ مِنَ السَّمَاءِ مَاءً فَأَخْرَجَ بِهِ مِنَ الثَّمَرَاتِ رِزْقًا لَكُمْ فَلَا تَجْعَلُوا لِلَّهِ أُندَادًا وَأَنْتُمْ تَعْلَمُونَ ﴾ . [البقرة/٢٢] وقد ورد ذلك في مواضع أخر^(٢) .

كما ورد الفعل (أنزل) في سياقات ضرب الأمثال للناس , فجاء نزول المطر على سبيل الذكر ليستحضر الإنسان ما ضربه الله مثلاً , ويتفكره ويتدبره , قال تعالى : ﴿ إِنَّمَا مَثَلُ

1 . فاضل السامرائي , بلاغة الكلمة في التعبير القرآني , ص ٥٤ .

2 . ورد كذلك في : البقرة/١٦٤ , والنبأ/١٤ , والزمر/٢١ , والحج/٦٣ , والمؤمنون/١٨ , والجاثية/٥ , والحج/٥ , وفصلت/٣٩ , والأنعام/٩٩ , والأعراف/٥٧ , وإبراهيم/٣٢ , والنحل/٦٥ , والنمل/٦٠ .

الْحَيَاةَ الدُّنْيَا كَمَا أَنْزَلْنَاهُ مِنَ السَّمَاءِ فَاخْتَلَطَ بِهِ نَبَاتُ الْأَرْضِ مِمَّا يَأْكُلُ النَّاسُ وَالْأَنْعَامُ حَتَّى إِذَا أَخَذَتِ الْأَرْضُ زُخْرُفَهَا وَازَيَّنَّتْ وَظَنَّ أَهْلِهَا أَنَّهُمْ قَادِرُونَ عَلَيْهَا أَتَاهَا أَمْرُنَا لَيْلًا أَوْ نَهَارًا فَجَعَلْنَاهَا حَصِيدًا كَأَن لَّمْ تَغْنَبِ بِالْأَمْسِ كَذَلِكَ نُفَصِّلُ الْآيَاتِ لِقَوْمٍ يَتَفَكَّرُونَ ﴿١﴾ [يونس/٢٤]

ولم تقتصر دلالة التخفيف في (أنزل) على ذكر مظاهر قدرة الله فقط ، بل كان لها دلالات تتسجم مع السياقات التي وردت فيها ، ففي السياقات التي ورد فيها ذكر الشرب أو السقي ذكر الفعل (أنزل) ، ولعل هنالك انسجاما بين التخفيف في (أنزل) وصفة الماء المشروب ، انظر إلى قوله تعالى : ﴿ أَفَرَأَيْتُمُ الْمَاءَ الَّذِي تَشْرَبُونَ ، أَأَنْتُمْ أَنْزَلْتُمُوهُ مِنَ الْمُزْنِ أَمْ نَحْنُ الْمُنزِلُونَ ﴾ [الواقعة/٦٨،٦٩] لقد ورد ذكر المزن في القرآن الكريم مرة وحيدة ، والمقصود به السحاب ، قال أبو السعود : " أي من السحاب ، واحده مزنة ، وقيل هو السحاب الأبيض وماؤه أعذب " (٢) ، ولما كان الحديث عن الماء المشروب ذكر المزن للدلالة على الماء العذب الذي أنعم الله به على الناس ليشرّبوه ، وذكر الإنزال بالفعل المخفف (أنزل) للدلالة على بقاء هذا الماء صافيا لغاية الشرب ، فقال (أنزلتموه) بالتخفيف لأن التشديد في (نزل) يفيد التدرج والتكرار ، والماء العذب إذا جرى على التراب فإنه يفقد عذوبته ويصبح مالحا ، قال الألوسي : " الموجود من الماء الملح أكثر من الماء العذب ، وكثيرا ما إذا جرت المياه العذبة على الأراضي المتغيرة التربة أحوالها إلى الملوحة " (٣) . فتناسب التخفيف في التعبير عن إنزال الماء مع صفة الماء المشروب .

وفي قوله تعالى : ﴿ هُوَ الَّذِي أَنْزَلَ مِنَ السَّمَاءِ مَاءً لَكُمْ مِنْهُ شَرَابٌ وَمِنْهُ شَجَرٌ فِيهِ تُسِيمُونَ ﴾ [النحل/١٠] ذكر الشرب في هذا السياق ، وفي قوله تعالى : ﴿ وَهُوَ الَّذِي أَرْسَلَ

1 . ورد أيضا في : الرعد /١٧ ، والكهف /٤٥ .

2 . تفسير أبي السعود ، ج ٨ ، ص ١٩٨ ، وكذلك : الألوسي ، روح المعاني ، ج ٢٧ ، ص ١٤٩ .

3 . الألوسي ، روح المعاني ، ج ٢٧ ، ص ١٤٩ .

الرِّيَّاحِ بُشْرًا بَيْنَ يَدَيْ رَحْمَتِهِ وَأَنْزَلْنَا مِنَ السَّمَاءِ مَاءً طَهُورًا ، لِنُحْيِيَ بِهِ بَلْدَةً مَيِّتًا وَنُسْقِيَهُ مِمَّا خَلَقْنَا أَنْعَامًا وَأَنْبَاسِيَّ كَثِيرًا ﴿٤٨﴾ [الفرقان/٤٨،٤٩] ذَكَرَ السَّقْيَ . وَكَذَلِكَ فِي قَوْلِهِ تَعَالَى : ﴿ وَأَرْسَلْنَا الرِّيَّاحَ لَوَاقِحَ فَأَنْزَلْنَا مِنَ السَّمَاءِ مَاءً فَأَسْقَيْنَاكُمُوهُ ﴾ [الحجر/٢٢]

خامسا : إنزال الوحي والنبوة :

ورد الفعل (أنزل) للدلالة على ذلك في قوله تعالى مخبرا عن أهل أنطاكية عندما جاءهم الرسل الثلاثة من جهة عيسى عليه السلام (١) : ﴿ قَالُوا مَا أَنْتُمْ إِلَّا بَشَرٌ مِثْلُنَا وَمَا أَنْزَلَ الرَّحْمَنُ مِنْ شَيْءٍ ﴾ [يس/١٥] أي " مما تدعونه من الوحي والرسالة " (٢) ، قال الشوكاني : " مما تدعونه أنتم ويدعيه غيركم ممن قبلكم من الرسل وأتباعهم " (٣) ، وقال الطبري : " قالوا وما أنزل الرحمن إليكم من رسالة ولا كتاب ولا أمركم فينا بشيء " (٤) ، فهم قد كذبوا ما أنزل من رسالات ، قال ابن عطية : " هذه الأمة أنكرت النبوة بقولها (وما أنزل الرحمن من شيء) " (٥) .

ورد الفعل (أنزل) في هذه الآية مخففا ، بينما ورد مشددا عندما كان الحديث عن حسد الكفار لسيدنا محمد صلى الله عليه وسلم لأن الله خصه بالنبوة ، وعندما كان الحديث عن حال الكفار في جهنم . فجاء التشديد منسجما مع شدة السياقات التي ورد فيها ، " فاستعمل (نزل) لما هو أشد وأقوى " (٦) . أما ما جاء في هذه الآية فليس من الشدة كالذي جاء في مواطن التشديد ، فهذه الآية مثل ضربه الله تعالى لمن كفر بسيدنا محمد صلى الله عليه وسلم ، قال تعالى : ﴿ وَأَضْرِبْ لَهُمْ مَثَلًا أَصْحَابَ الْقَرْيَةِ إِذْ جَاءَهَا الْمُرْسَلُونَ ، إِذْ أَرْسَلْنَا إِلَيْهِمُ اثْنَيْنِ فَكَذَّبُوهُمَا فَعَزَّزْنَا

1 . انظر : فخر الدين الرازي ، التفسير الكبير ، ج ٢٦ ، ص ٤٥ .

2 . أبو السعود ، إرشاد العقل السليم إلى مزايا القرآن الكريم ، ج ٧ ، ص ١٦٢ .

3 . الشوكاني ، فتح القدير ، ج ٤ ، ص ٣٦٤ .

4 . الطبري ، جامع البيان عن تأويل آي القرآن ، ج ٢٢ ، ص ١٥٧ .

5 . ابن عطية ، المحرر الوجيز ، ج ٤ ، ص ٤٤٩ .

6 . فاضل السامرائي ، بلاغة الكلمة في التعبير القرآني ، ص ٥٧ .

بَنَالَتْ فَقَالُوا إِنَّا إِلَيْكُمْ مُرْسَلُونَ ، قَالُوا مَا أَنْتُمْ إِلَّا بَشَرٌ مِثْلُنَا وَمَا أَنْزَلَ الرَّحْمَنُ مِنْ شَيْءٍ إِنْ أَنْتُمْ إِلَّا تَكْذِبُونَ ﴿١٥-١٣﴾ . [يس/١٣-١٥] قال القرطبي : " خطاب للنبي صلى الله عليه وسلم ، أمر أن يضرب لقومه مثلاً بأصحاب القرية " (١) .

سادسا : إنزال الشرائع والأحكام :

ورد الفعل (أنزل) للدلالة على إنزال الشرائع والأحكام من عند الله تعالى ، سواء أكان إنزالها دفعة كما في الكتب السماوية قبل القرآن الكريم ، أم كان إنزالها نجوما كما في القرآن الكريم . والمقصود من إنزالها ليس كيفية نزولها ، وإنما إقرارها أن تكون أحكاما للعباد كما شاء الله تعالى لها . من ذلك قوله تعالى : ﴿ وَمَنْ لَمْ يَحْكَمْ بِمَا أَنْزَلَ اللَّهُ فَأُولَئِكَ هُمُ الْكَافِرُونَ ﴾ . [المائدة/٤٤] وقوله : ﴿ وَمَنْ لَمْ يَحْكَمْ بِمَا أَنْزَلَ اللَّهُ فَأُولَئِكَ هُمُ الظَّالِمُونَ ﴾ . [المائدة/٤٥] وقوله : ﴿ وَمَنْ لَمْ يَحْكَمْ بِمَا أَنْزَلَ اللَّهُ فَأُولَئِكَ هُمُ الْفَاسِقُونَ ﴾ . [المائدة/٤٧] " قيل : هي عامة في كل من لم يحكم بما أنزل الله من المسلمين واليهود والكفار " (٢) ، وقد ورد ذلك في مواضع أخر (٣) .

سابعا : إنزال الآيات التي اقترحها الكفار على سيدنا محمد صلى الله عليه وسلم :

ورد الفعل (أنزل) للدلالة على إظهار الآيات التي اقترحها الكفار على سيدنا محمد ، قال تعالى : ﴿ فَلَعَلَّكَ تَارِكٌ بَعْضَ مَا يُوحَىٰ إِلَيْكَ وَضَائِقٌ بِهِ صَدْرُكَ أَنْ يَقُولُوا لَوْلَا أُنزِلَ عَلَيْهِ كَنْزٌ أَوْ جَاءَ مَعَهُ مَلَكٌ إِنَّمَا أَنْتَ نَذِيرٌ وَاللَّهُ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ وَكِيلٌ ﴾ . [هود/١٢] " أي هلأ أعطاه ربّه كنزا من لدنه يغنيه في نفقته ويمتاز به على غيره ، فالكنز ما يدخر من المال في الأرض ، عبّروا عنه بما يُنال بغير كسب ، وبإنزاله عليه على كونه من عند الله يخصّه به " (٤) .

1 . القرطبي ، الجامع لأحكام القرآن ، ج ١٥ ، ص ١٤ .

2 . المرجع نفسه ، ج ٦ ، ص ١٩٠ .

3 . البقرة/١٧٠ ، والمائدة/٤٨ ، ٤٩ ، ٦٧ ، ١٠٤ ، والتوبة/٩٧ .

4 . محمد رشيد ، تفسير المنار ، ج ١٢ ، ص ٢٦ .

وورد في قوله تعالى : ﴿ وَيَقُولُونَ لَوْلَا أُنزِلَ عَلَيْهِ آيَةٌ مِنْ رَبِّهِ فَقُلْ إِنَّمَا الْغَيْبُ لِلَّهِ ﴾ .
 [يونس/٢٠] " وأرادوا آية من الآيات التي اقترحوها , كآية موسى وعيسى عليهما السلام ,
 ومعنى إنزالها عليه إظهار الله تعالى لها على يده صلى الله تعالى عليه وسلم , وطلبوا ذلك تعنتا
 وعنادا وإلا فقد أتى صلى الله عليه وسلم بآيات ظاهرة ومعجزات باهرة تعلق على جميع الآيات
 وتفوق سائر المعجزات , لا سيما القرآن العظيم الباقي إعجازه على وجه الدهر إلى يوم
 القيامة" (١) . وقال تعالى : ﴿ وَقَالُوا لَوْلَا أُنزِلَ عَلَيْهِ آيَاتٌ مِنْ رَبِّهِ قُلْ إِنَّمَا الْآيَاتُ عِنْدَ اللَّهِ وَإِنَّمَا أَنَا
 نَذِيرٌ مُبِينٌ ﴾ . [العنكبوت/٥٠] أي : " هلا أنزل عليه آية مثل ناقه صالح ومائدة عيسى عليهما
 السلام ونحو ذلك" (٢) . ويتكرر قوله تعالى حكاية لما قالوه في أكثر من موضع (٣) .

ثامنا : إنزال المائدة :

ورد الفعل (أنزل) للدلالة على إنزال المائدة في قوله تعالى حكاية عن سيدنا عيسى :
 ﴿ قَالَ عِيسَى ابْنُ مَرْيَمَ اللَّهُمَّ رَبَّنَا أَنْزِلْ عَلَيْنَا مَائِدَةً مِنَ السَّمَاءِ تَكُونُ لَنَا عِيدًا لِأَوْلَادِنَا وَأَخْرَانَا وَأَيَّةً
 مِنْكَ وَارزُقْنَا وَأَنْتَ خَيْرُ الرَّازِقِينَ ﴾ . [المائدة/١١٤] وقد تمّ الحديث عن دلالة ذلك سابقا .

تاسعا : إنزال الحجّة والبرهان لما زعم الكفار أنه يُعبد من دون الله :

ورد الفعل (أنزل) منفيًا للدلالة على عدم إنزال الحجّة والبرهان على صحّة الأسماء
 التي زعم الكفار أنها تُعبد من دون الله , قال تعالى حكاية عن سيدنا يوسف عليه السلام : ﴿ مَا
 تَعْبُدُونَ مِنْ دُونِهِ إِلَّا أَسْمَاءٌ سَمَّيْتُمُوهَا أَنْتُمْ وَأَبَاؤُكُمْ مَا أَنْزَلَ اللَّهُ بِهَا مِنْ سُلْطَانٍ ﴾ . [يوسف/٤٠]
 والحديث هنا حكاية عما حكاه سيدنا يوسف للفتيين اللذين كانا معه في السجن , " وإنما ذكر بلفظ
 الجمع وقد ابتدأ الخطاب للثنتين لأنه أراد جميع أهل السجن , وكل من هو على مثل حالهما من

1 . الألويسي , روح المعاني , ج ١١ , ص ٩٢ .

2 . الزمخشري , الكشاف , ج ٣ , ص ٤٦٣ .

3 . ورد ذلك أيضا في : الرعد/ ٧ , ٢٧ .

أهل الشرك " (١) . " والمعنى أنكم سميتم ما لم يدل على استحقاقه الألوهية عقلٌ ولا نقلٌ آلهةً , ثم أخذتم تعبدونها باعتبار ما تطلقون عليها " (٢) . وإنما ورد الفعل دون تشديد لأن السياق ليس فيه شدة كالتي كانت عندما ورد مشدداً , فالآية تحكي ما قاله سيدنا يوسف للفتيين في أثناء سجنه , إذ ليس هنالك مجادلة دارت بينهم , وإنما أخبرهم ذلك موضحاً أن ما يعبدونه من دون الله باطلٌ ولا حجةٌ على صحته , فما ورد هنا " إنما هو عرض لعقيدته عليه السلام قبل أن يؤول الرؤيا للفتيين " (٣) .

وورد في قوله تعالى : ﴿ إِنَّ هِيَ إِلَّا أَسْمَاءٌ سَمَّيْتُمُوهَا أَنْتُمْ وَأَبَاؤُكُمْ مَا أَنْزَلَ اللَّهُ بِهَا مِنْ سُلْطَانٍ إِنْ يَتَّبِعُونَ إِلَّا الظَّنَّ وَمَا تَهْوَى النَّفْسُ وَلَقَدْ جَاءَهُمْ مِنْ رَبِّهِمْ الْهُدَى ﴾ . [النجم/٢٣] " أي ما الأصنام باعتبار الألوهية التي يدعونها إلا أسماء محضة , ليس تحتها مما تنبىء هي عنه من معنى الألوهية شيء ما أصلاً " (٤) , " فلا حقيقة لها , ولا أنزل الله تعالى بها برهاناً ولا حجة " (٥) . والشدة في السياق ههنا ليست كالتي كانت عندما ورد الفعل مشدداً , فالآيات الكريمة توضح أنّ الأصنام التي أسموها ثم عبدوها لا حقيقة لها . أمّا عندما ورد الفعل مشدداً فاشتملت السياقات على شدة نحو المجادلة بالباطل , والعنت والتكذيب , والتوعد بالعذاب الشديد للكفار , فجاء التشديد متناسبا مع تلك السياقات .

وورد منفياً من خلال لفظ الاستفهام في وقوله تعالى : ﴿ أَمْ أَنْزَلْنَا عَلَيْهِمْ سُلْطَانًا فَهُوَ يَتَكَلَّمُ بِمَا كَانُوا بِهِ يُشْرِكُونَ ﴾ . [الروم/٣٥] قال الطبري : " يقول تعالى ذكره أم أنزلنا على هؤلاء الذين يشركون في عبادتنا الآلهة والأوثان كتاباً بتصديق ما يقولون ... وإنما يعني جل

1 . تفسير البغوي , ج ٢ , ص ٤٢٧ .

2 . تفسير البيضاوي ج ٣ , ص ٢٨٩ .

3 . فاضل السامرائي , بلاغة الكلمة في التعبير القرآني , ص ٥٤ .

4 . أبو السعود , إرشاد العقل السليم إلى مزايا القرآن الكريم , ج ٨ , ص ١٥٩ .

5 . ابن عطية , المحرر الوجيز , ج ٥ , ص ٢٠١ .

ثناؤه بذلك أنه لم ينزل بما يقولون ويفعلون كتابا ، ولا أرسل به رسولا ، وإنما هو شيء افتعلوه واختلقوه اتباعا منهم لأهوائهم " (١) . " فاللفظ لفظ الاستفهام ، والمراد به النفي ، يعني لم ينزل عليهم حجة بذلك " (٢) . فجاء التعبير في هذه الآية من خلال الفعل (أنزل) ، ذلك أن الشدة في السياق هنا ليس كالتي كانت في السياقات التي ورد فيها التشديد ، قال تعالى : ﴿ وَإِذَا مَسَّ النَّاسَ ضُرٌّ دَعَوْا رَبَّهُمْ مُنِيبِينَ إِلَيْهِ ثُمَّ إِذَا آذَقَهُمْ مِنْهُ رَحْمَةً إِذَا فَرِيقٌ مِنْهُمْ بِرَبِّهِمْ يُشْرِكُونَ ، لِيَكْفُرُوا بِمَا آتَيْنَاهُمْ فَتَمَتَّعُوا فَسَوْفَ تَعْلَمُونَ ، أَمْ أَنْزَلْنَا عَلَيْهِمْ سُلْطَانًا فَهُوَ يَتَكَلَّمُ بِمَا كَانُوا بِهِ يُشْرِكُونَ ، وَإِذَا آذَقْنَا النَّاسَ رَحْمَةً فَرِحُوا بِهَا وَإِنْ تُصِيبُهُمْ سَيِّئَةٌ بِمَا قَدَّمَتْ أَيْدِيهِمْ إِذَا هُمْ يَقْنَطُونَ ، أَوَلَمْ يَرَوْا أَنَّ اللَّهَ يَبْسُطُ الرِّزْقَ لِمَنْ يَشَاءُ وَيَقْدِرُ إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَاتٍ لِقَوْمٍ يُؤْمِنُونَ ﴾ . [الروم/ ٣٣- ٣٧] فالآيات تتحدث عن أحوال الناس في السراء والضراء ، فإذا أصابتهم مصيبة دعوا الله ، وإذا أصابتهم رحمة فمنهم من يشرك . فليس هنالك شدة بتكذيب وعنت ومجادلة كما كان الأمر في مواطن التشديد .

عاشرا : إنزال المن والسلوى :

ورد الفعل (أنزل) للدلالة على إنزال المن والسلوى مرتين في القرآن الكريم ، فورد في قوله تعالى : ﴿ وَظَلَّلْنَا عَلَيْهِمُ الْغَمَامَ وَأَنْزَلْنَا عَلَيْهِمُ الْمَنَّ وَالسَّلْوَى كُلُوا مِنْ طَيِّبَاتِ مَا رَزَقْنَاكُمْ وَمَا ظَلَمُونَا وَلَكِنْ كَانُوا أَنْفُسَهُمْ يَظْلِمُونَ ﴾ . [الأعراف/ ١٦٠] وقوله تعالى : ﴿ وَظَلَّلْنَا عَلَيْكُمُ الْغَمَامَ وَأَنْزَلْنَا عَلَيْكُمُ الْمَنَّ وَالسَّلْوَى كُلُوا مِنْ طَيِّبَاتِ مَا رَزَقْنَاكُمْ وَمَا ظَلَمُونَا وَلَكِنْ كَانُوا أَنْفُسَهُمْ يَظْلِمُونَ ﴾ . [البقرة/ ٥٧] وقد تمّ الحديث سابقا عن دلالة الفعل (أنزل) في هذين الموضعين .

1 . الطبري ، جامع البيان عن تأويل آي القرآن ، ج ٢١ ، ص ٤٤ .

2 . السمرقندي ، بحر العلوم ، ج ٣ ، ص ١٢ .

حادي عشر : إنزال الطعام بمعنى تيسير وصوله :

ورد الفعل (أنزل) للدلالة على إنزال الطعام على سيدنا موسى بمعنى تيسير وصوله إليه في قوله تعالى : ﴿ فَسَقَى لَهُمَا ثُمَّ تَوَلَّى إِلَى الظِّلِّ فَقَالَ رَبِّ إِنِّي لِمَا أَنْزَلْتَ إِلَيَّ مِنْ خَيْرٍ فَقِيرٌ ﴾ . [القصص/٢٤] قال الواحدي : " كان قد جاع فسأل الله تعالى ما يأكل " (١) ، " وأراد بالخير الطعام ، وحكى ابن جرير أنه أسمع المرأتين هذا الكلام تعريضا أن تطعماه " (٢) . ولعل في إيراد الفعل مخففاً دلالة إلى زهده عليه السلام وعدم طمعه في الدنيا ، فلم يأتِ التعبير عن حاجته للطعام من خلال الفعل المشدّد الدالّ التكثر ، مع حاجته الشديدة إلى الطعام وهو من صفوة الخلق عليه السلام . قال ابن كثير : " قال ابن عباس سار موسى من مصر إلى مدين ليس له طعام إلا البقل وورق الشجر ، وكان حافيا ، فما وصل مدين حتى سقطت نعل قدميه ، وجلس في الظل وهو صفوة الله من خلقه ، وإن بطنه للاصق بظهره من الجوع ، وإن خضرة البقل لترى من داخل جوفه ، وإنه لمحتاج إلى شق تمره " (٣) .

ثاني عشر : إنزال الطمأنينة والأمن على المؤمنين :

ورد الفعل (أنزل) للدلالة على إنزال الطمأنينة على المؤمنين ، فورد للدلالة على إنزال السكينة نحو قوله تعالى : ﴿ هُوَ الَّذِي أَنْزَلَ السَّكِينَةَ فِي قُلُوبِ الْمُؤْمِنِينَ لِيَرْدُوا إِيمَانًا مَعَ إِيْمَانِهِمْ ﴾ . [الفتح/٤] " أي السكون والطمأنينة " (٤) . فجاء التعبير عن إنزال السكينة في قلوب المؤمنين من خلال الفعل (أنزل) ، أمّا الفعل (نزل) فلم يرد للدلالة على ذلك ، ولعل في ذلك انسجاماً مع معنى السكينة ، جاء في لسان العرب : " السكينة الوداعة والوقار ... والسكينة

1 . الواحدي ، الوجيز في تفسير الكتاب العزيز ، ج ٢ ، ص ٨١٦ .

2 . الجوزي ، زاد المسير ، ج ٦ ، ص ٢١٤ .

3 . ابن كثير ، تفسير القرآن العظيم ، ج ٣ ، ص ٣٨٥ .

4 . الشوكاني ، فتح القدير ، ج ٥ ، ص ٤٥ .

الرحمة , وقيل هي الطمأنينة , وقيل هي النصر , وقيل هي الوقار وما يسكن به الإنسان " (١) .
لذلك لم يعبر عن إنزالها من خلال الفعل المشدّد الدال على القوّة والتكثير , وإنما من خلال الفعل
المخفّف , فتناسب التخفيف مع إنزال السكينة في قلوب المسلمين بوداعة ورفق وطمأنينة . وقد
ورد ذلك في مواضع آخر في القرآن الكريم (٢) .

وورد للدلالة على إنزال النعاس في قوله تعالى : ﴿ ثُمَّ أَنْزَلَ عَلَيْكُمْ مِنْ بَعْدِ الْغَمِّ أَمْنَةً
نُعَاسًا ﴾ . [آل عمران/١٥٤] وكان ذلك في أثناء غزوة أحد , ولعلّ في إيراد الفعل مخفّفًا انسجامًا
مع معنى الطمأنينة والسكون , قال السعدي : " لا شك أن هذا رحمة بهم , وإحسان وتثبيت
لقلوبهم , وزيادة طمأنينة ؛ لأن الخائف لا يأتيه النعاس لما في قلبه من الخوف , فإذا زال الخوف
عن القلب أمكن أن يأتيه النعاس " (٣) , وقد " روى البخاري عن أنس أن أبا طلحة قال : غشينا
النعاس ونحن في مصافنا يوم أحد , قال : فجعل سيفي يسقط من يدي وأخذه ويسقط وأخذه " (٤) .

ثالث عشر : الإنزال بمعنى الخلق والإيجاد :

ورد الفعل (أنزل) للدلالة على الخلق والإيجاد , فورد للدلالة على خلق الرزق في
قوله تعالى : ﴿ قُلْ أَرَأَيْتُمْ مَا أَنْزَلَ اللَّهُ لَكُمْ مِنْ رِزْقٍ فَجَعَلْتُمْ مِنْهُ حَرَامًا وَحَلَالًا قُلْ اللَّهُ أَدْنَىٰ لَكُمْ أَمْ
عَلَىٰ اللَّهِ تَفْتَرُونَ ﴾ . [يونس/٥٩] أي : " ما خلق الله لكم من الرزق " (٥) , قال القرطبي :
يجوز أن يعبر عن الخلق بالإنزال , لأن الذي في الأرض من الرزق إنما هو بما ينزل من
السماء من المطر " (٦) .

1 . ابن منظور , لسان العرب , مادة (سكن) , ج ١٣ , ص ٢١٣ .

2 . ورد ذلك في : الفتح/١٨ , ٢٦ , والتوبة/٢٦ , ٤٠ .

3 . السعدي , تيسير الكريم الرحمن في تفسير كلام المنان , ج ١ , ص ١٥٣ .

4 . القرطبي , الجامع لأحكام القرآن , ج ٤ , ص ٢٤٢ .

5 . الطبري , جامع البيان عن تأويل آي القرآن , ج ١١ , ص ١٢٧ .

6 . القرطبي , الجامع لأحكام القرآن , ج ٨ , ص ٣٥٥ .

وورد للدلالة على إيجاد الآيات التسع في قوله تعالى حكاية عن سيدنا موسى : ﴿ قَالَ لَقَدْ عَلِمْتَمَا أَنْزَلَ هَؤُلَاءِ إِلَّا رَبُّ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ بِصَائِرٍ وَإِنِّي لَأَظُنُّكَ يَا فِرْعَوْنُ مَثْبُورًا ﴾ . [الإسراء/١٠٢] " يعني الآيات التسع " (١) , " وهي العصا واليد وفلق البحر والطمسة والطوفان والجراد والقمل والضفادع والدم " (٢) . " وأنزل بمعنى أوجد " (٣) .

وورد للدلالة على خلق الأنعام في قوله تعالى : ﴿ وَأَنْزَلَ لَكُمْ مِنَ الْأَنْعَامِ ثَمَانِيَةَ أَزْوَاجٍ ﴾ . [الزمر/٦] أي: " من الإبل زوجين , ومن البقر زوجين , ومن الضأن اثنين , ومن المعز اثنين " (٤) . قال الكلبي : " سماها أزواجا لأن الذكر زوج الأنثى , والأنثى زوج الذكر , وأما أنزل ففيه ثلاثة أوجه : الأول : أن الله خلق أول هذه الأزواج في السماء ثم أنزلها . الثاني : أن معنى أنزل قضى وقسم , فالإنزال عبارة عن نزول أمره وقضائه . الثالث : أنه أنزل المطر الذي ينبت به النبات فتعيش منه هذه الأنعام , فعبر بإنزالها عن إنزال أرزاقها وهذا بعيد " (٥) . وقال البغوي : " معنى الإنزال ههنا الإحداث والإنشاء كقوله تعالى (أنزلنا عليكم لباسا يواري) , وقيل إنه أنزل الماء الذي هو سبب نبات القطن الذي يكون منه اللباس وسبب النبات الذي تبقى به الأنعام " (٦) .

وورد للدلالة على خلق الحديد في قوله تعالى : ﴿ وَأَنْزَلْنَا الْحَدِيدَ فِيهِ بَأْسٌ شَدِيدٌ ﴾ . [الحديد/٢٥] قال الشوكاني : " أي خلقناه , كما في قوله وأنزل لكم من الأنعام ثمانية أزواج ,

1 . المرجع نفسه ، ج ١٠ ، ص ٣٣٦ .

2 . الواحدي ، الوجيز في تفسير الكتاب العزيز ، ج ٢ ، ص ٦٤٩ .

3 . الشوكاني ، فتح القدير ج ٣ ، ص ٢٦٣ . والقرطبي ، الجامع لأحكام القرآن ، ج ١٠ ، ص ٣٣٦ .

4 . الطبري ، جامع البيان عن تأويل آي القرآن ، ج ٢٣ ، ص ١٩٤ .

5 . الكلبي ، التسهيل لعلوم التنزيل ، ج ٣ ، ص ١٩١ .

6 . تفسير البغوي ، ج ٤ ، ص ٧٢ .

والمعنى أنه خلقه من المعادن وعلم الناس صنعته " (١) . وورد للدلالة على خلق اللباس في قوله تعالى : ﴿ يَا بَنِي آدَمَ قَدْ أَنْزَلْنَا عَلَيْكُمْ لِبَاسًا يُؤَارِي سَوَاتِكُمْ ﴾ . [الأعراف/٢٦] " أي خلقنا لكم ذلك بأسباب نازلة من السماء كالمطر الذي ينبت به القطن " (٢) .

رابع عشر : أنزل بمعنى أحلّه المكان :

ورد الفعل (أنزل) بمعنى أحلّه المكان في قوله تعالى حكاية عن سيدنا نوح : ﴿ وَقُلْ رَبِّ أَنْزِلْنِي مُنْزَلًا مُبَارَكًا وَأَنْتَ خَيْرُ الْمُنْزِلِينَ ﴾ . [المؤمنون/٢٩] " أي إنزالا أو موضع إنزال يستتبع خيرا كثيرا " (٣) , " ويحتمل أنه أراد في السفينة , ويحتمل بعد الخروج ... فالبركة في السفينة النجاة , وفي النزول بعد الخروج كثرة النسل من أولاده الثلاثة " (٤) . فجاء الفعل (أنزل) في الآية السابقة بمعنى (أحلّ) , تقول : " حلّ بالمكان يحلّ حلولا ... وذلك نزول القوم بمحلّة , وهو نقيض الارتحال " (٥) , " وأحلّه أنزله " (٦) , " والمُنْزَلُ بضم الميم وفتح الزاي الإنزال , تقول أنزلني مُنزلا مُباركا " (٧) .

ورد الفعل في الآية السابقة مخففا على صيغة الإفعال , ولعلّ في إيراده مخففا انسجاما مع معنى الإنزال بهدوء وطمأنينة وسكينة , ذلك أنّ التعبير عن نزول السكينة في القرآن الكريم — كما مرّ سابقا — يأتي عادةً من خلال الفعل المخفّف , ومما يؤيد معنى الإنزال بطمأنينة وسكينة أنّ الله تعالى أخبر عن استجابته لدعاء سيدنا نوح — في موضع آخر — بذكر الهبوط

1 . الشوكاني , فتح القدير , ج ٥ , ص ١٧٨ .

2 . الألوسي , روح المعاني , ج ٨ , ص ١٠٣ .

3 . أبو السعود , إرشاد العقل السليم إلى مزايا القرآن الكريم , ج ٦ , ص ١٣٢ .

4 . تفسير البغوي , ج ٣ , ص ٣٠٧ .

5 . ابن منظور , لسان العرب , مادة (حلل) , ج ١١ , ص ١٦٣ .

6 . الرازي , مختار الصحاح , مادة (حلل) , ص ٦٣ .

7 . المرجع نفسه , مادة (نزل) , ص ٢٧٣ .

بسلام , قال الواحدي : " فاستجاب الله تعالى دعاءه حيث قال : (اهبط بسلام منا وبركات عليك) " (١) .

خامس عشر : إنزال السحر :

ورد الفعل (أنزل) للدلالة على إلهام السحر وتعليمه في قوله تعالى : ﴿ وَأَتَّبَعُوا مَا تَتْلُو الشَّيَاطِينُ عَلَىٰ مُلْكِ سُلَيْمَانَ وَمَا كَفَرَ سُلَيْمَانُ وَلَٰكِنَّ الشَّيَاطِينَ كَفَرُوا يُعَلِّمُونَ النَّاسَ السِّحْرَ وَمَا أُنزِلَ عَلَى الْمَلَكَيْنِ بِبَابِلَ هَارُوتَ وَمَارُوتَ ﴾ . [البقرة/١٠٢] والمقصود بالذين اتبعوا الشياطين هم علماء اليهود (٢) . فجاء الفعل (أنزل) هنا بمعنى ألهم , قال البغوي في تفسير الإنزال في هذه الآية : " الإنزال بمعنى الإلهام والتعليم " (٣) , أي أن الله تعالى علم الملكين السحر ابتلاءً للناس , قال النسفي : " الذي أنزل عليهما هو علم السحر ابتلاءً من الله للناس " (٤) . وقال أبو السعود : " هما ملكان أنزلا لتعليم السحر ابتلاءً من الله للناس كما ابتلى قوم طالوت بالنهر , أو تمييزاً بينه وبين المعجزة لئلا يغتر به الناس , أو لأن السحرة كثرت في ذلك الزمان واستتبطت أبواباً غريبة من السحر وكانوا يدعون النبوة , فبعث الله تعالى هذين الملكين ليعلما الناس أبواب السحر حتى يتمكنوا من معارضة أولئك الكذابين وإظهار أمرهم على الناس " (٥) .

سادس عشر : إنزال بني قريظة من حصونهم :

ورد الفعل (أنزل) للدلالة على إنزال بني قريظة من حصونهم في قوله تعالى : ﴿ وَأَنْزَلَ الَّذِينَ ظَاهَرُوهُمْ مِنْ أَهْلِ الْكِتَابِ مِنْ صَيَاصِيهِمْ وَقَذَفَ فِي قُلُوبِهِمُ الرُّعْبَ ﴾ .

- 1 . الواحدي , الوجيز في تفسير الكتاب العزيز ، ج ٢ ، ص ٧٤٦ . والآية التي ذكرها هي قوله تعالى : " قِيلَ يَا نُوحُ اهْبِطْ بِسَلَامٍ مِنَّا وَبَرَكَاتٍ عَلَيْكَ وَعَلَىٰ أُمَمٍ مِّمَّنْ مَعَكَ " . [هود/٤٨]
- 2 . انظر : الواحدي , الوجيز في تفسير الكتاب العزيز ، ج ١ ، ص ١٢٢ .
- 3 . تفسير البغوي ، ج ١ ، ص ٩٩ .
- 4 . تفسير النسفي ، ج ١ ، ص ٦١ .
- 5 . أبو السعود ، إرشاد العقل السليم إلى مزايا القرآن الكريم ، ج ١ ، ص ١٣٨ .

[الأحزاب/٢٦] " وهم بنو قريظة , فإنهم عاونوا الأحزاب ونقضوا العهد الذي كان بينهم وبين رسول الله صلى الله عليه وسلم , وصاروا يدا واحدة مع الأحزاب , والصيافي جمع صيصية وهي الحصون " (١) . وقال السعدي : " أنزلهم من حصونهم نزولا مظفورا بهم ، مجعولين تحت حكم الإسلام " (٢) .

سابع عشر : إنزال العذاب :

جاء التعبير عن إنزال العذاب من خلال الفعل (أنزل) , أمّا الفعل (نزل) فلم يرد للدلالة على ذلك , ولعلّ في ذلك دلالة على شدة عذاب الله إذا نزل , فلا حاجة للتعبير عن كيفية نزوله من خلال الفعل المشدّد , فهو بالغ الشدة كيفما عبّر عن نزوله . ولعلّ في التخفيف — أيضا — دلالة على هوان إنزال العذاب على الله تعالى , قال تعالى : (وَإِذَا قَضَىٰ أَمْرًا فَإِنَّمَا يَقُولُ لَهُ كُنْ فَيَكُونُ) . [البقرة/١١٧] وقد ورد في قوله تعالى : ﴿ فَبَدَّلَ الَّذِينَ ظَلَمُوا قَوْلًا غَيْرَ الَّذِي قِيلَ لَهُمْ فَأَنْزَلْنَا عَلَى الَّذِينَ ظَلَمُوا رِجْزًا مِنَ السَّمَاءِ ﴾ . [البقرة/٥٩] قال ابن عطية : " الرجز العذاب ... بعث على الذين بدلوا ودخلوا على غير ما أمروا الطاعون فأذهب منهم سبعين ألفا وقال ابن عباس أمات الله منهم في ساعة واحدة نيفا على عشرين ألفا " (٣) . وقال تعالى : ﴿ وَقُلْ إِنِّي أَنَا النَّذِيرُ الْمُبِينُ , كَمَا أَنْزَلْنَا عَلَى الْمُقْتَسِمِينَ ﴾ . [الحجر/٨٩، ٩٠] " معناه أنذركم عذابا ينزل بكم كما أنزلنا على المقتسمين من العذاب " (٤) .

(وصى , وأوصى)

1 . الشوكاني , فتح القدير , ج ٤ , ص ٢٧٤ .

2 . السعدي , تيسير الكريم الرحمن في تفسير كلام المنان , ج ١ , ص ٦٦٢ .

3 . ابن عطية , المحرر الوجيز , ج ١ , ص ١٥١ .

4 . السمعاني , تفسير القرآن , ج ٣ , ص ١٥٢ .

"الواو والصاد والحرف المعتل : أصلٌ يدلُّ على وصل شيء بشيء . ووصيتُ الشيءَ : وصلته ... والوصية من هذا القياس كأنه كلام يوصى , أي يوصل " (١) . و "أوصيته ووصيته إيصاء وتوصية بمعنى . وتوآسى القومُ أي أوصى بعضهم بعضاً . وفي الحديث : استوصوا بالنساء خيراً فإنهن عندكم عوانٍ ، والاسم الوصاة والوصاية والوصاية . والوصية أيضاً : ما أوصيتَ به . والوصيُّ : الذي يُوصى والذي يُوصى له ، وهو من الأضداد " (٢) .

ورد الفعل (وصى) في القرآن الكريم احدى عشرة مرة , وورد الفعل (أوصى) سبع مرات , وقد دلَّ الفعلان على معنى التوصية الذي أشار إليه المعجميون . وبعد تتبع الآيات التي ورد فيها كلٌّ من الفعلين (وصى , وأوصى) , يتبين أن الفعل (وصى) اختصَّ بما كان الإيصاء به ملازماً للموصى , دون تحديد وقت معين تُطلب فيه الوصية , فالمطلوب من الموصى أن يتحرى الوصية في كل وقت . أمّا الفعل (أوصى) فقد اختصَّ بوقت محدد تكون الوصية فيه واجبةً على الموصى , فلا يستطيع الموصى أن يفى بالوصية ما لم يحن وقتها .

كما أنه " يستعمل (وصى) لما هو أهم لما فيه من المبالغة , فيستعمل للأمر المعنوية ولأمر الدين , ويستعمل (أوصى) للأمر المادية... ولم يستعمل (أوصى) في الأمور المعنوية وأمر الدين إلا في قوله تعالى : ﴿ وَأَوْصَانِي بِالصَّلَاةِ وَالزَّكَاةِ مَا دُمْتُ حَيًّا ﴾ . [مريم/٣١] وذلك لاقتران الصلاة بالزكاة " (٣) , " فإنه قال (أوصاني) لما اقترنت الصلاة بالزكاة , والزكاة أمر مادي يتعلق بالأموال كما هو معلوم (٤) . فجاء الفعلان في القرآن الكريم على النحو الآتي :

- 1 . ابن فارس, مقاييس اللغة, مادة (وصى) , ج ٦ , ص ١١٦ .
- 2 . ابن منظور , لسان العرب , مادة (وصي) , ج ١٥ , ص ٣٩٤ .
- 3 . فاضل السامرائي , بلاغة الكلمة في التعبير القرآني , ص ٥٢ . وكذلك : التعبير القرآني , ص ١٦ .
- 4 . فاضل السامرائي , التعبير القرآني , ص ١٦ .

(وصى) :

أفاد الفعل (وصى) التزام الموصى بالوصية وتحريها في كل وقت , فإن لم يتحررها في كل وقت فقد يقع في المحذور الذي هو خلاف الوصية . فدلّ الفعل على ملازمة الوصية للموصى في كل الأوقات . فالوصايا التي أشار إليها الفعل وصى بالتشديد – نحو التمسك بالدين , وعدم الكفر , والعدل , والإحسان الى الوالدين – لا ترتبط بوقت دون آخر , فمن لا يتحرى عدم الكفر في أيّ وقت فقد يقع في الكفر , ومن لا يتحرى العدل في كل وقت قد يقع في الظلم , وهكذا في جميع الوصايا التي دلّ عليها الفعل (وصى) . وقد أدى الفعل (وصى) هذا المعنى من خلال الدلالات الآتية :

أ . إقامة الدين الحقّ والتمسك بالإسلام :

ورد ذلك في قوله تعالى : ﴿ وَوَصَّىٰ بِهَا إِبْرَاهِيمُ بَنِيهِ وَيَعْقُوبُ يَا بَنِيَّ إِنَّ اللَّهَ اصْطَفَىٰ لَكُمُ الدِّينَ فَلَا تَمُوتُنَّ إِلَّا وَأَنتُمْ مُسْلِمُونَ ﴾ . [البقرة/١٣٢] أي " وصّاهم بالإسلام " (١) , فالوصية " هي الإسلام الذي أمر به نبيه صلى الله عليه وسلم , وهو إخلاص العبادة والتوحيد لله وخضوع القلب والجوارح له " (٢) . فالوصية ملازمة للموصى طيلة حياته , و" لحرصهم عليها ومحبتهم لها حافظوا عليها إلى حين الوفاة , ووصّوا أبناءهم بها " (٣) .

وورد مرتين في قوله تعالى : ﴿ شَرَعَ لَكُم مِّنَ الدِّينِ مَا وَصَّىٰ بِهِ نُوحًا وَالَّذِي أَوْحَيْنَا إِلَيْكَ وَمَا وَصَّيْنَا بِهِ إِبْرَاهِيمَ وَمُوسَىٰ وَعِيسَىٰ أَنْ أَقِيمُوا الدِّينَ وَلَا تَتَفَرَّقُوا ﴾ . [الشورى/١٣] والوصية

1 . عبد الرحمن الرازي , تفسير القرآن (المعروف بتفسير ابن أبي حاتم) , ج ١ , ص ٢٣٩ .

2 . الطبري , جامع البيان عن تأويل آي القرآن , ج ١ , ص ٥٦٠ .

3 . ابن كثير , تفسير القرآن العظيم , ج ١ , ص ١٨٦ .

هنا إقامة دين الله الحق ، قال الفخر الرازي : " وبالجملة فالمقصود من الآية أنه يقال شرع لكم من الدين ديناً تطابقت الأنبياء على صحته" (١).

ب . التوصية بالتقوى واجتناب المحارم :

ورد ذلك في قوله تعالى : ﴿وَلَقَدْ وَصَّيْنَا الَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ مِنْ قَبْلِكُمْ وَإِيَّاكُمْ أَنْ اتَّقُوا اللَّهَ وَإِنْ تَكْفُرُوا فَإِنَّ لِلَّهِ مَا فِي السَّمَاوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ وَكَانَ اللَّهُ غَنِيًّا حَمِيدًا﴾. [النساء/١٣١] " أي أمرناهم وأمرناكم بالتقوى " (٢) .

وورد في قوله تعالى : ﴿قُلِ الذَّكْرَيْنِ حَرَّمَ أَمِ الْأُنثَيَيْنِ أَمَّا اشْتَمَلَتْ عَلَيْهِ أَرْحَامُ الْأُنثَيَيْنِ أَمْ كُنْتُمْ شُهَدَاءَ إِذْ وَصَّاكُمُ اللَّهُ بِهَذَا فَمَنْ أَظْلَمُ مِمَّنِ افْتَرَى عَلَى اللَّهِ كَذِبًا﴾. [الأنعام/١٤٤] " أي حين وصاكم بهذا التحريم " (٣) ، وهذا " تهكم بهم فيما ابتدعوه وافتروه على الله من تحريم ما حرّموه من ذلك " (٤) .

وورد ثلاث مرّات في قوله تعالى : ﴿قُلِ تَعَالَوْا أَتْلُ مَا حَرَّمَ رَبِّيَ عَلَيْكُمْ أَلَّا تُشْرِكُوا بِهِ شَيْئًا وَبِالْوَالِدَيْنِ إِحْسَانًا وَلَا تَقْتُلُوا أَوْلَادَكُمْ مِنْ إِمْلَاقٍ نَحْنُ نَرِزُقُكُمْ وَإِيَّاهُمْ وَلَا تَقْرِبُوا الْفَوَاحِشَ مَا ظَهَرَ مِنْهَا وَمَا بَطَنَ وَلَا تَقْتُلُوا النَّفْسَ الَّتِي حَرَّمَ اللَّهُ إِلَّا بِالْحَقِّ ذَلِكُمْ وَصَّاكُمْ بِهِ لَعَلَّكُمْ تَعْقِلُونَ ، وَلَا تَقْرِبُوا مَالَ الْيَتِيمِ إِلَّا بِالَّتِي هِيَ أَحْسَنُ حَتَّىٰ يَبْلُغَ أَشُدَّهُ وَأَوْفُوا بِالْكَيْلِ وَالْمِيزَانِ بِالْقِسْطِ لَأَنْكَلِفُ نَفْسًا إِلَّا وُسْعَهَا وَإِذَا قُلْتُمْ فَاعْدِلُوا وَلَوْ كَانَ ذَا قُرْبَىٰ وَبِعَهْدِ اللَّهِ أَوْفُوا ذَلِكُمْ وَصَّاكُمْ بِهِ لَعَلَّكُمْ تَذَكَّرُونَ ، وَأَنَّ هَذَا صِرَاطِي مُسْتَقِيمًا فَاتَّبِعُوهُ وَلَا تَتَّبِعُوا السُّبُلَ فَتَفَرَّقَ بِكُمْ عَنْ سَبِيلِهِ ذَلِكُمْ وَصَّاكُمْ بِهِ لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ﴾. [الأنعام/١٥١-١٥٣] فالوصايا الواردة في الآيات السابقة مطلوبة من المسلم ، وعليه

1 . فخر الدين الرازي ، التفسير الكبير ، ج٢٧ ، ص ١٣٤ .

2 . الشوكاني ، فتح القدير ، ج ١ ، ص ٥٢٣ .

3 . أبو السعود العمادي ، إرشاد العقل السليم إلى مزايا القرآن الكريم ، ج ٣ ، ص ١٩٤ .

4 . ابن كثير ، تفسير القرآن العظيم ، ج ٢ ، ص ١٨٤ .

تحريها في كل وقت , فليس لها وقت محددّ دون آخر كي تكون واجبة فيه , قال النسفي : " لتكونوا على رجاء إصابة التقوى ذكر أولاً (تعقلون) ثم (تذكرون) ثم (تتقون) , لأنهم إذا عقلوا تفكروا , ثم تذكروا أي اتعظوا , فاتقوا المحارم " (١) .

ج . التوصية بالإحسان إلى الوالدين :

ورد ذلك ثلاث مرّات , والمراد من الوصية الإحسانُ إلى الوالدين وبرّهما , وهذا لا يتطلب وقتاً دون آخر , فالمطلوب من الإنسان أن يبرّ والديه في كل وقت , أمّا الآيات التي ورد فيها ذلك فقوله تعالى : ﴿ وَوَصَّيْنَا الْإِنْسَانَ بِوَالِدَيْهِ حُسْنًا ﴾ . [العنكبوت/٨] " أي أمرناه بتعهدهما ومراعاتهما " (٢) . وقوله تعالى : ﴿ وَوَصَّيْنَا الْإِنْسَانَ بِوَالِدَيْهِ حَمَلَتْهُ أُمُّهُ وَهْنًا عَلَيَّ وَهْنًا ﴾ . [لقمان/١٤] أي : " أمرنا الإنسان برعاية والديه " (٣) . وقوله تعالى : ﴿ وَوَصَّيْنَا الْإِنْسَانَ بِوَالِدَيْهِ إِحْسَانًا ﴾ . [الأحقاف/١٥] " يعني أمرنا الإنسان بالإحسان إلى والديه " (٤) .

(أوصى) :

أفاد الفعل (أوصى) التزام الموصى بأمر يرتبط بوقت دون آخر, فعلى الموصى تطبيق الوصية (الأمر) في وقتها , لأن المطلوب منه شرعا أن يأتي بالوصية (الأمر) في أوقات محددة, فلا يجزئه أن يأتي بها في غير وقتها. وقد أدّى الفعل (أوصى) هذا المعنى من خلال الدلالات الآتية:

أ . الإيضاء بفراض الله تعالى :

- 1 . النسفي , تفسير النسفي , ج ١ , ص ٣٥٣ .
- 2 . الألويسي , روح المعاني , ج ٢٠ , ص ١٣٨ .
- 3 . المرجع نفسه , ج ٢١ , ص ٨٥ .
- 4 . السمرقندي , بحر العلوم , ج ٣ , ص ٢٧٣ .

وهذا الإيصال فرض من الله تعالى ، وقد ورد في قوله تعالى مخبرا عن سيدنا عيسى عليه السلام: ﴿وَأَوْصَانِي بِالصَّلَاةِ وَالزَّكَاةِ مَا دُمْتُ حَيًّا﴾. [مريم/٣١] أي : " أمرني بالصلاة، والزكاة إن ملكت مالا " (١) . فالصلاوات الخمس مفروضة في أوقاتها المحددة حتى الممات ، فلا يصح - مثلا - أن يصلي شخص العصر وقت الظهر - إلا برخصٍ معروفة - . وكذلك فمن صلى الظهر ، فلا صلاة مفروضة عليه حتى دخول وقت صلاة العصر . والزكاة فرض على المسلم في حال استكمال شروطها ، لذلك قد لا يزكي المسلم طيلة حياته إن لم يتحقق شرط الزكاة على ماله .

ب . الإيصال المتعلق بالمال المورث .

ورد الفعل (أوصى) ضمن هذه الدلالة خمس مرّات ، وذلك في قوله تعالى : ﴿يُوصِيكُمُ اللَّهُ فِي أَوْلَادِكُمْ لِلذَّكَرِ مِثْلُ حَظِّ الْأُنثِيَيْنِ فَإِنْ كُنَّ نِسَاءً فَوْقَ اثْنَتَيْنِ فَلَهُنَّ ثُلُثَا مَا تَرَكَ وَإِنْ كَانَتْ وَاحِدَةً فَلَهَا النِّصْفُ وَلِأَبَوَيْهِ لِكُلِّ وَاحِدٍ مِّنْهُمَا السُّدُسُ مِمَّا تَرَكَ إِنْ كَانَ لَهُ وَلَدٌ فَإِنْ لَمْ يَكُنْ لَهُ وَلَدٌ وَوَرِثَهُ أَبُوَاهُ فَلِأُمِّهِ الثُّلُثُ فَإِنْ كَانَ لَهُ إِخْوَةٌ فَلِأُمِّهِ السُّدُسُ مِنْ بَعْدِ وَصِيَّةٍ يُوصِي بِهَا أَوْ دَيْنٍ آبَاؤُكُمْ وَأَبْنَاؤُكُمْ لَا تَدْرُونَ أَيُّهُمْ أَقْرَبُ لَكُمْ نَفَعًا فَرِيضَةٌ مِنَ اللَّهِ إِنْ اللَّهُ كَانَ عَلِيمًا حَكِيمًا ، وَلَكُمْ نِصْفُ مَا تَرَكَ أَزْوَاجُكُمْ إِنْ لَمْ يَكُنْ لَهُنَّ وَلَدٌ فَإِنْ كَانَ لَهُنَّ وَلَدٌ فَلِكُمُ الرُّبْعُ مِمَّا تَرَكَنَّ مِنْ بَعْدِ وَصِيَّةٍ يُوصِيَنَّ بِهَا أَوْ دَيْنٍ وَلَهُنَّ الرُّبْعُ مِمَّا تَرَكَنَّ إِنْ لَمْ يَكُنْ لَكُمْ وَلَدٌ فَإِنْ كَانَ لَكُمْ وَلَدٌ فَلَهُنَّ الثُّمُنُ مِمَّا تَرَكَنَّ مِنْ بَعْدِ وَصِيَّةٍ تُوصُونَ بِهَا أَوْ دَيْنٍ وَإِنْ كَانَ رَجُلٌ يُورِثُ كِلَاةً أَوْ امْرَأَةٌ وَلَهُ أَخٌ أَوْ أُخْتٌ فَلِكُلِّ وَاحِدٍ مِّنْهُمَا السُّدُسُ فَإِنْ كَانُوا أَكْثَرَ مِنْ ذَلِكَ فَهُمْ شُرَكَاءُ فِي الثُّلُثِ مِنْ بَعْدِ وَصِيَّةٍ يُوصَى بِهَا أَوْ دَيْنٍ غَيْرَ مُضَارٍّ وَصِيَّةً مِنَ اللَّهِ وَاللَّهُ عَلِيمٌ حَلِيمٌ﴾. [النساء/١١، ١٢] وهذا الإيصال نوعان :

1 . النسفي ، تفسير النسفي ، ج ٣ ، ص ٣٦ .

الأول فرضه الله تعالى لبيان كيفية أمره في تقسيم المال المورث، والثاني من العبد في حال وجود وصية أوصى بها قبل مماته .

أما النوع الأول فقوله تعالى : (يُوصِيكُمُ اللَّهُ فِي أَوْلَادِكُمْ...) إلى نهاية الآية ، حيث يبين الله تعالى تفاصيل تقسيم المال المورث ، ومعنى الإيصال في الآية: "يأمركم ويعهد إليكم (في أولادكم) في شأن ميراثهم " (١) ، فالإيصال هنا " يتضمن الفرض والوجوب" (٢) . قال الفخر الرازي : " أي يفرض عليكم ، لأن الوصية من الله إيجاب " (٣) .

وأما النوع الثاني فقوله تعالى : (مَنْ بَعَدَ وَصِيَّةً يُوصِي بِهَا أَوْ دَيْنًا) ، وقوله تعالى : (مَنْ بَعَدَ وَصِيَّةً يُوصِي بِهَا أَوْ دَيْنًا) ، وقوله تعالى : (مَنْ بَعَدَ وَصِيَّةً تُوصُونَ بِهَا أَوْ دَيْنًا) ، وقوله تعالى : (مَنْ بَعَدَ وَصِيَّةً تُوصُونَ بِهَا أَوْ دَيْنًا) . ومعنى الآيات السابقة أن " هذه الأنصباة (٤) إنما تقسم بعد قضاء الدين وإنفاذ وصية الميت " (٥) . " وإنما قدمت الوصية على الدين والدين مقدّم عليها في الشريعة ، اهتماما بها وتأكيذا للأمر بها " (٦) .

لقد أفاد الفعل (أوصى) — المتعلق بالمال المورث — التزام الموصى بالوصية في أوقات محددة ، فوصية الله تعالى المتعلقة بكيفية تقسيم المال المورث تصبح أمراً ملزماً وقت توزيع الميراث . ويندرج تحت ذلك تنفيذ وصية الميت في وقتها المحدد ، وهو قبل توزيع الإرث على الورثة ، وبعد قضاء الدين ، فلا يجوز تنفيذ الوصية بعد تقسيم المال على الورثة أو قبل قضاء الدين . قال الفخر الرازي : "أول ما يخرج من التركة الدين ، حتى لو استغرق الدين كل مال

1 . البيضاوي ، تفسير البيضاوي ، ج ٢ ، ص ١٥٣ .

2 . ابن عطية ، المحرر الوجيز ، ج ٢ ، ص ١٥ .

3 . فخر الدين الرازي ، التفسير الكبير ، ج ٩ ، ص ١٦٥ .

4 . أنصباة وأنصبة جمع نصيب ، والنصيب : الحظ من كل شيء ، (ابن منظور ، لسان العرب ، مادة : نصب ، ج ١ ، ص ٧٦١) .

5 . الواحدي ، الوجيز في تفسير الكتاب العزيز ، ج ١ ، ص ٢٥٤ .

6 . الكلبي ، التسهيل لعلوم التنزيل ، ج ١ ، ص ١٣٢ .

الميت لم يكن للورثة فيه حقّ ، فأما إذا لم يكن دين ، أو كان إلاّ أنه قضي وفضل بعده شيء ،
فان أوصى الميت بوصيّة أخرجت الوصية من ثلث ما فضل ، ثم قسم الباقي ميراثاً على
فرائض الله " (١) .

الفصل الثالث

(الأفعال التي جاءت ضمن دلالات الرعاية)

ثَوَّبَ , وَأَثَابَ

كَرَّمَ , وَأَكْرَمَ

كَفَّلَ , وَأَكْفَلَ

مَسَّكَ , وَأَمْسَكَ

نَجَّى , وَأَنْجَى

نَعَّمَ , وَأَنْعَمَ

وَقَّى , وَأَوْقَى

(ثَوَّبَ , وَأَثَابَ)

" الثاء والواو والباء قياس صحيح من أصل واحد وهو العود والرجوع " (١) .
 "ثَابَ الرَّجُلُ يَثُوبُ ثَوْبًا وَثَوْبَانًا: رَجَعَ بَعْدَ ذَهَابِهِ . وَيُقَالُ : ثَابَ فُلَانٌ إِلَى اللَّهِ وَتَابَ ،
 بِالثَّاءِ وَالتَّاءِ ، أَي عَادَ وَرَجَعَ إِلَى طَاعَتِهِ ، وَكَذَلِكَ : أَثَابَ بِمَعْنَاهُ... وَأَثَابَهُ اللَّهُ ثَوَابَهُ
 وَأَثَوِيَهُ وَثَوَّبَهُ مَثُوبَتَهُ : أَعْطَاهُ إِيَّاهَا" (٢) . "وَمِنَ الْمَجَازِ الثَّوَابُ بِمَعْنَى الْعَسَلِ... وَالثَّوَابُ: النَّحْلُ
 لِأَنَّهَا تَتُوبُ... وَالثَّوَابُ: الْجَزَاءُ، قَالَ شَيْخُنَا ظَاهِرُهُ كَالْأَزْهَرِيِّ أَنَّهُ مُطْلَقٌ فِي الْخَيْرِ وَالشَّرِّ لَا
 جَزَاءَ الطَّاعَةِ فَقَطُّ، كَمَا اقْتَصَرَ عَلَيْهِ الْجَوْهَرِيُّ ، وَاسْتَدَلُّوا بِقَوْلِهِ تَعَالَى: (هَلْ تُؤْتُونَ الْكُفَّارَ). وَقَدْ
 صَرَّحَ ابْنُ الْأَثِيرِ فِي النِّهَايَةِ بِأَنَّ الثَّوَابَ يَكُونُ فِي الْخَيْرِ وَالشَّرِّ ، إِلَّا أَنَّهُ فِي الْخَيْرِ أَخْصُ
 وَأَكْثَرُ اسْتِعْمَالًا " (٣) .

ورد الفعل (ثَوَّبَ) مرةً وحيدة في القرآن الكريم، وورد الفعل (أَثَابَ) ثلاث مرات،
 وقد دلّ الفعلان على معنى الجزاء، سواء أكان خيرا أم شرا ، إلا أنّ التشديد قد اختصّ بما هو
 في حقّ الكفار، والتخفيف اختصّ بما هو في حق المسلمين ، فانسجم الوزنان مع السياقات على
 النحو الآتي :

- 1 . ابن فارس ، مقاييس اللغة ، مادة (ثوب) ، ج ١ ، ص ٣٩٣ .
- 2 . ابن منظور ، لسان العرب ، مادة (ثوب) ، ج ١ ، ص ٢٤٤ .
- 3 . الزبيدي ، تاج العروس ، مادة (ثوب) ، ج ٢ ، ص ١٠٤ .

(ثَوَّبَ)

ورد الفعل (ثَوَّبَ) مرّة وحيدة في القرآن الكريم , قال تعالى: ﴿فَالْيَوْمَ الَّذِينَ آمَنُوا مِنَ الْكُفَّارِ يَضْحَكُونَ , عَلَى الْأَرَائِكِ يَنْظُرُونَ , هَلْ تُؤبَّبُ الْكُفَّارُ مَا كَانُوا يَفْعَلُونَ﴾. [المطففين/٣٤،٣٦] "يعني هل جزاء الكفار, ويقال هل جوزي وعوقب الكفار إلا ما كانوا يفعلون, يعني إلا بما عملوا في الدنيا من الاسـتهزاء . وقال مقاتل يعني قد جوزي الكفار بأعمالهم الخبيثة جزاء مرا"^(١) . "والنتشويب والإثابة المجازاة... وظاهر كلامهم إطلاق ذلك على المجازاة بالخير والشر, واشتهر بالمجازاة بالخير, وجوز حمله عليه هنا على أن المراد التهكم كما قيل به في قوله تعالى (فبشرهم بعذاب أليم)... كأنه تعالى يقول للمؤمنين هل أثبنا هؤلاء على ما كانوا يفعلون كما أثبناكم على ما كنتم تعملون , فيكون هذا القول زائدا في سرورهم لما فيه من تعظيمهم , والاستخفاف بأعدائهم"^(٢).

(أَثَابَ)

ورد الفعل (أثاب) ثلاث مرّات في القرآن الكريم, دلّ في موضعين على جزاء الخير, قال تعالى: ﴿لَقَدْ رَضِيَ اللَّهُ عَنِ الْمُؤْمِنِينَ إِذْ يُبَايِعُونَكَ تَحْتَ الشَّجَرَةِ فَعَلِمَ مَا فِي قُلُوبِهِمْ فَأَنْزَلَ السَّكِينَةَ عَلَيْهِمْ وَأَثَابَهُمْ فَتْحًا قَرِيبًا﴾. [الفتح/١٨] "يعني وأعطاهم"^(٣) . "وهو ما

- 1 . السمرقندي , بحر العلوم , ج ٣ , ص ٥٣٧ .
- 2 . الألوسي , روح المعاني , ج ٣٠ , ص ٧٨ .
- 3 . السمرقندي , بحر العلوم , ج ٣ , ص ٣٠١ .

أجرى الله عز وجل في أيديهم من الصلح بينهم وبين أعدائهم، وما حصل بذلك من الخير العام المستمر المتصل بفتح خيبر وفتح مكة، ثم فتح سائر البلاد والأقاليم عليهم، وما حصل لهم من العز والنصر والرفعة في الدنيا والآخرة^(١).

وقال تعالى: ﴿فَأَتَابَهُمُ اللَّهُ بِمَا قَالُوا جَنَّاتٍ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ خَالِدِينَ فِيهَا﴾. [المائدة/٨٥] "وروي أنها نزلت في النجاشي وأصحابه، بعث إليه رسول الله صلى الله عليه وسلم بكتابه فقرأه، ثم دعا جعفر بن أبي طالب والمهاجرين معه وأحضر القسيسين والرهبان، فأمر جعفر أن يقرأ عليهم القرآن فقرأ سورة مريم، فبكوا وآمنوا بالقرآن. وقيل نزلت في ثلاثين أو سبعين رجلاً من قومه وفدوا على رسول الله صلى الله عليه وسلم، فقرأ عليهم سورة مريم فبكوا وآمنوا"^(٢). ثم ذكر الله تعالى ما أتابهم به من النعيم على إيمانهم وإحسانهم"^(٣).

وورد للدلالة على الجزاء عن الشر في قوله: ﴿إِذْ تُصْعِدُونَ وَلَا تَلْوُونَ عَلَى أَحَدٍ وَالرَّسُولُ يَدْعُوكُمْ فِي أُخْرَاكُمْ فَأَتَابَكُمْ غَمًّا بِغَمٍّ لَكِنَّا تَحَزَنُوا عَلَى مَا فَاتَكُمْ وَلَا مَا أَصَابَكُمْ وَاللَّهُ خَبِيرٌ بِمَا تَعْمَلُونَ﴾. [آل عمران/١٥٣] والآية تتحدث عما حصل للمسلمين في غزوة أحد، حيث خالف الرماة الذين كانوا على الجبل أمر رسول الله، فنزلوا طلباً للغنائم ظناً منهم أن العدو قد انهزم، ولم يبقَ منهم إلا القليل، فالتفت عليهم خالد بن الوليد مع جنوده وانقلب الحال من نصر إلى

1. ابن كثير، تفسير القرآن العظيم، ج ٤، ص ١٩٢.

2. أبو السعود، إرشاد العقل السليم إلى مزايا القرآن الكريم، ج ٣، ص ٧٣.

3. ابن عطية، المحرر الوجيز، ج ٢، ص ٢٢٨.

هزيمة ، فجعل الله ما كانوا يرجونه من نصر و ثواب هزيمة ، ثم غفر الله تعالى لهم ^(١) . وقد عبّر عن جزائهم بالهزيمة بقوله (فأثابكم) ، "فجعل الإثابة بمعنى العقاب وأصلها في الحسنات ، لأنه وضعها موضع الثواب كقوله تعالى (فبشرهم بعذاب أليم) ، جعل البشارة في العذاب ، ومعناه جعل مكان الثواب الذين كنتم ترجون (غما بغم)" ^(٢) . قال ابن عطية: "فأثابكم معناه جازاكم على صنيعكم ، وسمي الغم ثوابا على معنى أنه القائم في هذه النازلة مقام الثواب" ^(٣) ، "وهو غم الهزيمة وظفر المشركين ، (بغم) أي بغمكم رسول الله صلى الله عليه وسلم إذ عصيتموه" ^(٤) .

بعد النظر في الآيات السابقة ، يُلاحظ أن الفعل (ثَوَّبَ) قد ورد فيما يتعلّق بالكفار ، فجاء على سبيل التهكّم بالكفار بسبب استهزائهم بالمسلمين في الدنيا ، وجاء التشديد لخدمة هذه المعنى ، فعبر عن الفعل من خلال صيغة التفعيل الدالة على التأكيد والقوة زيادة في قوة التهكّم بهم . أمّا عندما عبّر عن جزاء الشر فيما يختصّ بالمسلمين فقال (أثابَ) ، فجاء بصيغة الإفعال التي اختصّت بمواضع الخير ، ذلك أنّ هذه الهزيمة قد قامت مقام الثواب .

ولعلّ في ذلك — أيضا — إشارة إلى أنّ هذه الهزيمة فيها خير و ثواب للمسلمين ، فالمسلم كلّ أمره خير ، قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : " عجا لأمر المؤمن إن أمره كله

1 . انظر : الواحدي ، الوجيز في تفسير الكتاب العزيز ، ج ١ ، ص ٢٣٨ . وتفسير البغوي : ج ١ ، ص ٣٦٢ .

2 . تفسير البغوي ، ج ١ ، ص ٣٦٢ .

3 . ابن عطية ، المحرر الوجيز ، ج ١ ، ص ٥٢٦ .

4 . الواحدي ، الوجيز في تفسير الكتاب العزيز ، ج ١ ، ص ٢٣٨ .

خير وليس ذاك لأحد إلا للمؤمن , إن أصابته سراء شكر فكان خيرا له , وإن أصابته
ضراء صبر فكان خيرا له" (١) .

1 . النيسابوري , صحيح مسلم , تحقيق محمد عبد الباقي , ١٩٥٤م , دار إحياء التراث العربي , بيروت . ج ٤
ص ٢٢٩٥ .

(كَرَمٌ , وَأَكْرَمٌ)

قال ابن فارس : " الكاف والراء والميم أصلٌ صحيحٌ له بابان: أحدهما شرفٌ في الشيء في نفسه , أو شرفٌ في خلقٍ من الأخلاق ... والأصل الآخر الكَرَمُ وهي القلادة " (١). وقال الرازي : " الكَرَمُ بفتحِ التين ضد اللؤم وقد كَرُمَ بالضم كَرَمًا فهو كَرِيمٌ وقوم كَرَامٌ و كَرَمَاءُ " (٢). وقال ابن منظور : " الكَرِيم من صفات الله وأسمائه ، وهو الكثير الخير الجواد المَعْطِي الذي لا يَنْفَدُ عَطَاؤُهُ ، وهو الكريم المطلق . والكَرِيم : الجامع لأنواع الخير والشرف والفضائل . والكَرِيم . اسم جامع لكل ما يُحْمَدُ " (٣) . " وقال بعضهم : الكَرَمُ : مِثْلُ الحُرِّيَّةِ إِلَّا أَنَّ الحُرِّيَّةَ قد تُقالُ في المَحَاسِنِ الصَّغِيرَةِ والكَبِيرَةِ ، والكَرَمُ لا يُقالُ إِلَّا في المَحَاسِنِ الكَبِيرَةِ ، كإِنْفَاقِ مَالٍ في تَجْهِيزِ غَزَاةٍ ، وَتَحْمَلِ حَمَالَةٍ يُوقِي بِهَا دَمَ قَوْمٍ ، وَقِيلَ : الكَرَمُ إِفَادَةٌ ما يَنْبَغِي لا لِعَرَضٍ ، فَمَنْ وَهَبَ المَالَ لَجَلْبِ نَفْعٍ أَوْ دَفْعِ ضَرَرٍ ، أَوْ خِلاصٍ مِنْ دَمٍ فَلَيْسَ بِكَرِيمٍ " (٤) .

ورد الفعل (كَرَمَ) في القرآن الكريم مرتين ، وورد الفعل (أَكْرَمَ) أربع مرات . وقد أشار اللغويون إلى أن كَرَمَ وَأَكْرَمَ بمعنى . جاء في لسان العرب : " التَّكْرِيمُ والإِكْرَامُ بمعنى ، والاسم منه الكَرَامَةُ ... وَأَكْرَمَ الرَّجُلَ وَكَرَّمَهُ : أَعْظَمَهُ وَنَزَّهَهُ " (٥) . وجاء في تاج العروس : " أَكْرَمَهُ إِكْرَامًا وَكَرَّمَهُ تَكْرِيمًا : (عَظَّمَهُ وَنَزَّهَهُ) ، وَالاسْمُ مِنْهُمَا : الكَرَامَةُ ... وَقِيلَ : الإِكْرَامُ وَالتَّكْرِيمُ : أَنْ يُوصَلَ إِلَى الإنسانِ بِنَفْعٍ لا تَلْحَقُهُ فِيهِ غَضَاضَةٌ ، أَوْ يُوصَلَ إِلَيْهِ بِشَيْءٍ شَرِيفٍ " (٦) .

- 1 . ابن فارس ، مقاييس اللغة ، مادة (كرم) ، ج ٥ ، ص ١٧٢ .
- 2 . الرازي ، مختار الصحاح ، مادة (كرم) ، ص ٢٣٧ .
- 3 . ابن منظور ، لسان العرب ، مادة (كرم) ، ج ١٢ ، ص ٥١٠ .
- 4 . الزبيدي ، تاج العروس ، مادة (كرم) ، ج ٣٣ ، ص ٣٣٥ .
- 5 . ابن منظور ، لسان العرب ، مادة (كرم) ، ج ١٢ ، ص ٥١١ .
- 6 . الزبيدي ، تاج العروس ، مادة (كرم) ، ج ٣٣ ، ص ٣٣٧ .

عند تتبع الآيات التي ورد فيها كلٌّ من الفعلين (كَرَمَ ، وأَكْرَمَ) ، يُلاحظُ أن التكريم جاء بمعنى التشريف ، فكان التكريم درجة عالية يمنحها الله تعالى إلى المُكْرَم من خلقه ، فيتجاوز التكريم معاني الإكرام إلى ما هو أبعد من ذلك ليحمل معنى التشريف الذي هو من عند الله تعالى ، كتكريم آدم عليه السلام بسجود الملائكة له . أمّا الإكرام فدلّ على العناية التي يقدمها المُكْرَم إلى المُكْرَم ، وكثيرا ما تكون هذه العناية من خلال تقديم المال . " فاستعمال التكريم لما هو أبلغ وأدوم وأعم " (١) . وتوضيح ذلك على النحو الآتي :

(كَرَمَ) :

ورد الفعل (كَرَمَ) في القرآن الكريم مرتين ، وجاء بمعنى التشريف من عند الله تعالى من خلال تفضيله تعالى لمن يُكْرَمه ، فورد في قوله تعالى : ﴿ وَإِذْ قُلْنَا لِلْمَلَائِكَةِ اسْجُدُوا لِآدَمَ فَسَجَدُوا إِلَّا إِبْلِيسَ قَالَ أَأَسْجُدُ لِمَنْ خَلَقْتَ طِينًا ، قَالَ أَرَأَيْتَكَ هَذَا الَّذِي كَرَّمْتَ عَلَيَّ لَنْ أُوْحِرَّنَّ إِلَيْهِ يَوْمَ الْقِيَامَةِ لَأُحْتَنِكَنَّ ذُرِّيَّتَهُ إِلَّا قَلِيلًا ﴾ . [الإسراء/٦٢،٦١] ومعنى كَرَّمْتَ عَلَيَّ أي " فضلتَ عليّ بالسجود" (٢) . قال أبو السعود : " أي أخبرني عن هذا الذي كَرَّمْتَهُ عَلَيَّ بأن أمرتني بالسجود له لم كَرَّمْتَهُ عَلَيَّ" (٣) . فالتكريم في الآية السابقة بمعنى تفضيل آدم عليه السلام من خلال تكريمه بالسجود له ، والدليل على ذلك أن إبليس شعر بهذه المرتبة مباشرة ، فأدرك يقينا أن سجود الملائكة لآدم عليه السلام دليلا على مرتبةٍ عاليةٍ له من الله تعالى ، لذلك رفض أن يسجد له . فالتكريم في هذه الآية يتجلى معناه من خلال ارتباطه بالسجود ، والسجود لا يكون إلا لله تعالى ، لكنّ الله تعالى أراد أن يكرّم آدم عليه السلام ، فأمر الملائكة أن يسجدوا له . قال السمعاني : " السجود كان لآدم على الحقيقة . وتضمن معنى الطاعة لله تعالى بامتثال أمره فيه . فعلى هذا

1 . فاضل السامرائي ، بلاغة الكلمة في التعبير القرآني ، ص ٥٢ .

2 . الفيروز آبادي ، تنوير المقباس من تفسير ابن عباس ، ج ١ ، ص ٢٣٩ .

3 . أبو السعود ، إرشاد العقل السليم إلى مزايا القرآن الكريم ، ج ٥ ، ص ١٨٣ .

يكون السجود لأدم على سبيل التحية له . وهو كسجود إخوة يوسف ليوسف بمعنى التحية له^(١) . أما إبليس فقد رفض السجود واستكبر حاسدا ، لأنه علم مقدار التكريم الحاصل لأدم عليه السلام من هذا السجود . قال الفخر الرازي : " الكبر والحسد هما اللذان حملا إبليس على الخروج من الإيمان والدخول في الكفر"^(٢) .

وورد الفعل (كَرَّمَ) في قوله تعالى : ﴿وَلَقَدْ كَرَّمْنَا بَنِي آدَمَ وَحَمَلْنَاهُمْ فِي الْبَرِّ وَالْبَحْرِ وَرَزَقْنَاهُمْ مِنَ الطَّيِّبَاتِ وَفَضَّلْنَاهُمْ عَلَى كَثِيرٍ مِمَّنْ خَلَقْنَا تَفْضِيلًا﴾ . [الإسراء/٧٠] وهذا التكريم مما يصعب إحصاؤه ، قال السعدي : " كَرَّمَ بني آدم بجميع وجوه الإكرام ، فكرّمهم بالعلم والعقل ، وإرسال الرسل ، وإنزال الكتب ، وجعل منهم الأولياء والأصفياء ، وأنعم عليهم بالنعم الظاهرة والباطنة... فما من طيب تتعلق به حوائجهم ، إلا وقد أكرمهم الله به ، ويسره لهم غاية التيسير"^(٣) . وقال ابن كثير : " يخبر تعالى عن تشريفه لبني آدم وتكريمه إياهم في خلقه لهم على أحسن الهيئات وأكملها"^(٤) . وقال الشوكاني : " وهذه الكرامة يدخل تحتها خلقهم على هذه الهيئة الحسنة ، وتخصيصهم بما خصهم به من المطاعم والمشارب والملابس على وجه لا يوجد لسائر أنواع الحيوان"^(٥) . "فهذا التكريم لبني آدم على وجه العموم والدوام"^(٦) .

(أكرم) :

ورد الفعل (أكرم) أربع مرّات في القرآن الكريم ، وقد دلّ على عناية المُكْرَمِ بالمُكْرَمِ . وكثيرا ما تكون هذه العناية من خلال جوانب تتعلق بتقديم المال . فورد في قوله تعالى حكاية

1 . السمعاني ، تفسير القرآن ، ج ١ ، ص ٦٧ .

2 . فخر الدين الرازي ، التفسير الكبير ، ج ٢١ ، ص ٣ .

3 . السعدي ، تيسير الكريم الرحمن في تفسير كلام المنان ، ج ١ ، ص ٤٦٣ .

4 . ابن كثير ، تفسير القرآن العظيم ، ج ٣ ، ص ٥٢ .

5 . الشوكاني ، فتح القدير ، ج ٣ ، ص ٢٤٤ .

6 . فاضل السامرائي ، بلاغة الكلمة في التعبير القرآني ، ص ٥٢ .

عن العزيز^(١): ﴿وَقَالَ الَّذِي اشْتَرَاهُ مِنْ مِصْرَ لِمَرْأَتِهِ أَكْرَمِي مَثْوَاهُ عَسَى أَنْ يَنْفَعَنَا أَوْ نَتَّخِذَهُ وَلَدًا﴾ . [يوسف/٢١] والإكرام هنا متعلق بالجوانب المادية من مسكن وطعام ولباس . قال الشوكاني " أكرمي مثواه : أي منزله الذي يثوي فيه بالطعام الطيب واللباس الحسن " ^(٢) . وقال السمعاني : " أكرمي في المطعم والملبس والمقام . والمثوى في اللغة : موضع الإقامة " ^(٣) . فالإكرام في الآية بمعنى العناية من حيث السكن واللباس والطعام وغير ذلك ، وهذه العناية تحتاج إلى بذل المال .

كما ورد الفعل (أكرم) ثلاث مرات في سورة الفجر ، قال تعالى : ﴿فَأَمَّا الْإِنْسَانُ إِذَا مَا ابْنَاهُ رَبُّهُ فَأَكْرَمَهُ وَنَعَّمَهُ فَيَقُولُ رَبِّي أَكْرَمَنِ ، وَأَمَّا إِذَا مَا ابْنَاهُ فَقَدَرَ عَلَيْهِ رِزْقَهُ فَيَقُولُ رَبِّي أَهَانَنِ ، كَلَّا بَلْ لَّا تُكْرِمُونَ الْيَتِيمَ﴾ . [الفجر/١٥-١٧] والإكرام في هذه الآيات بمعنى إعطاء المال ، قال البغوي : " فأكرمه : بالمال . ونعمه : بما وسع عليه . فيقول ربي أكرم مني : بما أعطاني " ^(٤) . وقال الشوكاني : " فأكرمه ونعمه : أي أكرمه بالمال ووسع عليه رزقه . فيقول ربي أكرم مني : فرحا بما نال وسرورا بما أعطي غير شاكر لله على ذلك ، ولا خاطر بباله أن ذلك امتحان له من ربه واختبار لحاله وكشف لما يشتمل عليه من الصبر والجزع والشكر للنعمة وكفرانها " ^(٥) . فجاء الإكرام في الآيات السابقة بمعنى عناية المُكْرَمِ بالمُكْرَمِ من خلال تقديم المال ، أو ما يتعلق به من طعام أو لباس أو غيره .

-
- 1 . الذي اشترى سيدنا يوسف عليه السلام وهو العزيز خازن الملك ، وهو صاحب جنوده وكان يسمى قطفير ، وامرأته زليخا . (انظر : الفيروز آبادي تنوير المقباس من تفسير ابن عباس ، ج ١ ، ص ١٩٥)
 - 2 . الشوكاني ، فتح القدير ، ج ٣ ، ص ١٣ .
 - 3 . السمعاني ، تفسير القرآن ، ج ٣ ، ص ١٩ .
 - 4 . البغوي ، معالم التنزيل ، ج ٢ ، ص ٤٢١ .
 - 5 . الشوكاني ، فتح القدير ، ج ٥ ، ص ٤٣٨ .

(كَفَّلَ , وَأَكْفَلَ)

قال ابن فارس : " الكاف والفاء واللام أصل صحيح يدل على تضمّن الشيء للشيء " (١) .
وقال الخليل : " الكفيل الضامن للشيء ... والكافل الذي يكفل إنسانا يعولهُ وينفقُ عليه " (٢) . وفي
لسان العرب : " الكِفْل ما اكْتَفَلَ به الراكب وهو أن يُدار الكساء حول سنام البعير ثم يركب ...
والكافل : العائل ، كَفَّلَهُ يَكْفُلُهُ و كَفَّلَهُ إِيَّاهُ ... والكافل والكفيل : الضامن ، والأُنثى كَفِيلٌ أَيْضاً ،
وجمع الكافل كُفْلٌ ، وجمع الكفيل كُفْلَاءٌ ، وقد يقال للجمع كَفِيلٌ كما قيل في الجمع صَدِيقٌ ...
وكَفَّلَ بالرجل يَكْفُلُ وَيَكْفُلُ كَفْلاً وَكُفُولاً وَكَفَالَةً وَكَفْلٌ وَكَفْلٌ وَكَفْلٌ وَتَكَفَّلَ بِهِ ، كَلَّهُ : ضمَّه . وَأَكْفَلَهُ إِيَّاهُ
وَكَفَّلَهُ : ضمَّه " (٣) .

ورد كلُّ من الفعلين (كَفَّلَ , وَأَكْفَلَ) في القرآن الكريم مرّة واحدة , وقد أشار الفعلان
إلى معنى الرعاية والضمّ . وقد جاء الفعل مرّةً بالتشديد وأخرى بالتخفيف , منسجماً بذلك مع
معاني السياقات القرآنية التي ورد فيها , فحقّق الوزنان دلالات تتسجم مع معاني الآيات التي
وردت فيها . وبيان ذلك على النحو الآتي :

(كَفَّلَ) :

وورد الفعل (كَفَّلَ) في قوله تعالى : ﴿ فَتَقَبَّلَهَا رَبُّهَا بِقَبُولٍ حَسَنٍ وَأَنْبَتَهَا نَبَاتًا حَسَنًا
وَكَفَّلَهَا زَكَرِيَّا كُلَّمَا دَخَلَ عَلَيْهَا زَكَرِيَّا الْمِحْرَابَ وَجَدَ عِنْدَهَا رِزْقًا ﴾ . [آل عمران/٣٧] والحديث
هنا عن مريم بنت عمران , وكفّلها بمعنى أن الله تعالى جعل زكريا عليه السلام يضمها إلى
إنفاقه وحضانتها . قال الكلبي : " أي ضمها إلى إنفاقه وحضانتها والكافل هو الحاضن , وكان

1 . ابن فارس , مقاييس اللغة ، مادة (كفل) ، ج ٥ ، ص ١٨٧ .

2 . الخليل بن أحمد ، كتاب العين ، مادة (كفل) .

3 . ابن منظور ، لسان العرب ، مادة (كفل) ، ج ١١ ، ص ٥٩٠ .

زكريا زوج خالتها" (١). وقال ابن عطية: "كفلها من لدن طفولتها دون استهام، لكن أمها هلكت وقد كان أبوها هلك وهي في بطن أمها، فضمها زكرياء إلى نفسه لقرابته من امرأته" (٢).

(أَكْفَلَ) :

ورد الفعل (أَكْفَلَ) في قوله تعالى حكاية عن خصمي سيدنا داود عندما جاء ليحكم بينهما : ﴿إِنَّ هَذَا أَخِي لَهُ تِسْعٌ وَتِسْعُونَ نَعْجَةً وَلِيَ نَعْجَةٌ وَاحِدَةٌ فَقَالَ أَكْفُلْنِيهَا وَعَزَّنِي فِي الْخِطَابِ﴾ [ص/٢٣] ومعنى أكفلنيها هنا أي اجعلني أكفلها بأن تطلقها وأتزوجها أنا. قال البغوي: "وحقيقته ضمها إليّ فاجعلني كافلها وهو الذي يعولها وينفق عليها، والمعنى طلقها لأتزوجها" (٣). وقال الطبري: "قوله أكفلنيها قال أعطنيها طلقها لي أنكحها وخل سبيلها" (٤). وقال أبو السعود: "أي ملكنيها وحقيقته اجعلني أكفلها كما أكفل ما تحت يدي، وقيل اجعلها كفلي أي نصيبي" (٥). فالنعجة في الآية بمعنى المرأة، والمختصمان من الملائكة بقصد العبرة. قال ابن عطية: "ولا خلاف بين أهل التأويل أنهم إنما كانوا ملائكة بعثهم الله ضرباً مثل لداود عليه السلام، فاختصموا إليه في نازلة قد وقع هو في نحوها، فأفتى بفتيا هي واقفة عليه في نازلته، ولما شعر وفهم المراد خراً وأناب واستغفر... وهذه الأخوة مستعارة إذ هما ملكان، لكن من حيث تصورا آدميين تكلموا بالأخوة التي بينهما في الدين والإيمان والله أعلم. والنعجة في هذه الآية عبر بها عن المرأة" (٦).

1. الكلبى، التسهيل لعلوم التنزيل، ج ١، ص ١٠٥.
2. ابن عطية، المحرر الوجيز، ج ١، ص ٤٢٦.
3. البغوي، تفسير البغوي، ج ٤، ص ٥٤.
4. الطبري، جامع البيان عن تأويل آي القرآن، ج ٢٣، ص ١٤٤.
5. أبو السعود، إرشاد العقل السليم إلى مزايا القرآن الكريم، ج ٧، ص ٢٢١.
6. ابن عطية، المحرر الوجيز، ج ٤، ص ٤٩٨.

لقد دلّ كلُّ من الفعلين (كفَّلَ , وأكفَلَ) على معنى الرعاية والإنفاق . فكان الأول بمعنى الحضانة والتربية , وكان الثاني بمعنى الضمِّ والتملك . فجاء الأول مشدّدا , بينما جاء الثاني مخففا . وهذا يتناسب مع نوع الكفالة التي أفضى إليها كلُّ من الفعلين . فامرأة عمران نذرت ما في بطنها لخدمة بيت الله , ودعت الله أن يجنبها وذريتها الشيطان فقالت: ﴿رَبِّ إِنِّي نَذَرْتُ لَكَ مَا فِي بَطْنِي ... وَإِنِّي أُعِيدُهَا بِكَ وَذُرِّيَّتَهَا مِنَ الشَّيْطَانِ الرَّجِيمِ﴾ . [آل عمران/٣٥، ٣٦] فقبل الله تعالى ما نذرت امرأة عمران وشاء لمريم النشأة الصالحة فقال : " فَتَقَبَّلَهَا رَبُّهَا بِقَبُولٍ حَسَنٍ وَأَنْبَتَهَا نَبَاتًا حَسَنًا " . قال ابن كثير : " جعلها شكلا مليحا ومنظرا بهيجا , ويسر لها أسباب القبول , وقرنها بالصالحين من عباده تتعلم منهم العلم والخير والدين " (١) . وقال الشوكاني : " قيل إنها كانت تنبت في اليوم ما ينبت المولود في عام , وقيل هو مجاز عن التربية الحسنة العائدة عليها بما يصلحها في جميع أحوالها " (٢) . فرعاية الله تعالى لمريم رعاية بالغة , ومما يؤيد ذلك أيضا أن زكريا عندما كان يدخل عليها بيبتها كان يجد عندها طعاما . قال تعالى : (كَلَّمَا دَخَلَ عَلَيْهَا زَكَرِيَّا الْمِحْرَابَ وَجَدَ عِنْدَهَا رِزْقًا) أي : " كلما دخل عليها زكريا المحراب : يعني بيبتها الذي كانت تتعبد فيه , وجد عندها رزقا : فاكهة الشتاء في الصيف مثل القصب , وفاكهة الصيف في الشتاء مثل العنب " (٣) . لذلك كانت مشيئة الله تعالى أن يكون كفيل مريم هو سيدنا زكريا عليه السلام كي يتناسب الكفيل بعلمه وأخلاقه ودينه مع قدرِ العناية التي أرادها الله تعالى لمريم . فجاء الفعل مشدّدا ليبيّن مقدار عناية الله تعالى بمريم . فهذه الرعاية تشمل قبولَ الله لما في بطن امرأة عمران لخدمة بيته , وإنبات مريم نباتا حسنا خلّقا وخلّقا , وتجنّبها

1 . ابن كثير , تفسير القرآن العظيم ، ج ١ ، ص ٣٦٠ .

2 . الشوكاني , فتح القدير ، ج ١ ، ص ٣٣٥ .

3 . الفيروز آبادي , تنوير المقباس من تفسير ابن عباس ، ج ١ ، ص ٤٦ .

وذريتها الشيطان الرجيم ,وجعلَ سيدنا زكريا النبيَّ العابدِ التقيَّ قريبا منها من خلال كفالتها
وحضانتها.

أما الفعل (أكفلَ) , فقد أشار إلى معنى الضمِّ والتمليك , فجاء مخففا للإشارة إلى الكفالة
التي تكون من خلال الإنفاق . وهذه الكفالة ليست كتلك التي كانت لمريم .

(مَسَكَ , وَأَمَسَكَ)

" الميم والسين والكاف أصل واحد صحيح يدل على حبس الشيء أو تحبسه " (١) . وفي لسان العرب : " المَسَكُ ، بالفتح وسكون السين : الجاد ، وَخَصَّ بعضهم به جلد السَّخْلَةِ ... والمَسَكُ : الأَسْوَرَةُ والخلائيل من الذَّبَلِ والقرون والعاج ، واحدته مَسَكَةٌ ... والمَسَكُ ضرب من الطيب ، واحدته مَسَكَةٌ ... وَمَسَكََ بالشيء وَأَمَسَكَ به وتَمَسَكَ وتَمَاسَكَ واستَمَسَكَ ومَسَّكَ ، كُلُّهُ احْتَبَسَ " (٢) . وفي مختار الصحاح : " أَمَسَكَ بالشيء وتَمَسَكَ به واستَمَسَكَ به وأَمْتَسَكَ به كله بمعنى اعتصم به وكذا مَسَكََ به تَمَسِيكاً ... والمَسَكُ من الطيب فارسي معرب وكانت العرب تُسميه المَشْمُوم " (٣) . و " أمسك عن الأمر: كفَّ عنه ، وأمسكه بيده : قبضه باليد ، وأمسك الشيء على نفسه: حبسه، وأمسك به : أخذ به ، وأمسك عن الكلام : سكت " (٤) .

ورد الفعل (مَسَكَ) مرة وحيدة في القرآن الكريم ، وورد الفعل (أَمَسَكَ) ثماني عشرة مرة. وقد انسجم كلُّ من الفعلين مع معاني الآيات التي وردا فيها ، فأدَّى كلُّ منهما دلالات معينة، وذلك على النحو الآتي :

(مَسَكَ) :

ورد الفعل (مَسَكَ) في القرآن الكريم مرّة وحيدة ، وذلك في قوله تعالى: ﴿وَالَّذِينَ يُمَسِّكُونَ بِالْكِتَابِ وَأَقَامُوا الصَّلَاةَ إِنَّا لَا نَضِيعُ أَجْرَ الْمُصْلِحِينَ﴾ . [الأعراف/١٧٠] والحديث في هذه الآية عن المؤمنين الذين تمسكوا بما في التوراة من حقٍّ بعد أن أنكره اليهود ، فيقول الله

- 1 . ابن فارس ، مقاييس اللغة ، مادة (مسك) ، ج ٥ ، ص ٣٢٠ .
- 2 . ابن منظور ، لسان العرب ، مادة (مسك) ، ج ١٠ ، ص ٤٨٧ .
- 3 . الرازي ، مختار الصحاح ، مادة (مسك) ، ص ٢٦٠ .
- 4 . الأحمدي ، معجم الأفعال المتعدية بحرف ، مادة (مسك) ، ص ٣٤٩ .

تعالى في الآية التي قبلها: "فَخَلَفَ مِنْ بَعْدِهِمْ خَلْفٌ وَرِثُوا الْكِتَابَ يَأْخُذُونَ عَرَضَ هَذَا الْأَدْنَى وَيَقُولُونَ سَيُغْفَرُ لَنَا". والحديث هنا عن اليهود الذين كتموا صفة سيدنا محمد صلى الله عليه وسلم في التوراة. ومعنى الآية: "بقى من بعد الصالحين خَلْفٌ سوء وهم اليهود , أخذوا التوراة وكتموا ما فيها من صفة محمد صلى الله عليه وسلم ونعته , يأخذون على كتمان صفة محمد صلى الله عليه وسلم ونعته حرام الدنيا من الرشوة وغيرها . ويقولون : ما نعمل بالليل من الذنوب يغفر لنا بالنهار . وما نعمل بالنهار يغفر لنا بالليل"^(١). ثم يأتي الحديث عن الذين يتمسكون بما في الكتاب فيقول : والذين يتمسكون بالكتاب . أي : "يعملون بما في الكتاب , يحلون حلاله ويحرمون حرامه ويبينون صفة محمد صلى الله عليه وسلم ونعته"^(٢) . وكذلك فإن " التمسك بالكتاب يشتمل على كل عبادة . وأفردت الصلاة بالذكر إظهاراً لعلو مرتبتها " ^(٣) .

لقد جاء الفعل (مسك) مشدداً في الآية السابقة . بينما جاء مخففاً في باقي الآيات التي سيأتي الحديث عنها . فأدّى وزن (فعل) في هذا الموضع عدداً من الدلالات , حيث:

أ. اختص هذا الوزن بالتمسك بالدين , فأشار إلى التمسك الذي يحتاج إلى صبرٍ وثبات , فأشار التشديد في الفعل إلى مقاومة المؤمنين الفتنة والظلم الذي لا يخفى على أحد , فقد كان المؤمنون يتعرّضون إلى أنواعٍ من العذاب من أجل ترك الدين , ولا سيما في بداية الدعوة . فجاء الفعل مشدداً ليشير إلى صبر المؤمنين وثباتهم , ويبين شدة تمسكهم بدينهم , وشدة تمسكهم بإظهار الحق .

ب. تناسب الفعل المشدّد الدال على التكثر مع نهاية الآية, فالفعل قد أشار إلى تكرار الحدث, وتكرار حدث التمسك بالدين يتطلب مواظبة على ما جاء في الكتب السماوية من أمرٍ بالمعروف

1 . الفيروز آبادي , تنوير المقباس من تفسير ابن عباس , ج ١ , ص ١٤١ .

2 . المرجع نفسه , ج ١ , ص ١٤١ .

3 . فخر الدين الرازي , التفسير الكبير , ج ١٥ , ص ٣٨ , وكذلك : الزمخشري , الكشاف , ج ٢ , ص ١٦٥ .

ونهي عن المنكر. فقال الله تعالى في نهاية الآية : (إِنَّا لَأَنزِعُ أَجْرَ الْمُصْلِحِينَ) . وهذا دليل على أنه مما يقتضيه التمسك بالدين أن يدعو الإنسان إلى الإصلاح من خلال الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، وإحقاق الحق وبيان الباطل ، فيكون العبد صالحا مصلحا . والإصلاح يتطلب جهدا وصبرا وثباتا، وقد أشعر الفعل المشدّد بهذا الجهد المبذول .

ج. تناسب الفعل المشدّد (يمسكون) مع ما تضمنته الآيات من موازنة بين الذين يكتمون الحق ، والذين يتمسكون به ويظهرونه ، فجاء الفعل مشدّدا ليشير إلى تكرار إصرار اليهود — الذين بقوا على اليهودية — على الذنب ، فإصرارهم على الباطل لم يكن مختصا بمكان محدد وحسب ، وإنما هو في جميع بقاع الأرض ، قال الفخر الرازي : " لا أرض مسكونة إلا ومنهم فيها أمة ، وهذا هو الغالب من حال اليهود" ^(١) . فالفعل (يمسكون) يشير إلى دوام الصراع بين أصحاب الحق وأصحاب الباطل ، لذلك جاء الفعل بصيغة المضارع ليشير إلى استمرارية هذا الصراع ، ومسندا إلى واو الجماعة ليشير إلى أصحاب الحق دونما تحديد لعددهم ، ومشدّدا ليشير إلى تكرار التمسك بالحق . فالتمسك بالحق يشير إلى تكرار رفض الباطل .

(أَمْسَكَ) :

ورد الفعل (أمسك) ثمان عشرة مرة في القرآن الكريم . أسند في ثمان مرات منها إلى الله تعالى ، وأسند في عشر مرات إلى غير الله . وقد انسجم الفعل (أمسك) مع السياقات القرآنية التي ورد فيها ، وذلك من خلال الدلالات الآتية:

1 . فخر الدين الرازي ، التفسير الكبير ، ج ١٥ ، ص ٣٦ .

١. دلالات الفعل (أمسك) مسندا إلى الله تعالى :

أ. إمساك الطير في السماء : وقد ورد ذلك مرتين . فورد في قوله تعالى : ﴿ أَلَمْ يَرَوْا إِلَى الطَّيْرِ مُسَخَّرَاتٍ فِي جَوْ السَّمَاءِ مَا يُمَسِّكُهُنَّ إِلَّا اللَّهُ إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَاتٍ لِّقَوْمٍ يُؤْمِنُونَ ﴾ . [النحل/٧٩] أي أن الطير " ما يمسكهن عند قبض أجنحتهن وبسطها أن يقعن على الأرض إلا الله . أو ما يمسكهن أن يرسلن الحجارة على شرار هذه الأمة كما فعل بغيرهم إلا الله " (١) . وكذلك في قوله تعالى : ﴿ أَوَلَمْ يَرَوْا إِلَى الطَّيْرِ فَوْقَهُمْ صَافَّاتٍ وَيَقْبِضْنَ مَا يُمَسِّكُهُنَّ إِلَّا الرَّحْمَنُ إِنَّهُ بِكُلِّ شَيْءٍ بَصِيرٌ ﴾ . [الملك/١٩] والإمساك هنا بمعنى حبسها في الجو أثناء طيرانها كي لا تقع , قال الفخر الرازي : " لم يكن بقاؤها في جو الهواء إلا بإمساك الله وحفظه " (٢) .

ب . إمساك السماوات والأرض : بمعنى حفظ كل منهما . وقد ورد ذلك في قوله تعالى : ﴿ إِنَّ اللَّهَ يُمَسِّكُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ أَنْ تَزُولَا وَلَئِن زَالَتَا إِنْ أَمْسَكَهُمَا مِنْ أَحَدٍ مِنْ بَعْدِهِ إِنَّهُ كَانَ حَلِيمًا غَفُورًا ﴾ . [فاطر/٤١] فلا تسقط السماء على الأرض بأمر الله , ولا تتحرك الأرض عن مكانها إلا بأمره , يقول ابن عطية : " ومعنى الزوال هنا التنقل من مكانها والسقوط من علوها " (٣) .

وورد الفعل كذلك في قوله تعالى : ﴿ أَلَمْ تَرَ أَنَّ اللَّهَ سَخَّرَ لَكُمْ مَا فِي الْأَرْضِ وَالْفُلْكَ تَجْرِي فِي الْبَحْرِ بِأَمْرِهِ وَيُمْسِكُ السَّمَاءَ أَنْ تَقَعَ عَلَى الْأَرْضِ إِلَّا بِإِذْنِهِ إِنَّ اللَّهَ بِالنَّاسِ لَرَءُوفٌ رَحِيمٌ ﴾ . [الحج/٦٥] والإمساك هنا بمعنى حفظ السماء من الوقوع على الأرض , قال الشنقيطي : " يمسك

1 . الجوزي , زاد المسير في علم التفسير , ج ٤ , ص ٤٧٦ .

2 . فخر الدين الرازي , التفسير , ج ٣٠ , ص ٦٣ .

3 . ابن عطية , المحرر الوجيز , ج ٤ , ص ٤٤٢ .

السماء ويمنعها من أن تقع على الأرض ، فتهلك من فيها " (١) . " ومعنى قوله أن تقع : أن لا تقع " (٢) .

ج . إمساك النعم : ورد الفعل (أمسك) للدلالة على إمساك الله تعالى لنعمه في قوله تعالى : ﴿ مَا يَفْتَحِ اللَّهُ لِلنَّاسِ مِنْ رَحْمَةٍ فَلَا مُمْسِكَ لَهَا وَمَا يُمْسِكُ فَلَا مُرْسِلَ لَهُ مِنْ بَعْدِهِ وَهُوَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ ﴾ [فاطر/٢] قال الشوكاني : "الإمساك يتناول كل شيء يمنعه الله من نعمه فهو سبحانه المعطى المانع القابض الباسط لا معطى سواه ولا منعم غيره " (٣) . وورد في قوله تعالى : ﴿ أَمْ مَنْ هَذَا الَّذِي يَرْزُقُكُمْ إِنْ أَمْسَكَ رَبُّهُ بَلْ لَجُّوا فِي عُتُوٍّ وَنُفُورٍ ﴾ . [الملك/٢١] أي : " من الذي يرزقكم من آلهتكم إن أمسك الله الرزق عنكم ... فالله تعالى لو أمسك أسباب الرزق كالمطر والنبات وغيرهما لما وجد رازق سواه " (٤) .

د . إمساك الأرواح : وقد دلّ الفعل على ذلك في قوله تعالى : ﴿ اللَّهُ يَتَوَفَّى الْأَنْفُسَ حِينَ مَوْتِهَا وَالَّتِي لَمْ تَمُتْ فِي مَنَامِهَا فَيُمْسِكُ الَّتِي قَضَىٰ عَلَيْهَا الْمَوْتَ وَيُرْسِلُ الْأُخْرَىٰ إِلَىٰ أَجَلٍ مُّسَمًّى ﴾ . [الزمر/٤٢] والإمساك هنا بمعنى منع الروح من العودة إلى الجسد ، " فأرواح الأحياء والأموات تلتقي في المنام فتتعارف ما شاء الله منها ، فإذا أراد جميعها الرجوع إلى الأجساد أمسك الله أرواح الأموات عنده وأرسل أرواح الأحياء إلى أجسادها " (٥) .

1 . الشنقيطي ، أضواء البيان ، ج٥ ، ص٢٩٦ .

2 . الطبري ، جامع البيان عن تأويل آي القرآن ، ج١٧ ، ص١٩٧ .

3 . الشوكاني ، فتح القدير ، ج٤ ، ص٣٣٨ .

4 . فخر الدين الرازي ، التفسير الكبير ، ج٣٠ ، ص٦٤ .

5 . القرطبي ، الجامع لأحكام القرآن ، ج١٥ ، ص٢٦٠ .

ب. دلالات الفعل (أمسك) مسندا إلى الخلق :

أولا : إمساك الزوجة:

ورد الفعل (أمسك) للدلالة على إمساك الزوجة في أكثر من موضع , وقد تنوعت هذه

الدلالات على النحو الآتي :

١ . إمساك الزوجة بمعنى مراجعتها : وذلك في قوله تعالى : ﴿وَإِذَا طَلَقْتُمُ النِّسَاءَ فَبَلَغْنَ أَجَلَهُنَّ فَأَمْسِكُوهُنَّ بِمَعْرُوفٍ أَوْ سَرِّحُوهُنَّ بِمَعْرُوفٍ وَلَا تُمْسِكُوهُنَّ ضِرَارًا لِّتَعْتَدُوا﴾. [البقرة/٢٣١] قال النسفي : " إما أن يراجعها من غير طلب ضرار بالمراجعة , وإما أن يخليها حتى تنقضى عدتها وتبين من غير ضرار . ولا تمسكوهن ضرارا : أي مضارين , وكان الرجل يطلق المرأة ويتركها حتى يقرب انقضاء عدتها ثم يراجعها لا عن حاجة , ولكن ليطول العدة عليها , فهو الامساك ضرارا"^(١) . وورد الفعل أيضا في قوله تعالى : ﴿فَإِذَا بَلَغْنَ أَجَلَهُنَّ فَأَمْسِكُوهُنَّ بِمَعْرُوفٍ أَوْ فَارِقُوهُنَّ بِمَعْرُوفٍ﴾. [الطلاق/٢] قال ابن كثير : " إما أن يعزم الزوج على إمساكها , وهو رجعتها إلى عصمة نكاحه , والاستمرار بها على ما كانت عليه عنده (بمعروف) أي محسنا إليها في صحبتها . وإما أن يعزم على مفارقتها بمعروف , أي من غير مقابحة ولا مشاتمة ولا تعنيف , بل يطلقها على وجه جميل وسبيل حسن"^(٢) .

٢ . إمساك الزوجة بمعنى عدم مفارقتها والصبر عليها : وذلك في قوله تعالى : ﴿وَإِذْ تَقُولُ لِلَّذِي

أَنْعَمَ اللَّهُ عَلَيْهِ وَأَنْعَمْتَ عَلَيْهِ أَمْسِكْ عَلَيْكَ زَوْجَكَ﴾ . [الأحزاب/٣٧] "أي لا تطلقها"^(٣) , وسبب

نزول هذه الآيات ، أن الله تعالى أراد أن يشرع شرعا عاما للمؤمنين ، وهو أن الأدياء ليسوا

في حكم الأبناء ، وأن أزواجهم لا جناح على من تبناهم في نكاحهن , فأراد أن يكون هذا الشرع

1 . تفسير النسفي ، ج ١ ، ص ١١٢ .

2 . ابن كثير ، تفسير القرآن العظيم ، ج ٤ ، ص ٣٨٠ .

3 . فخر الدين الرازي ، التفسير الكبير ، ج ٢٥ ، ص ١٨٣ .

قولا من رسوله وفعلا , فشاء الله تعالى لسيدنا محمد أن يتزوج زينب بنت جحش ابنة عمه بعد أن طلقها زيد بن حارثة الذي كان يُدعى زيد بن محمد , فقال تعالى في الآية نفسها : (فَلَمَّا قَضَى زَيْدٌ مِنْهَا وَطَرًا زَوَّجْنَاكَهَا لِكَيْ لَا يَكُونَ عَلَى الْمُؤْمِنِينَ حَرَجٌ فِي أَزْوَاجِ أَدْعِيَائِهِمْ إِذَا قَضَوْا مِنْهُنَّ وَطَرًا) (١) .

٣. إمساك الزوجة بمعنى حبسها : وجاء ذلك في قوله تعالى : ﴿ وَاللَّاتِي يَأْتِينَ الْفَاحِشَةَ مِنْ نِسَائِكُمْ فَاَسْتَشْهَدُوا عَلَيْهِنَّ أَرْبَعَةً مِنْكُمْ فَإِنْ شَهِدُوا فَأَمْسِكُوهُنَّ فِي الْبُيُوتِ حَتَّى يَتَوَقَّاهُنَّ الْمَوْتُ أَوْ يَجْعَلَ اللَّهُ لَهُنَّ سَبِيلًا ﴾ . [النساء/١٥] أي : " فاحبسوهن في السجون . وهذا كان في أول الإسلام , إذا كان الزانيان ثيبين حبسا ومنعا من مخالطة الناس , ثم نسخ ذلك بالرجم " (٢) .

٤. إمساك الزوجة بمعنى إبقائها على العصمة : وقد ورد ذلك في قوله تعالى : ﴿ وَلَا تُمْسِكُوا بِعِصَمِ الْكَوَافِرِ ﴾ . [الممتحنة/١٠] والخطاب هنا موجّه لمن له زوجة كافرة من المسلمين , " والعِصْمُ جمع عِصْمَة وهي أسباب الصحبة والبقاء في الزوجية " (٣) , والمعنى : " من كانت له امرأة كافرة بمكة فلا يعتدّ بها من نساءه , لأن اختلاف الدارين قطع عصمتها منه ... ولا تمسكوا . أي : ولا تتمسكوا " (٤) .

ثانيا : إمساك الصيد :

ورد الفعل (أمسك) للدلالة على إمساك الجوارح للصيد في قوله تعالى : ﴿ فَكُلُوا مِمَّا أَمْسَكْنَ عَلَيْكُمْ وَادْكُرُوا اسْمَ اللَّهِ عَلَيْهِ وَاتَّقُوا اللَّهَ إِنَّ اللَّهَ سَرِيعُ الْحِسَابِ ﴾ . [المائدة/٤] أي : "أحل

1 . انظر : المصدر نفسه , ج ١ ص ٦٦٥

2 . الواحدي , الوجيز في تفسير الكتاب العزيز , ج ١ , ص ٢٥٦ .

3 . ابن عطية , المحرر الوجيز , ج ٥ , ص ٢٩٧ .

4 . الزمخشري , الكشاف , ج ٤ , ص ٥١٨ .

لكم صيد ما علمتم من الجوارح... وجمهور الأمة على أن كل ما صاد بعد التعليم فهو جراح" (١)، ومعنى الإمساك في الآية "أي الإمساك التام" (٢).

ثالثا : إمساك المولودة الأنثى بمعنى عدم دفنها :

ورد الفعل (أمسك) للدلالة على إبقاء المولودة الأنثى لدى أهلها إن اختار الأب عدم وأدها في قوله تعالى: ﴿وَإِذَا بُشِّرَ أَحَدُهُم بِالْأُنثَىٰ ظَلَّ وَجْهُهُ مُسْوَدًّا وَهُوَ كَظِيمٌ ، يَتَوَارَىٰ مِنَ الْقَوْمِ مِنْ سُوءِ مَا بُشِّرَ بِهِ أَيُمْسِكُهُ عَلَىٰ هُونٍ أَمْ يَدُسُّهُ فِي التُّرَابِ أَلَا سَاءَ مَا يَحْكُمُونَ﴾ . [النحل/٥٨،٥٩] ومعنى أيمسكه أي : "أيحفظه على هوان ومشقة" (٣).

رابعا : إمساك الشياطين :

ورد الفعل (أمسك) للدلالة على إمساك الشياطين بمعنى حبسها في قوله تعالى : ﴿ هَذَا عَطَاؤُنَا فَامْنُنْ أَوْ أَمْسِكْ بِغَيْرِ حِسَابٍ﴾ . [ص/٣٩] والخطاب موجّه في هذه الآية إلى سيدنا سليمان ، أي : " هذا ملكنا يا سليمان ملكناك على الشياطين ، فامنن على من شئت من المتمردين واخل سبيلهم من الغل ، أو احبس في الغل من غير أن تحاسب وتؤثم بذلك " (٤) .

خامسا : الإمساك بمعنى البخل : دلّ الفعل (أمسك) على هذه الدلالة في قوله تعالى : ﴿قُلْ لَوْ أَنْتُمْ تَمْلِكُونَ خَزَائِنَ رَحْمَةِ رَبِّي إِذًا لَأَمْسَكْتُمْ خَشْيَةَ الْإِنْفَاقِ وَكَانَ الْإِنْسَانُ قَتُورًا﴾ . [الإسراء/١٠٠] أي : " لبخلتم وامتنعتم عن الصدقة " (٥) . وقال البغوي : " لبخلتم وحبستم " (٦) .

1 . الشوكاني ، فتح القدير ، ج ٢ ، ص ١٢ - ١٣ .

2 . ابن عطية ، المحرر الوجيز ، ج ٢ ، ص ١٥٦ .

3 . الفيروز آبادي ، تنوير المقباس من تفسير ابن عباس ، ج ١ ، ص ٢٢٦ .

4 . المرجع نفسه ، ج ١ ، ص ٣٨٣ .

5 . السمرقندي ، بحر العلوم ، ج ٢ ، ص ٣٣٠ .

6 . البغوي ، معالم التنزيل ، ج ٥ ، ص ١٣٣ .

بعد تتبع الآيات التي ورد فيها الفعلان (مَسَّكَ , وَأَمَسَّكَ), يُلاحظُ أن الفعلان قد أشارا إلى معنى حبس الشيء , وقد تنوعت دلالات حبس الشيء بين الفعلين , فورد الفعل مشدداً مرة وحيدة ليختصّ بالتمسك بالدين , فتناسب التشديد في الفعل مع معاني التمسك بالدين الذي يشتمل على كلّ عبادة , فدلّ التمسك على المواظبة على جميع العبادات , ودلّ التمسك على إحقاق الحق وإبطال الباطل , ودلّ التمسك على إظهار صفة سيدنا محمد كما ورد في الكتب السماوية . لذلك تتناسب الفعل المشدّد الدال على التأكيد مع هذه المعاني .

أمّا الفعل (أَمَسَّكَ) فقد ورد ثماني عشرة مرة , ولم يشير في أيّ منها إلى الإمساك بالدين , فأشار إلى معاني حبس الشيء من خلال إسناده إلى الله تعالى , وإظهار هذا الحبس بوصفه مظهراً من مظاهر قدرة الله عز وجلّ , كإمساك الطير في السماء , وإمساك السماء والأرض , وإمساك الأرواح , وغيره ذلك . وأشار الفعل (أَمَسَّكَ) إلى معاني حبس الشيء من خلال إسناده إلى الخلق , فأشار إلى إمساك الزوجة من خلال دلالاته على مراجعتها , أو الصبر عليها وعدم مفارقتها , أو بقائها على العصمة . وأشار إلى إبقاء المولودة الأنثى على الهوان دون دفنها , وأشار إلى إمساك الجوارح للصيد , وأشار إلى حبس سيدنا سلمان للشياطين , وأشار إلى بخل البشر في حال أنهم يملكون خزائن الرحمة.

وبعد تتبع مواطن ذكر الفعل (أَمَسَّكَ) , يُلاحظ أنه أُسند إلى الخلق عشرَ مرّات كان الإمساك في ستّ منها متعلقاً بالزوجة , ولعل هذا فيه إشارة إلى مدى قوة العلاقة بين الزوج والزوجة , وفيه إشارة إلى صيانة المرأة في الإسلام وشدة الحفاظ عليها , لذلك لم يُذكر الإمساك مسنداً إلى الزوجة , وإنما ذُكر مسنداً إلى الزوج انسجاماً مع القوامة التي تتضمن رعاية الرجل بالمرأة .

(نَجَى , وَأَنْجَى)

" النون والجيم والحرف المعتل أصلان يدل أحدهما على كشط وكشف, والآخر على ستر وإخفاء , فالأول نجوتُ الجلدُ أنجوه ... والأصل الآخر النجو والنجوى السرّ بين اثنين" (١).
 " والنجاءُ : الخلاصُ من الشيء , نجا ينجو نجواً ونجاءً ممدود , ونجاةً مقصور... وأنجيتُ غيري ونجّيته... ونجّاهُ الله وأنجاه... والنّجوةُ والنّجاةُ ما ارتفع من الأرض... والنّجاءُ السّرعةُ في السير... وأنجني غصناً من هذه الشجرة أي أقطع لي منها غصناً... ونجّاً جلدَ البعير والناقة نجواً" (٢). "يقالُ نجوتُ جلدَ البعيرِ ولا يقالُ سلّخته... إلّا في عنقه خاصّةً دون سائر جسده" (٣).

ورد الفعلان (نَجَى , وَأَنْجَى) كثيراً في القرآن الكريم , فورد الفعل (نَجَى) سبعة وثلاثين مرّة , وورد الفعل (أَنْجَى) احدى وعشرين مرّة . وقد أشار الفعلان إلى معنى الخلاص من الشيء , "الأصل فيه من نجا ينجو نجاءً ونجاةً : خلص وسلم ممّا يكره , فصيغة أفعَلَ وفَعَلَ بتضعيف العين بمعنى , وكلاهما أفاد التعديّة لأنّ المجرد منه لازم" (٤). فجاء الفعلان للدلالة على المعنى نفسه – أي معنى الخلاص – مع انسجام كلّ منهما مع السياقات القرآنية التي ورد فيها , فأشار الفعلان – مثلاً – إلى النجاة من أفعال الكفار , وإلى النجاة من عذاب الله النازل , وإلى النجاة من مكاره الدنيا , إلّا أنّ هنالك انسجاماً بين الوزن والسياق , فجاء التشديد في سياقات التهويل والتفخيم , وفي سياقات دعاء الرسل والمؤمنين , وغيرها مما يتناسب مع التشديد , وبيان ذلك على النحو الآتي :

- 1 . ابن فارس , مقاييس اللغة , مادة (نجو) , ج ٥ , ص ٣٩٧ .
- 2 . ابن منظور , لسان العرب , مادة (نجا) , ج ١٥ , ص ٣٠٧ .
- 3 . الزبيدي , تاج العروس , مادة (نجو) , ج ٤٠ , ص ٢٤ .
- 4 . توفيق أسعد , صيغة أفعال ودلالاتها في القرآن الكريم , ص ٢٧٠ .

(نَجَى)

ورد الفعل (نَجَى) سبعا وثلاثين مرّة في القرآن الكريم ، وقد أفاد الدلالات الآتية :

١ . تنجية المؤمنين من أفعال الكفار :

ورد الفعل (نَجَى) للدلالة على التنجية من أذى الكفار ثلاث عشرة مرّة ، فجاءت التنجية من الأذى والتعذيب ، ومن الكيد ، ومن شؤم المصاحبة ، ومن أعمال الكفار ، وقد تناسب الفعل المشدّد مع السياقات التي ورد فيها على النحو الآتي :

أ . في سياق وصف أذى الكفار بالكرب العظيم :

ورد ذكر الكَرْب أربع مرّات في القرآن الكريم ، وقد لازم ذكرَ الكرب ذكرُ التنجية من خلال الفعل المشدّد^(١) ، وهذا يتناسب مع معنى الكرب الدال على الغمّ الكثير مع ضيق الصدر ، قال ابن منظور: "كَرْبُهُ الأَمْرُ والغَمُّ اشْتَدَّ عَلَيْهِ"^(٢) ، وقال أبو هلال العسكري : "الكرب تكاثف الغمّ مع ضيق الصدر"^(٣) ، أمّا دلالة الفعل (نَجَى) على التنجية من الكرب الذي هو بسبب أفعال الكفار فقوله تعالى : ﴿وَلَقَدْ مَنَّا عَلَىٰ مُوسَىٰ وَهَارُونَ ، وَنَجَّيْنَاهُمَا وَقَوْمَهُمَا مِنَ الْكَرْبِ الْعَظِيمِ﴾. [الصفات/ ١١٥، ١١٤] قال أبو السعود : "هو ملكة آل فرعون وتسلطهم عليهم بألوان الغشم والعذاب"^(٤) ، وقال الشنقيطي: "هو ما كان يسومهم فرعون وقومه من العذاب ، كذب الذكور من أبنائهم وإهانة الإناث"^(٥) .

-
- 1 . ورد ذلك في : الأنعام / ٦٤ ، والأنبياء / ٧٦ ، والصفات / ٧٦ ، ١١٥ .
 - 2 . ابن منظور ، لسان العرب ، مادة (كرب) ، ج ١ ، ص ٧١١ .
 - 3 . أبو هلال العسكري ، الفروق اللغوية ، ج ١ ، ص ١٨٥ .
 - 4 . أبو السعود ، إرشاد العقل السليم إلى مزايا القرآن الكريم ، ج ٧ ، ص ٢٠٢ .
 - 5 . الشنقيطي ، أضواء البيان ، ج ٦ ، ص ٣١٩ .

ب . في سياق وصف أذى الكفار بالعذاب المهين :

ورد ذكر العذاب المهين — معرفاً بأل — مرتين في القرآن الكريم , فورد في سورة سبأ للدلالة على حكم سيدنا سليمان الجنّ بتمكّن^(١) , "فلم يكن شيطان ينظر إلى سليمان إلا احترق"^(٢). وورد للدلالة على حكم فرعون بني إسرائيل , قال تعالى: ﴿وَلَقَدْ نَجَّيْنَا بَنِي إِسْرَائِيلَ مِنَ الْعَذَابِ الْمُهِينِ﴾ [الدخان/٣٠] أي: "ما كانت القبط تفعل بهم بأمر فرعون من قتل الأبناء, واستخدام النساء, واستعبادهم إياهم , وتكلفهم الأعمال الشاقة"^(٣). فتناسب التعبير عن النجاة بالتشديد مع ذكر العذاب باسم العذاب المهين .

ج . في سياق التعبير عن الكفار بصفة عمل الخبائث الشنيعة :

ورد ذلك في قوله تعالى: ﴿وَلَوْ طَأَّ آتِنَاهُ حُكْمًا وَعِلْمًا وَنَجَّيْنَاهُ مِنَ الْقَرْيَةِ الَّتِي كَانَتْ تَعْمَلُ الْخَبَائِثَ﴾ [الأنبياء/٧٤] "والمراد أهل القرية لأنهم هم الذين يعملون الخبائث"^(٤). وقد عبّر عن الكفار بإظهار صفة عمل الخبائث, فتناسب ذكر التجية بالتشديد مع ذكر قبح أفعال القوم وشناعتها , ومع بعد سيدنا لوط عن هذه الأعمال , قال الشنقيطي: "الخبائث : جمع خبيثة، وهي الفعلة السيئة كالكفر واللواط وما جرى مجرى ذلك"^(٥), "وقيل المراد الأعمال الخبيثة مطلقاً إلا أن أشنعها اللواط"^(٦).

1 . ورد في قوله تعالى : " فَلَمَّا خَرَّ تَبَيَّنَتِ الْجِنُّ أَنْ لَوْ كَانُوا يَعْلَمُونَ الْغَيْبَ مَا لَبِثُوا فِي الْعَذَابِ الْمُهِينِ " [سبأ/١٤] . أي : " الشديد من العمل بالسحرة " . (الفيروز آبادي , تنوير المقباس من تفسير ابن

عباس ج ١ ص ٣٦٠)

2 . الرازي , تفسير القرآن (تفسير ابن أبي حاتم) , ج ١٠ , ص ٣١٦٤ .

3 . تفسير القرطبي , الجامع لأحكام القرآن , ج ١٦ , ص ١٤٢ .

4 . فخر الدين الرازي , التفسير الكبير , ج ٢٢ , ص ١٦٧ .

5 . الشنقيطي , أضواء البيان , ج ٤ , ص ١٦٨ .

6 . الألوسي , روح المعاني , ج ١٧ , ص ٧٢ .

د . في بداية سياق تفصيل النعم الموجبة للطاعة على بني إسرائيل :

وردت نجات بني إسرائيل من ظلم فرعون مع ذكر : (سوم سوء العذاب, وذبح الأبناء وقتلهم, واستحياء النساء) ثلاث مرّات في القرآن الكريم , جاء الفعل مشدّدا في إحداها وخفّف في الموضعين الآخرين , فجاء التشديد في البقرة , وجاء التخفيف في الأعراف وإبراهيم , أمّا التشديد فقوله تعالى: ﴿وَإِذْ نَجَّيْنَاكُمْ مِنْ آلِ فِرْعَوْنَ يَسُومُونَكُمْ سُوءَ الْعَذَابِ يُدَبِّحُونَ أَبْنَاءَكُمْ وَيَسْتَحْيُونَ نِسَاءَكُمْ﴾. [البقرة/ ٤٩] أي يعذبونكم بأشد العذاب , فيذبّحون أبناءكم صغارا, ويستخدمون نساءكم كبارا (١) .

لقد تناسب التشديد مع سياق الآيات في البقرة , فجاء السياق القرآني قبل هذه الآية مشتملا على أوامر من الله تعالى أمر بها بني إسرائيل فقال : (يا بني إسرائيل اذكروا نعمتي... وأوفوا بعهدي... وآمنوا بما أنزلت... ولا تشتروا بآياتي ثمنا قليلا... ولا تلبسوا الحق بالباطل... وأقيموا الصلاة وآتوا الزكاة واركعوا... واستعينوا بالصبر...) . ثم يبدأ بتعديد نعمه عليهم فيقول : (وَإِذْ نَجَّيْنَاكُمْ مِنْ آلِ فِرْعَوْنَ ...) . أي " واذكروا إذ نجيناكم , وهذه النعم على آبائهم كانت " (٢) , فينتقل من سياقات الأمر إلى سياقات التذكير بالنعم عند هذه الآية .

ولمّا كان بنو إسرائيل غير ممتثلين لأوامره تعالى, جاء التعبير عن النجاة من خلال الفعل المشدّد في بداية سياق تعديد النعم تنبيها لهم على ضرورة الامتثال لأوامر الله , وتقريعا لهم على عدم شكرهم الله مع كثرة نعمه عليهم , وعدم سعيهم إلى التوبة الصادقة مع تجاوزه تعالى عن ذنوبهم كثيرا. فذكرت هذه الآية في أول سياق تعديد النعم , فجاءت النجاة من خلال الفعل المشدّد الدال على التكثير متناسبة مع كثرة نعمه عليهم التي وردت في السياق من: فرق

1 . انظر : الفيروز آبادي , تنوير المقباس من تفسير ابن عباس, ج ١ , ص ٨ .

2 . الجوزي , زاد المسير , ج ١ , ص ٧٧ .

البحر، والإنجاء من الغرق، والعفو عنهم بعد اتخاذهم العجل، وإنزال الكتب، وبعثهم بعد موتهم — عندما طلبوا أن يروا الله جهرة — لعلهم يشكرون، وتفجير عيون الماء، إلى آخر النعم التي يذكرهم الله بها. لذلك تكررت (إذ) التي هي في موضع نصب بفعل تقديره (اذكر) خمس عشرة مرة في البقرة فيما يختص بالحديث عن بني إسرائيل. قال العكبري في إعرابها: "في موضع نصب معطوفا على اذكروا نعمتي، وكذلك: وإذ فرقنا وإذ واعدنا وإذ قلتم يا موسى، وما كان مثله من المعطوف"^(١). وقال الفخر الرازي: "اعلم أنه تعالى لما قدم ذكر نعمه على بني إسرائيل إجمالاً، بيّن بعد ذلك أقسام تلك النعم على سبيل التفصيل، ليكون أبلغ في التذكير وأعظم في الحجة، فكأنه قال: اذكروا نعمتي، واذكروا إذ نجيناكم، واذكروا إذ فرقنا بكم البحر"^(٢).

ج . في سياق الدعاء :

ورد الفعل (نجى) للدلالة على التجية التي يترجاه المؤمن إذا دعا الله، فتناسب الدعاء بالفعل المشدّد مع حال الداعي المؤمن وصبره، ودعاء الأنبياء والصالحين بالنجاة — في القرآن الكريم — يكون دائماً بالفعل المشدّد، وهذا يتناسب مع تقّتهم بالله تعالى، لأنهم أخلصوا الطاعة له، فأيقنوا بأنه سيجيب دعاءهم، ولعلّ في هذا إشارة إلى قوله صلى الله عليه وسلم: "يَقُولُ اللَّهُ تَعَالَى أَنَا عِنْدَ ظَنِّ عَبْدِي بِي وَأَنَا مَعَهُ إِذَا ذَكَرَنِي"^(٣). أمّا دعاء المنافقين — كما سيأتي — فيكون بالفعل المخفّف لأنهم يعلمون قلة طاعتهم لله تعالى.

1 . العكبري، التبيان في إعراب القرآن، ج ١، ص ٦١. وانظر: النحاس، إعراب القرآن ج ١، ص ٢٢٢.

2 . فخر الدين الرازي، التفسير الكبير، ج ٣، ص ٦٣.

3 . البخاري، صحيح البخاري، ج ٦، ص ٢٦٩٤.

وقد ورد الفعل (نَجَّى) في سياق دعاء المؤمنين ستّ مرّات , فورد مرتين في قوله تعالى
 حكاية عن سيدنا لوط: ﴿قَالَ إِنِّي لِعَمَلِكُمْ مِنَ الْقَالِينَ , رَبِّ نَجِّنِي وَأَهْلِي مِمَّا يَعْمَلُونَ , فَجَنَّبَاهُ
 وَأَهْلَهُ أَجْمَعِينَ , إِلَّا عَجُوزًا فِي الْغَابِرِينَ , ثُمَّ دَمَرْنَا الْآخِرِينَ﴾. [الشعراء/١٦٨-١٧٢] فسيدنا
 لوط يدعو الله أن ينجّيه وأهله من أفعال قومه الخبيثة ويعصمهم منها, فجاء الدعاء من خلال
 الفعل المشدّد لتقته عليه السلام بالله تعالى, وجاء الجواب من خلال الفعل المشدّد أيضا لأن الله
 عند حسن ظنّ عباده المؤمنين به . فالنّجاة في الآيات من الأعمال الخبيثة , قال السمعاني: "أي
 من العمل الخبيث"^(١), وقد "دلّ دعاؤه بالتّجية لأهله على أنهم كانوا مؤمنين. ولما كانت زوجته
 مندرجة في الأهل، وكان ظاهر دعائه دخولها في التّجية، وكانت كافرة استثنيت... ودلّ قوله
 عجوزاً، على أنها قد عسيت في الكفر ودامت فيه إلى أن صارت عجوزاً"^(٢). وقال الزمخشري
 : " عصمه وأهله من ذلك إلا العجوز ، فإنها كانت غير معصومة منه ، لكونها راضية به
 ومعينة عليه ومحرشة ، والراضي بالمعصية في حكم العاصي"^(٣).

وورد في قوله تعالى حكاية عن امرأة فرعون آسية بنت مزاحم^(٤): ﴿رَبِّ ابْنِ لِي عِنْدَكَ
 بَيْتًا فِي الْجَنَّةِ وَنَجِّنِي مِنْ فِرْعَوْنَ وَعَمَلِهِ وَنَجِّنِي مِنَ الْقَوْمِ الظَّالِمِينَ﴾. [التحرّيم/١١] " أي من ذاته
 وما يصدر عنه من أعمال الشر"^(٥), قال السمرقندي: "يعني من عذاب فرعون وظلمه... ومن
 قوم فرعون يعني من تعبيرهم وشماتتهم"^(٦). فجاء النصّ القرآني معبّرا عن دعاء هذه المؤمنة

1 . السمعاني , تفسير القرآن , ج ٤ , ص ٦٣ . وكذلك : الشوكاني , فتح القدير , ج ٤ , ص ١١٤ .

2 . أبو حيان الأندلسي , البحر المحيط , ج ٧ , ص ٣٥ .

3 . الزمخشري , الكشاف , ج ٣ , ص ٣٣٦ .

4 . قيل أنها عمة موسى عليه السلام , أمنت به , فعذبها فرعون عذابا شديدا , ويروى أنه وتدّها بأربعة أوتاد ,
 واستقبل بها الشمس , وألقى عليها صخرة عظيمة , فدعت الله أن ينجّيها من فرعون , فرقى الله تعالى بروحها
 إلى الجنة , فألقيت الصخرة على جسد لا روح فيه . (انظر: فخر الدين الرازي, التفسير الكبير , ج ٣٠ , ص ٤٤) .

5 . الشوكاني , فتح القدير , ج ٥ , ص ٢٥٦ .

6 . السمرقندي , بحر العلوم , ج ٣ , ص ٤٤٩ .

من خلال الفعل المشدّد، وذلك لشدة إيمانها وثقتها بالله تعالى ، لذلك دعت الله أن يبني لها بيتا في الجنة ثمّ دعته أن ينجيها ، فهناك أناسٌ صالحون وصلوا — من خلال إيمانهم — إلى درجات عالية تخولهم أن يطلبوا من الله ما يريدون ، قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : " إِنَّ مِنْ عِبَادِ اللَّهِ مَنْ لَوْ أَقْسَمَ عَلَى اللَّهِ لَأَبْرَهُ"^(١). وقد ورد ذلك في مواضع أخر ^(٢) .

د . في سياق النجاة من الكيد :

تناسب التشديد في الفعل مع التعبير عن النجاة من الكيد الذي يشتمل تدبيراً واجتهاداً واحتيالاً^(٣)، فجاء الفعل المشدّد للدلالة على المبالغة والتكثير في العناية بالأنبياء بعد ردّ كيد الكفار، قال تعالى في ذكر قصة سيدنا إبراهيم : ﴿وَأَرَادُوا بِهِ كَيْدًا فَجَعَلْنَاهُمُ الْأَخْسَرِينَ، وَنَجَّيْنَاهُ وَلُوطًا إِلَى الْأَرْضِ الَّتِي بَارَكْنَا فِيهَا لِلْعَالَمِينَ﴾. [الأنبياء/٧٠، ٧١] قال الجوزي: "كيدا هو التحريق بالنار... والمعنى أنهم كادوه بسوء فانقلب السوء عليهم"^(٤)، وقال السعدي: "نجاه الله وهاجر... فغادر قومه في بابل من أرض العراق"^(٥). فالتنجية هنا من الكيد الذي أرادوه به والذي يشتمل على التحريق بالنار .

هـ . في سياق التعبير عن أذى الكفار بالغمّ :

وردت التنجية من الغمّ مرتين في القرآن الكريم ، وقد عبّر عنها من خلال الفعل المشدّد، فورت للتعبير عن تنجية يونس عليه السلام — كما سيأتي لاحقا — وهو في بطن الحوت ، ووردت للتعبير عن تنجية موسى من القتل بعد أن قتل القبطي خطأ ، أمّا الغمّ الذي بسبب أفعال

1 . صحيح البخاري ، ج ٣ ، ص ١٠٣٢ .

2 . ورد ذلك في : يونس/٨٦ ، الشعراء/١١٨ ، القصص/٢١ .

3 . " الكَيْدُ : الاحتيالُ والاجتهاد ... والكَيْدُ : التدبيرُ بباطلٍ أو حقٍّ " . (ابن منظور ، لسان العرب ، مادة : كيد ، ج٣ ، ص ٣٨٣)

4 . الجوزي ، زاد المسير ج ٥ ، ص ٣٦٨ .

5 . السعدي ، تيسير الكريم الرحمن في تفسير كلام المنان ، ج ١ ، ص ٥٢٧ .

الكفار فالذي اعترى موسى , قال تعالى : ﴿وَقَاتَلَتْ نَفْسًا فَنَجَّيْنَاكَ مِنَ الْغَمِّ﴾. [طه/٤٠] أي من "هم النفس" (١) , فقد " كان مغموما مخافة أن يُقتلَ به , فنجاه الله بأن هرب إلى مدين " (٢) . وقد تناسب التعبير عن النجاة من خلال الفعل المشدّد مع ضعف الإنسان أمام غمّه , قال أبو هلال العسكري : " الغمّ ما لا يقدر الإنسان على إزالته ... والهمّ ما يقدر على إزالته " (٣) .

و . في سياق الشكر :

تناسب التشديد مع سياق شكر الله وحمده , قال تعالى : ﴿فَإِذَا اسْتَوَيْتَ أَنْتَ وَمَنْ مَعَكَ عَلَى الْفُلِكِ فَقُلْ أَلْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي نَجَّانَا مِنَ الْقَوْمِ الظَّالِمِينَ﴾ . [المؤمنون/٢٨] فدلّ التشديد في الفعل على شدة الفرح بالنجاة , وشدة الشكر والتضرّع لله تعالى , ولاسيما أن الدعاء صادرٌ عن نبيّ الله نوح عليه السلام , والنتيجة هنا بمعنى التخليص من أذى الكفار , قال الشوكاني : " أي حال بيننا وبينهم وخلصنا منهم " (٤) .

٢ . النتيجة من عذاب الله إذا نزل :

ورد الفعل (نجّى) للدلالة على نتيجة الرسل وأقوامهم من عذاب الله عندما ينزل بالكفار , وقد تناسب الفعل المشدّد الدالّ على قوة النجاة مع السياقات القرآنية التي ورد فيها , وذلك على النحو الآتي :

- 1 . ابن عطية , المحرر الوجيز , ج ٤ , ص ٤٥ .
- 2 . الجوزي , زاد المسير , ج ٥ , ص ٢٨٥ .
- 3 . أبو هلال العسكري , الفروق اللغوية , ج ١ , ص ٥٦٠ .
- 4 . الشوكاني , فتح القدير , ج ٣ , ص ٤٨٢ .

أ . في سياق التهويل في وصف العذاب :

تناسب التشديد في الفعل مع سياق تهويل وصف عذاب الله النازل على الكفار, فجاءت التنجية من خلال الفعل المشدّد عندما عبّر عن العذاب بالكرب العظيم , وبصاعقة العذاب الهون, وبالخاصب, وذلك على النحو الآتي:

وصف العذاب بالكرب العظيم : ويُعبّر دائما عن النجاة من الكرب – في القرآن الكريم – بالفعل المشدّد , لمناسبة التشديد معنى اشتداد الأمر كما ذكر سابقا , قال تعالى: ﴿وَنُوحًا إِذْ نَادَى مِنْ قَبْلُ فَاسْتَجَبْنَا لَهُ فَنَجَّيْنَاهُ وَأَهْلَهُ مِنَ الْكَرْبِ الْعَظِيمِ﴾. [الأنبياء/٧٦] "أي دعا على قومه من قبل إبراهيم وإسحاق عليهما السلام"^(١). والكرب هو العذاب الذي حلّ بالقوم استجابة لدعوة النبي , قال الشنقيطي : " المراد بالكرب العظيم في الآية الغرق بالطوفان الذي تتلاطم أمواجه كأنها الجبال العظام " , وقال الفخر الرازي : " في تفسير الكرب وجوه أحدها أنه العذاب النازل بالكفار وهو الغرق , وهو قول أكثر المفسرين "^(٢) .

ووردت التنجية من الكرب العظيم – أيضا – في قوله تعالى: ﴿وَلَقَدْ نَادَانَا نُوحٌ فَلَنِعْمَ الْمُجِيبُونَ . وَنَجَّيْنَاهُ وَأَهْلَهُ مِنَ الْكَرْبِ الْعَظِيمِ﴾. [الصافات/٧٥،٧٦] أي : "من غرق الطوفان"^(٣) .

وصف العذاب بصاعقة العذاب الهون: تناسب التشديد في الفعل مع شدة وصف العذاب, قال تعالى: ﴿وَأَمَّا ثَمُودُ فَهَدَيْنَاهُمْ فَاسْتَحَبُّوا الْعَمَى عَلَى الْهُدَى فَأَخَذَتْهُمُ صَاعِقَةُ الْعَذَابِ الْهُونِ بِمَا كَانُوا يَكْسِبُونَ , وَنَجَّيْنَا الَّذِينَ آمَنُوا وَكَانُوا يَتَّقُونَ﴾. [فصلت/١٧،١٨] فقد عاقب الله قوم ثمود

1 . السمرقندي , بحر العلوم , ج ٢ , ص ٤٣٣ .

2 . فخر الدين الرازي , التفسير الكبير , ج ٢٢ , ص ١٦٧ .

3 . الرازي , تفسير القرآن (تفسير ابن أبي حاتم) , ج ١٠ , ص ٣٢١٨ . وكذلك : الكلبى , التسهيل لعلوم التنزيل , ج ٣ , ص ١٧٢ . والواحدى , الوجيز في تفسير الكتاب العزيز , ج ٢ , ص ٩١١ .

بالصيحة , قال مقاتل : "يعني صيحة جبريل عليه السلام"^(١) . وقد عبّر عن الصيحة بالصاعقة ,
 " والصاعقةُ والصَّعَّةُ : الصيحةُ يُغشى منها على من يسمعها أو يموت "^(٢) , ثم أضافها إلى
 العذاب ووصفه بالهُون , و"الهُونُ : الخزي"^(٣) . فصاعقة العذاب " داهية العذاب وقارعة العذاب
 , والهُونُ الهوانُ , وُصِفَ به العذابُ مبالغةً "^(٤) , "فإضافتها إلى العذاب ووصفه بالهون للمبالغة"
 (٥) .

وصف العذاب بالحاصب : تتناسب التشديد في الفعل مع شدة وصف العذاب في قوله
 تعالى: ﴿إِنَّا أَرْسَلْنَا عَلَيْهِمْ حَاصِبًا إِلَّا آلَ لُوطٍ نَجَّيْنَاهُمْ بِسَحَرٍ﴾. [القمر/٣٤] وحاصبا أي: "عَذَابًا
 يَحْصِيهِمْ أَي يَرْمِيهِمْ بِحِجَارَةٍ مِنْ سِجِّيلٍ ؛ وَقِيلَ: حَاصِبًا أَي رِيحًا تَقْلَعُ الْحَصْبَاءَ لِقَوَّتِهَا"^(٦) , قال
 الشوكاني: "أرسلنا عليهم حاصبا, أي ريحا ترميهم بالحصباء وهي الحصى"^(٧) .

ب . في سياق التفتيح والتهويل في وصف نزول العذاب :

تتناسب الفعل (نجى) الذال على قوة المعنى مع التفتيح والتهويل في قوله تعالى (لَمَّا جَاء
 أمرنا), قال أبو السعود : "في التعبير عنه بالأمر مضافا إلى ضميره جلّ جلاله , وعن نزوله
 بالمجىء , ما لا يخفى من التفتيح والتهويل "^(٨) , لذلك قال في هذه السياقات (جاء) ولم يقل
 (أتى) , وهذا يتناسب مع معنى التفتيح في نزول العذاب , ذلك " أن القرآن إنما يستعمل (جاء)

1 . مقاتل , تفسير مقاتل بن سليمان ج ٣ , ص ١٦٣ .

2 . ابن منظور , لسان العرب , مادة (صعق) , ج ١٠ , ص ١٩٨ .

3 . المرجع نفسه , مادة (هون) , ج ١٣ , ص ٤٣٨ .

4 . أبو السعود , إرشاد العقل السليم إلى مزايا القرآن الكريم , ج ٨ , ص ٩ .

5 . تفسير البيضاوي , ج ٥ , ص ١١١ .

6 . ابن منظور , لسان العرب , مادة (حصب) , ج ١ , ص ٣٢٠ .

7 . الشوكاني , فتح القدير , ج ٥ , ص ١٢٧ .

8 . السعود , إرشاد العقل السليم إلى مزايا القرآن الكريم , ج ٤ , ص ٢١٩ .

لما هو أصعب وأشقّ، ويستعمل (أتى) لما هو أخفّ وأيسر"^(١)، وقد ورد الفعل مرتين في قوله تعالى: ﴿وَلَمَّا جَاءَ أَمْرُنَا نَجَّيْنَا هُودًا وَالَّذِينَ آمَنُوا مَعَهُ بِرَحْمَةٍ مِنَّا وَنَجَّيْنَا هُمْ مِنْ عَذَابٍ غَلِيظٍ﴾. [هود/٥٨] قال السمرقندي: "أمرنا يعني عذابنا، وهو الريح العقيم"^(٢)، وقال السمعاني: "كانت الريح تدخل في مناخرهم وأفواههم، وتخرج من أديبارهم فتقطعهم تقطيعاً أي: قطعة قطعة"^(٣). " وتكررت التنجية على سبيل التوكيد... أو هي من عذاب الآخرة ولا عذاب أغلظ منه ، فأعيدت لأجل اختلاف متعلقها"^(٤).

وورد في قوله تعالى: ﴿وَلَمَّا جَاءَ أَمْرُنَا نَجَّيْنَا شُعَيْبًا وَالَّذِينَ آمَنُوا مَعَهُ بِرَحْمَةٍ مِنَّا وَأَخَذَتِ الَّذِينَ ظَلَمُوا الصَّيْحَةَ فَأَصْبَحُوا فِي دِيَارِهِمْ جَاثِمِينَ﴾. [هود/٩٤] قال الفخر الرازي: "لما صاح جبريل عليه السلام بهم تلك الصيحة ، زهق روح كل واحد منهم بحيث يقع في مكانه ميتاً... كأن لم يقيموا في ديارهم أحياء متصرفين مترددين"^(٥).

وورد في قوله تعالى: ﴿فَلَمَّا جَاءَ أَمْرُنَا نَجَّيْنَا صَالِحًا وَالَّذِينَ آمَنُوا مَعَهُ بِرَحْمَةٍ مِنَّا وَمِنْ خِزْيِ يَوْمِئِذٍ﴾. [هود/٦٥، ٦٦] قال البيضاوي: "هو هلاكهم بالصيحة ، أو نلهم وفضيحتهم يوم القيامة"^(٦). وقال الواحدي: "نجيناهم من العذاب الذي أهلك قومه ، ومن الخزي الذي لزمهم ، وبقي العار فيهم ماثورا عنهم"^(٧).

وقد جاء التعبير القرآني في قوله (لما جاء أمرنا) مسبوقاً بإفناء تارة ، ومسبوقاً بالواو تارة أخرى للمناسبة مع معاني الآيات ، قال الكرمانى : "العذاب في قصة هود وشعيب تأخر عن

1 . فاضل السامرائي ، لمسات بيانية في نصوص من التنزيل ، ص ٧٩ .

2 . السمرقندي ، بحر العلوم ، ج ٢ ، ص ١٥٧ .

3 . السمعاني ، تفسير القرآن ، ج ٢ ، ص ٤٣٧ . وكذلك : الزمخشري ، الكشاف ، ج ٢ ، ص ٣٨٣ .

4 . أبو حيان الأندلسي ، البحر المحيط ج ٥ ، ص ٢٣٥ .

5 . فخر الدين الرازي ، التفسير الكبير ، ج ١٨ ، ص ٤٢ .

6 . تفسير البيضاوي ، ج ٣ ، ص ٢٤٤ .

7 . الواحدي ، الوجيز في تفسير الكتاب العزيز ، ج ١ ، ص ٥٢٦ .

وقت الوعيد... وفي قصة صالح ولوط وقع العذاب عقيب الوعيد... فجاء بالفاء للتعجيل والتعقيب^(١).

وعبر عن مجيء العذاب في آية أخرى بمجيء النصر , قال تعالى: ﴿حَتَّىٰ إِذَا اسْتَيْسَرَ الرُّسُلُ وَظَنُّوا أَنَّهُمْ قَدْ كَذَّبُوا جَاءَهُمْ نَصْرُنَا فَنُجِّيَ مَنْ نَشَاءُ﴾. [يوسف/١١٠] أي: "استيأس الرسل من إيمان قومهم... وظنّ القوم أن الرسل قد كذبوهم فيما أخبروا به من العذاب ولم يصدقوا , وقيل المعنى ظن القوم أن الرسل قد كذبوا فيما ادعوا من نصرهم"^(٢) , و"نصرنا يعني عذابنا بهلاك قومهم"^(٣) , قال ابن كثير: "يذكر تعالى أن نصره ينزل على رسله صلوات الله وسلامه عليهم أجمعين عند ضيق الحال , وانتظار الفرج من الله في أحوج الأوقات إليه"^(٤).

ج . في سياق الاستخلاف والتمكين بعد التكذيب :

في قوله تعالى في ذكر قصة سيدنا نوح: ﴿فَكَذَّبُوهُ فَجَبْنَاهُ وَمَنْ مَعَهُ فِي الْفُلْكِ وَجَعَلْنَاهُمْ خَلَائِفَ وَأَغْرَقْنَا الَّذِينَ كَذَّبُوا بِآيَاتِنَا﴾. [يونس/٧٣] اشتملت الآية السابقة على خمسة أفعال هي: كذب, ونجى, وجعل, وأغرق, وكذب. وقد جاء التشديد لفعلين هما : كذب , ونجى , كما تكرر التكذيب قبل التجية وبعدها , فكانت التجية من الإغراق الذي هو بسبب التكذيب , وكانت سببا لجعل الناجين خلائف متمكين , فتناسب الفعل (نجى) مع التشديد في الفعل (كذب), وتتناسب قوة التجية مع عدد الأحداث , فتداخلت التجية مع كل حدث منها , فكان الإنجاء من الكذب , وكان الإنجاء من الغرق , وكان الاستخلاف للناجين, ولعل ذكر التكذيب في بداية الأحداث وفي نهايتها يبين سبب الهلاك الرئيس وهو تكذيب الرسل, قال الفخر الرازي: "ذكر ما

1 . الكرمانى , أسرار التكرار في القرآن , ص ١٠٨ .

2 . الشوكاني , فتح القدير , ج ٣ , ص ٦١ .

3 . الفيروز آبادي , تنوير المقباس من تفسير ابن عباس , ج ١ , ص ٢٠٤ .

4 . ابن كثير , تفسير القرآن العظيم , ج ٢ , ص ٤٩٨ .

إليه رجعت عاقبة تلك الواقعة، أمّا في حق نوح وأصحابه فأمران: أحدهما: أنه تعالى نجاهم من الكفار. الثاني: أنه جعلهم خلائف بمعنى أنهم يخلفون من هلك بالغرق، وأمّا في حق الكفار فهو أنه تعالى أغرقهم وأهلكهم^(١). وقال الشوكاني: "المعنى أنه سبحانه جعلهم خلفاء يسكنون الأرض التي كانت للمهلكين بالغرق ويخلفونهم فيها"^(٢). لذلك قدّم التنجية والاستخلاف على ذكر الإغراق " لإظهار كمال العناية بشأن المقدّم، ولتعجيل المسرة للسامعين، وللإيدان بسبق الرحمة التي هي من مقتضيات الربوبية على الغضب"^(٣).

كما تناسب التشديد في الفعل مع قوله (ومَن معه) ، في حين قال (والَّذِينَ) في مواضع أخر جاء الفعل فيها مزيدا بالهمزة لا بالتشديد^(٤) ، قال الكرمانى: "أنجينا ونجينا للتعدي ، لكن التشديد يدل على الكثرة والمبالغة ، فكان في يونس (ومَن معه) ، ولفظ (مَن) يقع على كثرة مما يقع عليه (الذين) ، لأن (مَن) يصلح للواحد والتنثنية والجمع والمذكر والمؤنث ، بخلاف الذين فإنه لجمع المذكر فحسب ، فكان التشديد مع (مَن) أليق " ^(٥) .

د . في سياق عناية ملائكة العذاب بالأنبياء قبل نزول العذاب :

تناسبت التنجية من خلال الفعل المشدّد مع عناية ملائكة العذاب بالأنبياء قبل حلول العذاب ، قال تعالى: ﴿وَلَمَّا جَاءَتْ رُسُلُنَا إِبْرَاهِيمَ بِالْبُشْرَى قَالُوا إِنَّا مُهْلِكُوا أَهْلَ هَذِهِ الْقَرْيَةِ إِنَّ أَهْلَهَا كَانُوا ظَالِمِينَ ، قَالَ إِنْ فِيهَا لُوطًا قَالُوا نَحْنُ أَعْلَمُ بِمَنْ فِيهَا لَنُنَجِّيَنَّهُ وَأَهْلَهُ إِلَّا امْرَأَتَهُ كَانَتْ مِنَ الْغَابِرِينَ ﴾ . [العنكبوت/٣١، ٣٢] قال ابن عطية : " استنصر لوط عليه السلام ربّه عليهم ، فبعث ملائكة لعذابهم ورجمهم بالحاصب ، فجاؤوا إبراهيم أولاً مبشرين بإسحاق ، ومبشرين

1 . فخر الدين الرازي ، التفسير الكبير ، ج١٧ ، ص١١٢ .

2 . الشوكاني ، فتح القدير ج٢ ص٤٦٣ .

3 . تفسير أبي السعود ، إرشاد العقل السليم إلى مزايا القرآن الكريم ، ج٤ ، ص١٦٥ .

4 . كما في سورة الأعراف — مثلاً — آية : ٦٤ ، ٧٢ .

5 . الكرمانى ، أسرار التكرار في القرآن ، ص٨٤ .

بنصرة لوط على قومه" (١). "وتحمل التجية على إخراجهم من بين القوم , وفصله عنهم , وحفظه مما يصيبهم" (٢) .

كما تناسب الفعل المشدّد مع عناصر التوكيد في بنية الفعل وهي : اللام الموطئة للقسم , ونون التوكيد , ويُضاف إليها تضعيف عين الفعل لزيادة التوكيد , فكان جواب الملائكة لإبراهيم بإنقاذ نوح من العذاب مؤكداً بثلاثة مؤكّدات , إظهاراً لعنايتهم بالرسول عليه السلام , ولكي يطمأن إبراهيم على سلامة لوط , قال الزمخشري : " لما علّوا إهلاك أهلها بظلمهم اعترض عليهم بأنّ فيها من هو بريء من الظلم " (٣) . وقولهم " نحن أعلم بمن فيها . أي لا تخف أن يقع حيف على مؤمن " (٤) . وقد عبّر عن جوابهم في موضع آخر من خلال الجملة الاسمية , قال تعالى ﴿إِنَّا لَأَلْ لُوطٍ إِنَّا لَمَنْجُوهُمْ أَجْمَعِينَ﴾ . [الحجر/٥٩] فجاء بثلاثة مؤكّدات أيضاً هي : إنّ , واللام المزحلقة , والتشديد .

هـ . في سياق إظهار عظمة المؤمنين على قتلهم , والتكثير بالكفار على كثرتهم :

تناسب الفعل المشدّد مع سياق إظهار عظمة المؤمنين وإن كانوا على قلة , قال تعالى : ﴿وَإِنَّ لُوطًا لَمِنَ الْمُرْسَلِينَ , إِذْ نَجَّيْنَاهُ وَأَهْلَهُ أَجْمَعِينَ , إِنَّا عَجُوزًا فِي الْغَابِرِينَ , ثُمَّ دَمَرْنَا الْآخَرِينَ , وَإِنَّكُمْ لَتَمُرُّونَ عَلَيْهِمْ مُصْبِحِينَ , وَبِاللَّيْلِ أَفَلَا تَعْقِلُونَ﴾ . [الصافات/١٣٣-١٣٨] والنجاة هنا من العذاب , أي " نجينا لوطاً وأهله أجمعين من العذاب الذي أطلناه بقومه" . (٥) فدلّ التشديد على علو شأن من هو مع الله تعالى , قال البقاعي : " قال في مظهر العظمة : إذ نجينا . أي على ما لمخالفه من الكثرة والقوة , ولم يذكرهم لأنهم أكثر الناس انغماساً في العلائق البشرية

1 . ابن عطية , المحرر الوجيز , ج ٤ , ص ٣١٥ .

2 . الألويسي , روح المعاني , ج ٢٠ , ص ١٥٥ .

3 . الزمخشري , الكشاف , ج ٣ , ص ٤٥٦ .

4 . ابن عطية , المحرر الوجيز , ج ٤ , ص ٣١٥ .

5 . الطبري , جامع البيان عن تأويل آي القرآن , ج ٢٣ , ص ٩٧ .

والقاذورات البهيمية^(١) , لذلك أهلك الله الكفار بألوان من العذاب وجعل آثارهم عبرة لغيرهم , قال ابن كثير: "أهلكهم بأنواع من العقوبات , وجعل محلّتهم من الأرض بحيرة منتنة قبيحة المنظر والطعم والريح... يمر بها المسافر ليلا ونهارا, ولهذا قال تعالى : وإنكم لتمرّون عليهم مصبحين وبالليل أفلا تعقلون . أي أفلا تعتبرون بهم"^(٢) . أي "إنكم يا أهل مكة لتمرّون عليهم... على القرى نهاراً وليلاً وغدوة وعشية إذا انطلقتم إلى الشام إلى التجارة"^(٣).

و . في سياق التهديد والوعيد بنزول العذاب :

تناسب التشديد في الفعل مع سياق التهديد والوعيد بنزول العذاب على من كذب الرسل, قال تعالى : ﴿فَهَلْ يَنْتَظِرُونَ إِلَّا مِثْلَ أَيَّامِ الَّذِينَ خَلَوْا مِنْ قَبْلِهِمْ قُلْ فَانْتَظِرُوا إِنِّي مَعَكُمْ مِنَ الْمُنتَظِرِينَ , ثُمَّ نُنَجِّي رُسُلَنَا وَالَّذِينَ آمَنُوا﴾ [يونس/١٠٢، ١٠٣] أي "من العذاب والهلاك"^(٤), قال الشوكاني : " كان الأنبياء المتقدمون يتوعدون كفار زمانهم بأيام مشتملة على أنواع العذاب, وهم يكذبونهم ويصمّمون على الكفر, حتى ينزل الله عليهم عذابه ويحل بهم انتقامه , ثم قال (قل) يا محمد لهؤلاء الكفار المعاصرين لك (فانتظروا) أي تریبصوا لوعد ربكم , إني معكم من المتربّصين لوعد ربّي , وفي هذا تهديد شديد ووعيد بالغ بأنه سينزل بهؤلاء ما نزل بأولئك من الإهلاك... والتعبير بلفظ الفعل المستقبل لاستحضار صورة الحال الماضية تهويلا لأمرها"^(٥), فالنجاة التي عبّر عنها الفعل (نجّى) هي النجاة التي وعدّها الله تعالى لأنبيائه في كل الأزمان, قال الجوزي : "لم يهلك قوم قط إلا نجا نبيهم والذين آمنوا معه"^(٦).

- 1 . البقاعي , نظم الدرر في تناسب الآيات والسور , ج ٦ , ص ٣٤٠ .
- 2 . ابن كثير , تفسير القرآن العظيم , ج ٤ , ص ٢١ .
- 3 . تفسير مقاتل بن سليمان ج ٣ , ص ١٠٧ .
- 4 . السمرقندي , بحر العلوم , ج ٢ , ص ١٣٤ .
- 5 . الشوكاني , فتح القدير , ج ٢ , ص ٤٧٧ .
- 6 . الجوزي , زاد المسير , ج ٤ , ص ٦٩ .

٣. التنجية من ظلمات البرّ والبحر وأهوالهما :

تناسب التشديد في التعبير عن النجاة من الأهوال الشديدة نحو ظلمات البرّ والبحر مع عظمة الخالق وقدرته ، فكلّ شدة مهما كبرت هي تحت أمره تعالى ، فهو القائل في كتابه : ﴿ثُمَّ اسْتَوَىٰ إِلَى السَّمَاءِ وَهِيَ دُخَانٌ فَقَالَ لَهَا وَلِلْأَرْضِ ائْتِيَا طَوْعًا أَوْ كَرْهًا قَالَتَا أَتَيْنَا طَائِعِينَ﴾. [فصلت/١١] وقد ورد الفعل (نَجَى) للدلالة على التنجية من ظلمات البر والبحر ستّ مرّات في القرآن الكريم، "أمّا ظلمات البحر فهي أن تجتمع ظلمة الليل، وظلمة البحر، وظلمة السحاب، ويضاف الرياح الصعبة، والأمواج الهائلة إليها ، فلم يعرفوا كيفية الخلاص، وأمّا ظلمات البر فهي ظلمة الليل، وظلمة السحاب، والخوف الشديد من هجوم الأعداء، والخوف الشديد من عدم الاهتداء إلى طريق الصواب ، والمقصود أنه عند اجتماع هذه الأسباب الموجبة للخوف الشديد لا يرجع الإنسان إلا إلى الله تعالى" (١).

وأما دلالة (نَجَى) على ذلك فورد مرتين في قوله تعالى: ﴿قُلْ مَنْ يُنَجِّكُمْ مِنْ ظُلُمَاتِ الْبَرِّ وَالْبَحْرِ تَدْعُونَهُ تَضَرُّعًا وَخُفْيَةً لَّئِنْ أَنْجَانَا مِنْ هَذِهِ لَنَكُونَنَّ مِنَ الشَّاكِرِينَ ، قُلِ اللَّهُ يُنَجِّكُمْ مِنْهَا وَمِنْ كُلِّ كَرْبٍ ثُمَّ أَنْتُمْ مُشْرِكُونَ﴾ . [الأنعام/٦٣، ٦٤] و"المراد بظلمات البر والبحر شدائدهما" (٢) . وورد في قوله تعالى: ﴿فَإِذَا رَكِبُوا فِي الْفُلِكِ دَعَوْا اللَّهَ مُخْلِصِينَ لَهُ الدِّينَ فَلَمَّا نَجَّاهُمْ إِلَى الْبَرِّ إِذَا هُمْ يُشْرِكُونَ﴾. [العنكبوت/٦٥] أي : "إذا انقطع رجاؤهم عن الدنيا رجعوا إلى الفطرة الشاهدة بالتوحيد ووجدوا وأخلصوا، فإذا أنجاهم وأرجأهم عادوا إلى ما كانوا عليه من حبّ الدنيا وأشركوا" (٣) . وفي وقوله تعالى : ﴿وَإِذَا مَسَّكُمُ الضُّرُّ فِي الْبَحْرِ ضَلَّ مَنْ تَدْعُونَ إِلَّا إِلَهُهُ فَلَمَّا نَجَّاهُمْ إِلَى الْبَرِّ أَعْرَضْتُمْ وَكَانَ الْإِنْسَانُ كَفُورًا﴾ . [الإسراء/٦٧] أي : "نجاكم من

1 . فخر الدين الرازي ، التفسير الكبير ، ج١٣ ، ص ١٨ .

2 . الشوكاني ، فتح القدير ، ج٢ ، ص ١٢٥ .

3 . فخر الدين الرازي ، التفسير الكبير ، ج٢٥ ، ص ٨١ .

هول ما كنتم فيه في البحر " (١) . وقوله تعالى : ﴿وَإِذَا غَشِيَهُمْ مَوْجٌ كَالظُّلِّ دَعَوْا اللَّهَ مُخْلِصِينَ لَهُ الدِّينَ فَلَمَّا نَجَّاهُمْ إِلَى الْبَرِّ فَمِنْهُمْ مُقْتَصِدٌ وَمَا يَجْحَدُ بِآيَاتِنَا إِلَّا كُلُّ خَتَّارٍ كَفُورٍ﴾ . [لقمان/٣٢]

"نجاهم من تلك الشدة" (٢) , قال الخازن : " معناه أن الإنسان إذا وقع في شدة ابتهل إلى الله بالدعاء وترك كل من عداه ونسي جميع ما سواه , فاذا نجا من تلك الشدة فمنهم من يبقى على تلك الحالة وهو المقتصد ... ومنهم من لم يوف بما عاهد " (٣) .

وعبر عن ظلمات البحر بالغم في قوله تعالى : ﴿وَذَا النُّونِ إِذْ ذَهَبَ مُغَاضِبًا فَظَنَّ أَنْ لَنْ نَقْدِرَ عَلَيْهِ فَنَادَى فِي الظُّلُمَاتِ أَنْ لَا إِلَهَ إِلَّا أَنْتَ سُبْحَانَكَ إِنِّي كُنْتُ مِنَ الظَّالِمِينَ , فَاسْتَجَبْنَا لَهُ وَنَجَّيْنَاهُ مِنَ الْغَمِّ﴾ . [الأنبياء/٨٧،٨٨] والتعبير عن النجاة من الغم في القرآن الكريم يكون — كما مرّ سابقا — بالفعل المشدّد , فسيدنا ذو النون (٤) يدعو الله أن ينجيه من غمه , " أي من الظلمات" (٥) , فالغمّ " ظلمة البحر , وظلمة بطن الحوت , وظلمة الليل " (٦) .

٤ . التنجية من الشرك :

ورد الفعل (نجّى) للدلالة على التنجية من الشرك في قوله تعالى حكاية عن سيدنا شعيب : ﴿قَدْ افْتَرَيْنَا عَلَى اللَّهِ كَذِبًا إِنْ عُدْنَا فِي مِلَّتِكُمْ بَعْدَ إِذْ نَجَّانَا اللَّهُ مِنْهَا﴾ . [الأعراف/٨٩] قال أبو السعود : " هي الشرك " (٧) , فمعنى نجّانا منها أي : " علمنا بطلانها وأن لا إله إلا الله وحده

1 . الطبري , جامع البيان عن تأويل آي القرآن ، ج ١٥ ، ص ١٢٣ .

2 . فخر الدين الرازي , التفسير الكبير , ج ٢٥ ، ص ١٤٢ .

3 . الخازن , لباب التأويل في معاني التنزيل , ج ١٥ ، ص ١٥١ .

4 . النون الحوت والجمع أنوانٌ ونيانٌ , وذو النون لقب يونس بن متى عليه الصلاة والسلام . (الرازي , مختار الصحاح , مادة : نون , ص ٢٨٦)

5 . الجوزي , زاد المسير , ج ٥ ، ص ٣٨٤ .

6 . الثوري , تفسير الثوري , ج ١ ، ص ٢٠٤ .

7 . أبو السعود , إرشاد العقل السليم إلى مزايا القرآن الكريم ، ج ٣ ، ص ٢٥١ .

لاشريك له" (١) . فتناسب التشديد مع التعبير عن عظم النجاة , فلا نجاة أكبر من النجاة من الشرك , ولا ذنب أعظم من الوقوع في الشرك , قال تعالى : ﴿ إِنَّ اللَّهَ لَا يَغْفِرُ أَنْ يُشْرَكَ بِهِ وَيَغْفِرُ مَا دُونَ ذَلِكَ لِمَنْ يَشَاءُ وَمَنْ يُشْرِكْ بِاللَّهِ فَقَدِ افْتَرَىٰ إِثْمًا عَظِيمًا ﴾ . [النساء/٤٨]

٥ . التنجية من النار في الآخرة :

ورد الفعل (نجى) للدلالة على مجاوزة النار في موضعين , فورد في قوله تعالى : ﴿وَإِنْ مِنْكُمْ إِلَّا وَارِدُهَا كَانَ عَلَىٰ رَبِّكَ حَتْمًا مَقْضِيًّا , ثُمَّ نُنَجِّي الَّذِينَ اتَّقَوْا وَنَذَرُ الظَّالِمِينَ فِيهَا جِثًّا ﴾ . [مريم/٧١، ٧٢] قال الكلبي : "نجاتهم بالجواز والسلامة من الوقوع فيها" (٢) , وقال الطبري : "تنجى من النار بعد ورود جميعهم إياها الذين اتقوا" (٣) . وورد في قوله تعالى : ﴿وَيُنَجِّي اللَّهُ الَّذِينَ اتَّقَوْا بِمَفَازَتِهِمْ لَا يَمَسُّهُمُ السُّوءُ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ ﴾ . [الزمر/٦١] أي : "ينجي الله الذين اتقوا الشرك من جهنم" (٤) , قال الشوكاني : "أي بنجاتهم من النار وفوزهم بالجنة" (٥) .

لقد تناسب التشديد في التعبير عن النجاة من النار مع عظم فوز الناجين منها , قال تعالى : ﴿فَمَنْ زُحِرِحَ عَنِ النَّارِ وَأُدْخِلَ الْجَنَّةَ فَقَدْ فَازَ ﴾ . [آل عمران/١٨٥] وتناسب التشديد في التعبير عن النجاة من النار — أيضا — مع عظم عذاب المحرومين من هذه النجاة , قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : " أُوْقِدَ عَلَى النَّارِ أَلْفَ سَنَةٍ حَتَّى احْمَرَّتْ ، ثُمَّ أُوقِدَ عَلَيْهَا أَلْفَ سَنَةٍ حَتَّى ابْيَضَّتْ ، ثُمَّ أُوقِدَ عَلَيْهَا أَلْفَ سَنَةٍ حَتَّى اسْوَدَّتْ فَهِيَ سَوْدَاءٌ مُظْلَمَةٌ " (٦) .

1 . الألويسي , روح المعاني , ج ٩ , ص ٤ .

2 . الكلبي , التسهيل لعلوم التنزيل , ج ٣ , ص ٨ .

3 . الطبري , جامع البيان عن تأويل آي القرآن , ج ١٦ , ص ١١٥ .

4 . السمرقندي , بحر العلوم , ج ٣ , ص ١٨٤ .

5 . الشوكاني , فتح القدير , ج ٤ , ص ٤٧٢ .

6 . الترمذي , سنن الترمذي , ج ٤ , ص ٧١٠ .

٦ . تنجية البدن دون الروح لأخذ العبرة :

ورد الفعل (نجّى) للدلالة على " الظهور بعد الموت غرقا على مرتفع من الأرض" (١) ، قال تعالى مخبرا عن فرعون : ﴿ فَالْيَوْمَ نُنَجِّيكَ بِبَدَنِكَ لِتَكُونَ لِمَنْ خَلَقَ آيَةً ﴾ . [يونس/٩٢] أي : " نبعذك مما وقع فيه قومك من قعر البحر . وقيل : نلقيك بنجوة من الأرض" (٢) . فتناسب التشديد في (نجّى) مع مقدار الاهتمام والعناية بفرعون على سبيل التهكم ، فهو سيد القوم ، وهو — على زعمه — إلههم ، فجاءت التنجية من خلال الفعل المشدّد لإظهار المزيد من العناية به ، لكنّها عناية على سبيل الاستهزاء ليكون عبرة لغيره ، فهو " وعدّ له بالنجاة على سبيل التهكم ... ومثل هذا الكلام قد يذكر على سبيل الاستهزاء كما يقال : نعتقك ولكن بعد الموت ، ونخلصك من السجن ولكن بعد أن تموت " (٣) . قال السمرقندي : " يعني عبرة لمن بعدك من الكفار لكيلا يدعوا الربوبية " (٤) . و" قال ابن عباس وغير واحد : شكّ بعض بني إسرائيل في موت فرعون حتى قال بعضهم إنه لا يموت ، فأمر الله البحر فرفعه على مرتفع ، قيل على وجه الماء وقيل على نجوة من الأرض ، وعليه درعه التي يعرفونها " (٥) .

لقد تكبّر فرعون وتجبّر ، فشاء الله تعالى أن يُظهر ضعفه وهوانه ، قال تعالى : ﴿ فَكَذَّبَ وَعَصَى ، ثُمَّ أَذْبَرَ يَسْعَى ، فَحَشَرَ فَنَادَى ، فَقَالَ أَنَا رَبُّكُمُ الْأَعْلَى . فَأَخَذَهُ اللَّهُ نَكَالَ الْآخِرَةِ وَالْأُولَى ﴾ . [النازعات/٢١-٢٥]

- 1 . أحلام ماهر ، صيغة فعل في القرآن الكريم ، ص ٣٠٤ .
- 2 . الزمخشري ، الكشاف ، ج ٢ ، ص ٣٥٠ .
- 3 . فخر الدين الرازي ، التفسير الكبير ، ج ١٧ ، ص ١٢٦ .
- 4 . السمرقندي ، بحر العلوم ، ج ٢ ، ص ١٣١ .
- 5 . ابن كثير ، قصص الأنبياء ، ج ٢ ، ص ٨٧ .

(أنجى)

ورد الفعل (أنجى) احدى وعشرين مرّة في القرآن الكريم , فدّل على الإنجاء من العذاب النازل , ودلّ على الإنجاء من عذاب الآخرة , ودلّ على الإنجاء من الشدائد , ودلّ على الإنجاء من ضرر الكفار . وقد وردت هذه الدلالات عند الحديث عن دلالات الفعل (نجى) , فدّل كلا الفعلين على معانٍ مشتركة مع انسجام التشديد مع السياقات التي مرّت سابقا , أمّا الفعل (أنجى) فأفاد الدلالات الآتية :

١ . الإنجاء من عذاب الله في الدنيا :

دلّ الفعل (أنجى) على الإنجاء بمعنى السلامة من العذاب النازل على الكفار في الدنيا , نحو الإنجاء من الغرق , والإنجاء من الحجارة , والإنجاء من الريح , وغير ذلك , وبيان ذلك على النحو الآتي :

أ . الإنجاء من الغرق :

ورد الفعل (أنجى) للدلالة على الإنجاء من الغرق أربع مرات , فورد للدلالة على إنجاء بني إسرائيل من الغرق في قوله تعالى : ﴿وَإِذْ فَرَقْنَا بِكُمُ الْبَحْرَ فَأَنْجَيْنَاكُمْ وَأَغْرَقْنَا آلَ فِرْعَوْنَ وَأَنْتُمْ تَنْظُرُونَ﴾ [البقرة/٥٠] والآية في سياق تعيد نعم الله على بني إسرائيل, أي: "فرق بهم البحر حتى صار طريقا يبسا يمشون فيه"^(١). فتناسب الفعل المخفف (أنجيناكم) مع الأفعال غير المشددة في السياق (فرقنا , وأغرقنا), ولعلّ في ذلك إشارة إلى أن أمر الإنجاء والإغراق هيّن على الله تعالى . كما تناسبت الأفعال المخففة مع نهاية الآية عندما قال: وأنتم تنظرون. فالنظر يتطلب استقرارا من الناظر, ولا سيما أن المخاطبين هم الأبناء الذين استقرّ حالهم بعد إنجاء آبائهم , قال الألوسي: " وإنما قال سبحانه بكم دون لكم لأن العرب تقول : غضبت لزيد

1 . السيوطي , الدر المنثور , ج ١ , ص ١٦٧ .

إذا غضبت من أجله وهو حي، وغضبت بزيد إذا غضبت من أجله وهو ميت ، ففيه تلويح إلى أن الفرق كان من أجل أسلاف المخاطبين^(١). وقوله: وأنتم تنظرون فيه قولان: "أحدهما أنه من نظر العين معناه وأنتم ترونهم يغرقون، والثاني أنه بمعنى العلم"^(٢)، وقال السمرقندي: "قال بعضهم معناه أنكم تعلمون ذلك كأنكم تنظرون إليهم"^(٣). ويتكرر ذكر هذه القصة في قوله تعالى: ﴿وَأَنْجَيْنَا مُوسَى وَمَنْ مَعَهُ أَجْمَعِينَ ، ثُمَّ أَغْرَقْنَا الْآخَرِينَ﴾. [الشعراء/٦٥، ٦٦] وكيفية الإنجاء " بحفظ البحر على تلك الهيئة إلى أن عبروا"^(٤) ، "فجعله الله طرقا يمشون فيها"^(٥).

وورد للدلالة على إنجاء سيدنا نوح ومن معه ، قال تعالى : ﴿فَأَخَذَهُمُ الطُّوفَانُ وَهُمْ ظَالِمُونَ ، فَأَنْجَيْنَاهُ وَأَصْحَابَ السَّفِينَةِ﴾. [العنكبوت/١٤، ١٥] والنجاة من الطوفان ، أي : " الماء الذي أرسل عليهم"^(٦). وقال تعالى : ﴿فَأَنْجَيْنَاهُ وَمَنْ مَعَهُ فِي الْفُلِّ الْمَشْحُونِ ، ثُمَّ أَغْرَقْنَا بَعْدُ الْبَاقِينَ﴾. [الشعراء/١١٩، ١٢٠] و"الشن ملء السفينة بالناس والدواب والمتاع"^(٧).

ب. الإنجاء من الحجارة :

دل الفعل (أنجى) على الإنجاء من إبطار الحجارة في ذكر قصة سيدنا لوط ، قال تعالى : ﴿فَأَنْجَيْنَاهُ وَأَهْلَهُ إِلاَّ امْرَأَتَهُ قَدَّرْنَاهَا مِنَ الْغَابِرِينَ ، وَأَمْطَرْنَا عَلَيْهِمْ مَطَرًا فَسَاءَ مَطَرُ الْمُنذَرِينَ﴾ . [النمل/٥٧، ٥٨] وقال تعالى : ﴿فَأَنْجَيْنَاهُ وَأَهْلَهُ إِلاَّ امْرَأَتَهُ كَانَتْ مِنَ الْغَابِرِينَ ، وَأَمْطَرْنَا عَلَيْهِمْ مَطَرًا﴾ . [الأعراف/٨٣، ٨٤] والإنجاء هنا من العذاب ، قال ابن عاشور: "والتقدير : فأمطرنا عليهم مطراً وأنجيناه وأهله ، فقدم الخبر بإنجاء لوط عليه السلام على الخبر

1 . الألويسي ، روح المعاني ج ١ ص ٢٥٥ .

2 . الجوزي ، زاد المسير ، ج ١ ، ص ٧٩ .

3 . السمرقندي ، بحر العلوم ، ج ١ ص ٧٨ .

4 . تفسير البيضاوي ، ج ٤ ، ص ٢٤١ .

5 . الشوكاني ، فتح القدير ، ج ٤ ، ص ١٠٢ .

6 . السيوطي ، الدر المنثور ، ج ٦ ، ص ٤٥٦ .

7 . الشوكاني ، فتح القدير ، ج ٤ ، ص ١٠٩ .

بإمطارهم مطرَ العذاب ، لقصد إظهار الاهتمام بأمر إنجاء لوط عليه السلام ، ولتعجيل المسرة للسامعين من المؤمنين ، فتطمئن قلوبهم لحسن عواقب أسلافهم من مؤمني الأمم الماضية ، فيعلموا أنّ تلك سنة الله في عباده " (١) . فالإنجاء في الآيتين السابقتين من العذاب ، أمّا ما جاء في الشعراء — من خلال الفعل المشدّد — فكان الإنجاء فيه من الأعمال الخبيثة — كما سبق — ، لذلك قال هنا : إلّا امرأته . للأخبار عنها أنها كانت من القوم المعذبين ، بينما قال في الشعراء : إلّا عجوزا ، وذلك لأنها عسيت في الكفر حتى صارت عجوزا . فالإنجاء في الشعراء من الأعمال الخبيثة ، أمّا في هاتين الآيتين فمن العذاب (٢) .

ج . الإنجاء من الصيحة :

ورد في قوله تعالى عن قوم ثمود : ﴿فَنَلِكُ بِبُوتِهِمْ خَاوِيَةً بِمَا ظَلَمُوا إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَةً لِّقَوْمٍ يَعْلَمُونَ ، وَأَنْجَيْنَا الَّذِينَ آمَنُوا وَكَانُوا يَنْقُونَ﴾ . [النمل/٥٢،٥٣] قال مقاتل: "أهلكهم بصيحة جبريل عليه السلام، ولم يبق منهم أحدا" (٣) . فجاء الفعل المخفف للدلالة على حدث الإنجاء دون وصف العذاب، أمّا عندما ورد ذكر هذه القصة في فصلت ، فكان التعبير عن النجاة من خلال الفعل المشدّد — كما سبق — لمناسبة وصف العذاب ، فقد وصفه بصاعقة العذاب الهون .

د . الإنجاء من الريح :

ورد في ذكر قصة سيدنا هود عليه السلام ، قال تعالى: ﴿فَأَنْجَيْنَاهُ وَالَّذِينَ مَعَهُ بِرَحْمَةٍ مِنَّا وَقَطَعْنَا دَابِرَ الَّذِينَ كَذَّبُوا بِآيَاتِنَا﴾ . [الأعراف/٧٢] قال ابن كثير : "أرسل عليهم الريح العقيم ، ما

1 . ابن عاشور ، التحرير والتنوير ج ٨ ، ص ٢٣٦ .

2 . انظر : أبو حيان الأندلسي ، البحر المحيط ، ج ٧ ، ص ٣٥ ..

3 . مقاتل ، تفسير مقاتل بن سليمان ، ج ٢ ، ص ٤٨٠ .

تذر من شيء أتت عليه إلا جعلته كالرميم"^(١). وقد دلّ الفعل المخفف على حدث الإنجاء من العذاب النازل دون وصفه كما كان في دلالات الفعل (نجّى) .

هـ . الإنجاء من المسخ :

ورد في قوله تعالى في ذكر قصة أصحاب السبت^(٢): ﴿فَلَمَّا نَسُوا مَا ذُكِّرُوا بِهِ أَنْجَيْنَا الَّذِينَ يَنْهَوْنَ عَنِ السُّوءِ وَأَخَذْنَا الَّذِينَ ظَلَمُوا بِعَدَابِ بَيْتٍ بِمَا كَانُوا يَفْسُقُونَ ، فَلَمَّا عَتَوْا عَنْ مَا نُهُوا عَنْهُ قُلْنَا لَهُمْ كُونُوا قِرَدَةً خَاسِئِينَ﴾. [الأعراف/١٦٥، ١٦٦] والإنجاء هنا من المسخ^(٣)، قال الكلبي: "المعنى أنهم عذبوا أولاً بعذاب شديد ، فعتوا بذلك فمسخوا قرده، وقيل فلما عتوا تكرر لقوله فلما نسوا، والعذاب البئيس هو المسخ"^(٤).

لقد تناسب التعبير عن النجاة من خلال الفعل المخفف مع معاني الآيات من خلال أمرين: الأول : لم يوقع العاصون أذىً أو تعذيباً على الممتثلين أمر الله – كالذي كان يقع على بعض أصحاب الحق – ، بل كان ظلمهم من خلال عصيان أمر الله ، فجاء العذاب للعاصيين عقاباً لهم، أما في قصص أخرى فكان العذاب نجاةً وتخليصاً للممتثلين أمر الله . والثاني : تناسب التعبير عن الإنجاء بالفعل المخفف مع طريقة الإنجاء ، فالناجون لم يروا العذاب لحظة حلوله كما رآه بنو إسرائيل عندما أغرق الله فرعون ، ولم يبذلوا جهداً ليبتعدوا عنه كما فعل أصحاب نوح وأصحاب لوط ، فقد " روي أن الناهين لما أيسوا عن اتعاظ المعتدين كرهوا مساكنتهم ، فقسما القرية بجدار فيه باب مطروق ، فأصبحوا يوماً ولم يخرج إليهم أحد من المعتدين ، فقالوا

1 . ابن كثير ، تفسير القرآن العظيم ، ج ٣ ، ص ٤٣٥ .

2 . هم اليهود الذين مُنعوا عن الصيد يوم السبت ، وأبيح لهم ذلك في باقي الأيام ، وقد ابتلاهم الله في هذا التكليف حيث كانت الأسماك تبتعد عنهم طيلة أيام الإِسْبُوع إلا يوم السبت فكانت تأتي بكثرة ، فوسوس الشيطان لطائفة منهم ليصطادوا يوم السبت ويخالفوا أمر الله ، فمسخهم الله قرده ، ثم لم يعيشوا بعد ذلك طويلاً ولم يتناسل القوم الممسوخون . (انظر : صلاح الخالدي ، مع قصص السابقين في القرآن ، ص ٢٦٠)

3 . انظر : الواحدي ، الوجيز في تفسير الكتاب العزيز ، ج ١ ، ص ٤١٨ .

4 . الكلبي ، التسهيل لعلوم التنزيل ، ج ٢ ، ص ٥٣ .

إن لهم شأنًا ، فدخلوا عليهم فإذا هم قردة ، فلم يعرفوا أنسابهم ولكنّ القردة تعرفهم ، فجعلت تأتي أنسابهم وتشم ثيابهم وتدور باكية حولهم ، ثم ماتوا بعد ثلاث^(١) . فالذي عرفهم أن أمرا حلّ بالعاصين هو عدم رؤيتهم لهم ، فدخلوا عليهم ليعرفوا ما حلّ بهم ، وهذا يدلّ على عدم سماعهم أو رؤيتهم شيئًا ساعة حلول العذاب ، أي أنهم لم يبذلوا جهدًا طلبًا للنجاة من العذاب كالذي بذله نوح ومن معه عند بناء السفينة والركوب فيها ، أو كالذي بذله موسى ومن معه عندما فرّوا من فرعون ، أو كالذي بذله لوط ومن معه عندما ابتعدوا عن القرية .

و . الإنجاء من العذاب بشكل عام دون تحديد :

ورد ذلك في قوله تعالى: ﴿فَلَوْلَا كَانَ مِنَ الْقُرُونِ مِنْ قَبْلِكُمْ أُولُو بَقِيَّةٍ يَنْهَوْنَ عَنِ الْفَسَادِ فِي الْأَرْضِ إِلَّا قَلِيلًا مِمَّنْ أَنْجَيْنَا مِنْهُمْ﴾ . [هود/١١٦] أي ممّن " نجاهم الله من عذابه حين أخذ من كان مقيما على الكفر بالله عذابه، وهم أتباع الأنبياء والرسل" ^(٢) ، فجاء الفعل المخفف للإشارة إلى الإنجاء على سبيل الذكر لا على سبيل تفصيل الإنجاء، "قالآية للتوبيخ... أي لم يكن فيهم أولو بقية"^(٣) ، قال الفخر الرازي: "التقدير : لكن قليلاً ممّن أنجينا من القرون نهوا عن الفساد وسائرهم تاركون للنهي"^(٤) .

وورد في قوله تعالى: ﴿ثُمَّ صَدَقْنَاهُمُ الْوَعْدَ فَأَنْجَيْنَاهُمْ وَمَنْ نَشَاءُ وَأَهْلَكْنَا الْمُسْرِفِينَ﴾ . [الأنبياء/٩] أي : "أنجينا الأنبياء عليهم السلام ومن نشاء من المؤمنين"^(٥) ، أي : "من شر أعدائهم

1 . تفسير البيضاوي ، ج ٣ ، ص ٦٩ .

2 . الطبري ، جامع البيان عن تأويل آي القرآن ، ج ١٢ ، ص ١٣٩ .

3 . البغوي ، معالم التنزيل ، ج ٤ ، ص ٢٠٦ .

4 . فخر الدين الرازي ، التفسير الكبير ، ج ١٨ ، ص ٦٠ .

5 . السمرقندي ، بحر العلوم ، ج ٢ ، ص ٤٢١ .

ومن العذاب الذي نزل بأعدائهم" (١) ، فالإنجاء هنا على سبيل الذكر ، والسياق في صدق الوعد فيما يختصّ بالعقاب والثواب ، قال السمعاني : " صدقناهم الوعد في العقاب والثواب " (٢) .

٢ . الإنجاء من أفعال الكفار :

وردت نجاة بني إسرائيل من ظلم فرعون — كما مرّ سابقا — مع ذكر (سوم سوء العذاب، وذبح الأبناء وقتلهم، واستحياء النساء) ثلاث مرّات في القرآن الكريم ، فجاء الفعل مشدّدا في موضع — تمّ الحديث عنه سابقا — ، وجاء مخففا في موضعين هما : قوله تعالى : ﴿وَإِذْ أَنْجَيْنَاكُمْ مِنْ آلِ فِرْعَوْنَ يَسُومُونَكُمْ سُوءَ الْعَذَابِ يُقْتُلُونَ أَبْنَاءَكُمْ وَيَسْتَحْيُونَ نِسَاءَكُمْ وَفِي ذَلِكُمْ بَلَاءٌ مِنْ رَبِّكُمْ عَظِيمٌ﴾ . [الأعراف/١٤١] وقوله تعالى : ﴿وَإِذْ قَالَ مُوسَى لِقَوْمِهِ اذْكُرُوا نِعْمَةَ اللَّهِ عَلَيْكُمْ إِذْ أَنْجَاكُمْ مِنْ آلِ فِرْعَوْنَ يَسُومُونَكُمْ سُوءَ الْعَذَابِ وَيُدَّبُّونَ أَبْنَاءَكُمْ وَيَسْتَحْيُونَ نِسَاءَكُمْ وَفِي ذَلِكُمْ بَلَاءٌ مِنْ رَبِّكُمْ عَظِيمٌ﴾ . [إبراهيم/٦] .

إنّ ما جاء في الأعراف " قيل هو خطاب ليهود عصر النبي صلى الله عليه وسلّم ، أي واذكروا إذ أنجينا أسلافكم" (٣) ، وذلك "تقريبا لهم بما فعل بأوائلهم" (٤) . وما جاء في إبراهيم هو حكاية عن سيدنا موسى عندما ذكرّ قومه بنعم الله ، "أي اذكروا إنعام الله عليكم في ذلك الوقت الذي أنجاكم فيه من آل فرعون" (٥) ، قال ابن كثير : "يقول تعالى مخبرا عن موسى حين ذكر قومه بأيام الله عندهم ونعمه عليهم ، إذ أنجاهم من آل فرعون وما كانوا يسومونهم به من العذاب والإذلال ، حيث كانوا يذبحون من وجد من أبنائهم ويتركون إناثهم ، فأنقذهم من ذلك وهذه نعمة

1 . أبو حيان الأندلسي ، البحر المحيط ، ج ٦ ، ص ٢٧٧ .

2 . السمعاني ، تفسير القرآن ، ج ٣ ، ص ٣٧٠ .

3 . القرطبي ، الجامع لأحكام القرآن ، ج ٧ ، ص ٢٧٤ .

4 . ابن عطية ، المحرر الوجيز ، ج ٢ ، ص ٤٤٩ .

5 . الخازن ، لباب التأويل في معاني التنزيل ، ج ٤ ، ص ٣٣ .

عظيمة"^(١) . فجاء الفعلان للدلالة على تذكير بني إسرائيل بنعم الله عليهم عندما أنجاهم من ظلم فرعون وقومه. إلا أن التذكير بتلك النعم كان في البقرة أكثر , لذلك كان التشديد في بداية سياق آيات التذكير بالنعم, فتكررت (إذ) التي هي في موضع نصب بفعل تقديره (اذكر) – فيما يختص بالحديث عن بني إسرائيل ونعم الله عليهم , وتكريمه لهم , وإنزاله البراهين عليهم – خمس عشرة مرة في البقرة , أما في الأعراف فتكررت ثلاث مرات , وفي إبراهيم مرتين , فكان التخفيف فيهما .

وورد الفعل (نجى) في قوله تعالى : ﴿يَا بَنِي إِسْرَائِيلَ قَدْ أَنْجَيْنَاكُمْ مِنْ عَدُوِّكُمْ وَوَعَدْنَاكُمْ جَانِبَ الطُّورِ الْأَيْمَنِ وَنَزَّلْنَا عَلَيْكُمُ الْمَنَّاءَ وَالسَّلْوَى﴾. [طه/٨٠] أي أنجيناكم من الغرق , قال الألوسي: "حكاية لما خاطبهم تعالى به بعد إغراق عدوهم وإنجائهم منه , لكن لا عقيب ذلك بل بعد ما أفاض عليهم من فنون النعم الدينية والدنيوية ما أفاض , وقيل : إنشاء خطاب للذين كانوا منهم في عهد النبي صلى الله تعالى عليه وسلم"^(٢) . والآية في سياق التذكير بنعم الله , "فهو إشارة إلى إزالة الضرر , فإن فرعون كان ينزل بهم من أنواع الظلم كثيراً من القتل والإذلال والإخراج والإتعايب في الأعمال"^(٣) .

وورد في قوله تعالى: ﴿فَمَا كَانَ جَوَابَ قَوْمِهِ إِلَّا أَنْ قَالُوا اقْتُلُوهُ أَوْ حَرِّقُوهُ فَأَنْجَاهُ اللَّهُ مِنَ النَّارِ﴾. [العنكبوت/٢٤] والإنجاء هنا من خلال إبطال صفة الإحراق في النار التي أعدها الكافرون لإحراق إبراهيم عليه السلام , قال الألوسي : " جعلها سبحانه عليه برداً وسلاماً"^(٤) , وقال الشوكاني : " أضرموا تلك النار العظيمة وألقوه فيها , ولم تحرقه ولا أثرت فيه أثراً , بل

- 1 . ابن كثير , تفسير القرآن العظيم , ج ٢ , ص ٥٢٤ .
- 2 . الألوسي , روح المعاني , ج ١٦ , ص ٢٣٨ .
- 3 . فخر الدين الرازي , التفسير الكبير , ج ٢٢ , ص ٨٢ .
- 4 . الألوسي , روح المعاني , ج ٢٠ , ص ١٥٠ .

ثارت إلى حالة مخالفة لما هو شأن عنصرها من الحرارة والإحراق " (١) . فتناسب التخفيف في الفعل مع صفة النار التي أصبحت عليها ، فقد جاء التشديد في قولهم (حرقوه) متناسبا مع صفة النار المحرقة التي علمها الناس ، وجاء التخفيف في قوله (فأنجاه) متناسبا مع ما آلت إليه النار من صفة البرودة التي أرادها الله تعالى ، فقد " روي أنه لم ينتفع في ذلك اليوم بالنار ... وذلك لذهاب حرّها " (٢) . أي في يوم إلقاء سيدنا إبراهيم فيها ، قال تعالى : ﴿ قُلْنَا يَا نَارُ كُونِي بَرْدًا وَسَلَامًا عَلَىٰ إِبْرَاهِيمَ ﴾ . [الأنبياء/٦٩] كما دلّ التخفيف في الفعل على أن الإنجاء من النار أمرٌ هيّن عليه سبحانه وتعالى ، فيأمرها وحسب أن تصبح بردا وسلاما على إبراهيم .

٣ . الإنجاء من العذاب في الآخرة :

ورد ذلك في قوله تعالى : ﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا هَلْ أَدُلُّكُمْ عَلَىٰ تِجَارَةٍ تُنْجِيكُمْ مِنْ عَذَابِ أَلِيمٍ ، تُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَرَسُولِهِ وَتُجَاهِدُونَ فِي سَبِيلِ اللَّهِ بِأَمْوَالِكُمْ وَأَنْفُسِكُمْ ذَلِكَ خَيْرٌ لَكُمْ إِنْ كُنْتُمْ تَعْلَمُونَ ﴾ . [الصف/١٠، ١١] أمّا هذه التجارة " فهي التجارة بين أهل الإيمان وحضرة الله تعالى... فمن آمن وعمل صالحاً فله الأجر والربح الوافر ، واليسار المبين ، ومن أعرض عن العمل الصالح فله التحسر والخسران المبين" (٣) . وقد تناسب الفعل المخفف مع الدلالة على النجاة دون بيان قوتها ليكون ذلك بحسب العمل ، فالناس متفاوتون في أعمالهم .

وورد في قوله تعالى : ﴿ يُبَصِّرُونَهُمْ يَوْمَ الْمُجْرِمِ لَوْ يَفْقَدِي مِنْ عَذَابِ يَوْمِئِذٍ بَيْنِيهِ ، وَصَاحِبِيَّتِهِ وَأَخِيهِ ، وَفَصِيلَتِهِ الَّتِي تُؤْوِيهِ ، وَمَنْ فِي الْأَرْضِ جَمِيعًا ثُمَّ يُنْجِيهِ ﴾ . [المعارج/١١-١٤] أي "ينجيه ذلك الفداء من عذاب الله" (٤) ، وقد تناسب الفعل المخفف مع بعد تحقق تلك النجاة

1 . الشوكاني ، فتح القدير ، ج ٤ ، ص ١٩٨ .

2 . الزمخشري ، الكشاف ، ج ٣ ، ص ٤٥٤ .

3 . فخر الدين الرازي ، التفسير الكبير ، ج ٢٩ ، ص ٢٧٤ .

4 . البغوي ، معالم التنزيل ، ج ٤ ، ص ٣٩٣ .

للمجرم، " وإنما عطفه بثم إشعارا ببعد النجاة وامتناعها ، ولذلك زجره عن ذلك بقوله : كَلَّا إِنَّهَا لَظَىٰ (١) .

٤ . الإجماع من الشدائد :

أ . في سياق دعاء المنافق :ورد في قوله تعالى: ﴿قُلْ مَنْ يُنَجِّكُمْ مِنْ ظُلُمَاتِ الْبَرِّ وَالْبَحْرِ تَدْعُونَهُ تَضَرُّعًا وَخُفْيَةً لَّئِنْ أَنْجَانَا مِنْ هَذِهِ لَنَكُونَنَّ مِنَ الشَّاكِرِينَ، قُلِ اللَّهُ يُنَجِّكُمْ مِنْهَا وَمَنْ كُلِّ كَرْبٍ ثُمَّ أَنْتُمْ تُشْرِكُونَ﴾. [الأنعام/٦٣، ٦٤] وقد تمّ الحديث — كما سبق — عن هذه الظلمات ، التي تجمع ظلمة الليل والبحر والسحاب والرياح والخوف .

لقد جاء الفعل مخففا عندما ارتبط بدعاء المشركين ، وقد دلّ ذلك على توجيههم إلى الله بطلب الشيء القليل الذي يضمن لهم السلامة مما هم فيه ، فهم يعلمون قلة ما قدموه من الطاعات لله تعالى ، لذلك جاء الدعاء بالفعل المخفف لبيان عدم طمعهم لعلّ الله يستجيب لهم ، ومما خدم الدلالة أيضا أنهم قالوا (هذه) ، فهم يحاولون بيان قلة ما يرجونه من الله تعالى لعلّه ينجيهم ، أمّا دعاء المؤمن فيأتي عادة بالتشديد لأنه يعلم ما لديه من الإيمان ، فيطلب الله بثقة ، وقد مرّ سابقا نماذج على أدعية المؤمنين نحو دعاء زوجة فرعون عندما قال الله تعالى حكاية عنها : ﴿رَبِّ ابْنِ لِي عِنْدَكَ بَيْتًا فِي الْجَنَّةِ وَنَجِّنِي مِنْ فِرْعَوْنَ وَعَمَلِهِ وَنَجِّنِي مِنَ الْقَوْمِ الظَّالِمِينَ﴾ . [التحریم/١١] فهي واثقة من إيمانها لذلك دعت الله أن يبني لها بيتا في الجنة قبل توجيهها بطلب النجاة . ونحو دعاء سيدنا موسى عندما قال تعالى حكاية عنه : ﴿قال ربّ نجّني من القوم الظالمين﴾. [القصص/٢١]

وكذلك في قوله تعالى: ﴿هُوَ الَّذِي يُسَيِّرُكُمْ فِي الْبَرِّ وَالْبَحْرِ حَتَّىٰ إِذَا كُنْتُمْ فِي الْفُلِكِ وَجَرَينَ بِهِمْ بَرِيحٍ طَيِّبَةٍ وَفَرِحُوا بِهَا جَاءَتْهَا رِيحٌ عَاصِفٌ وَجَاءَهُمُ الْمَوْجُ مِنْ كُلِّ مَكَانٍ وَظَنُّوا أَنَّهُمْ أُحِيطَ

بِهِمْ دَعَا اللَّهَ مُخْلِصِينَ لَهُ الدِّينَ لَئِنِ أَنْجَيْتَنَا مِنْ هَذِهِ لَنَكُونَنَّ مِنَ الشَّاكِرِينَ , فَلَمَّا أَنْجَاهُمْ إِذَا هُمْ يَبْغُونَ فِي الْأَرْضِ بِغَيْرِ الْحَقِّ ﴿٢٣﴾. [يونس/٢٣، ٢٢] أي: "لئن أنجيتنا من هذه الريح العاصفة لنكونن من الشاكرين الموحدين الطائعين"^(١). "فلما أنجاهم : أي من تلك الورطة , إذا هم يبغون في الأرض بغير الحق : أي كأن لم يكن من ذلك شيء"^(٢). وقد جاء جواب دعائهم بالتخفيف أيضا لمناسبة قوله حكاية عنهم : لئن أنجانا .

ب . في سياق وعد المؤمنين: ورد في قوله تعالى: ﴿ثُمَّ نُنَجِّي رُسُلَنَا وَالَّذِينَ آمَنُوا كَذَلِكَ حَقًّا عَلَيْنَا نُنَجِّ الْمُؤْمِنِينَ﴾. [يونس/١٠٣] جاء التشديد فيما يتعلق بتجية الأنبياء لأن درجة إيمانهم معلومة, وجاء التخفيف فيما يتعلق بإنجاء المؤمنين من البشر, وهم متفاوتون في درجة إيمانهم, فأشار الفعل المخفف إلى حصول النجاة للمؤمن, أما درجة هذه النجاة فبقدر ما معه من إيمان, قال السعدي: "من مكاره الدنيا والآخرة وشدائدهما... فإنه بحسب ما مع العبد من الإيمان تحصل له النجاة"^(٣).

وكذلك في قوله تعالى: ﴿فَاسْتَجَبْنَا لَهُ وَنَجَّيْنَاهُ مِنَ الْغَمِّ وَكَذَلِكَ نُنَجِّي الْمُؤْمِنِينَ﴾. [الأنبياء/٨٨] أي "كما أنجينا يونس عليه السلام من كرب الحبس إذ دعانا , كذلك ننجي المؤمنين من كربهم إذا استغاثوا بنا"^(٤). "فهو شرط من الله لمن دعاه"^(٥), وهو "وعدٌ وبشارة لكل مؤمن وقع في شدة وغم"^(٦). أما التشديد في نجيناه فالأنه في حق سيدنا يونس, وعلو درجة إيمان الأنبياء معلومة .

- 1 . الواحدي , الوجيز في تفسير الكتاب العزيز ، ج ١ ، ص ٤٩٤ .
- 2 . ابن كثير , تفسير القرآن العظيم ، ج ٢ ، ص ٤١٤ .
- 3 . السعدي , تيسير الكريم الرحمن في تفسير كلام المنان ، ج ١ ، ص ٣٧٥ .
- 4 . فخر الدين الرازي , التفسير الكبير ، ج ٢٢ ، ص ١٨٧ .
- 5 . السيوطي , الدر المنثور ، ج ٥ ، ص ٦٦٨ .
- 6 . السعدي , تيسير الكريم الرحمن في تفسير كلام المنان ، ج ١ ، ص ٥٣٠ .

(نَعَمَ , وَأَنْعَمَ)

" النون والعين والميم فروعه كثيرة , وعندنا أنها على كثرتها راجعة إلى أصل واحد يدل على ترفه وطيب عيش وصلاح" (١) , و" النَّعِيمُ وَالنُّعْمَى وَالنَّعْمَاءُ وَالنَّعْمَةُ كُلُّهُ الْخَفْضُ وَالذَّعَةُ وَالْمَالُ ، وهو ضد البأساء والبؤسى... وَالنَّعْمَةُ بِالْفَتْحِ التَّعْيِيمُ . يقال : نَعَمَ اللَّهُ وَنَاعَمَهُ فَتَنَعَمَ... وَالنَّعْمَةُ : الْيَدُ الْبَيْضَاءُ الصَّالِحَةُ وَالصَّنِيْعَةُ وَالْمِنَّةُ وَمَا أُنْعَمُ بِهِ عَلَيْكَ . وَ نِعْمَةُ اللَّهِ بِكَسْرِ النُّونِ : مَنْهُ وَمَا أَعْطَاهُ اللَّهُ الْعَبْدَ مِمَّا لَا يُمَكِّنُ غَيْرَهُ أَنْ يُعْطِيَهُ إِيَّاهُ كَالسَّمْعِ وَالْبَصَرِ... وَالنَّعْمَةُ ، بالكسر: اسْمٌ مِنْ أَنْعَمَ اللَّهُ عَلَيْهِ يُنْعَمُ إِنْعَامًا وَنِعْمَةً... ومعنى قولهم : أَنْعَمْتَ عَلَيَّ فُلَانٌ أَيَّ أَصْرَتَ إِلَيْهِ نِعْمَةً " (٢) .

ورد الفعلان (نعم , وأنعم) في القرآن الكريم , وقد دلَّ الفعلان على النعم المختلفة التي تُعطى من الله تعالى , سواء أكانت من جهته تعالى , أم من جهة غيره في ظاهرها وهي في الحقيقة منه تعالى, قال الفخر الرازي: "النعمه على ثلاثة أقسام: أحدها : نعمه تفرد الله بإيجادها نحو أن خلق ورزق. وثانيها: نعمه وصلت من جهة غير الله في ظاهر الأمر وفي الحقيقة فهي أيضا إنما وصلت من الله تعالى... وثالثها: نعم وصلت من الله إلينا بسبب طاعتنا وهي أيضا من الله تعالى" (٣) .

ورد الفعل (نعم) في القرآن الكريم مرّة وحيدة, أمّا الفعل (أنعم) فورد سبع عشرة مرّة. وقد دلَّ الفعل (أنعم) على النعم المتعددة التي تُعطى للإنسان , أمّا الفعل (نعم) فقد اقتصَّ بالنتعيم الذي هو ابتلاء من الله تعالى , لذلك جاء الفعل مضعفاً دالاً على التكثير , ليعبر عن النعم الكثيرة التي يعطيها الله تعالى عبده ليختبره , أيشكر الله تعالى , أم تنسيه هذه النعم الكثيرة شكر ربّه ؟ "

1 . ابن فارس , مقاييس اللغة , مادة (نعم) , ج ٥ , ص ٤٤٦ .

2 . ابن منظور , لسان العرب , مادة (نعم) , ج ١٢ , ص ٥٨١ .

3 . فخر الدين الرازي , التفسير الكبير ج ١ , ص ٢٠٨ . وانظر : ج ٣ , ص ٢٨ .

فوردت كلمة (أنعم) في سياق الإخبار عن نعم الله على الإنسان , أمّا كلمة (نعم) فوردت في سياق الذم , حيث تدمّ تصور أصحابها لحقيقة نعم الله" (١) . وقد أفاد كل من الفعلين (نعم , وأنعم) هذه المعاني من خلال الدلالات الآتية :

(نعم) :

ورد الفعل (نعم) بالتضعيف مرّة وحيدة في القرآن الكريم , قال تعالى : ﴿ فَأَمَّا الْإِنْسَانُ إِذَا مَا ابْتَلَاهُ رَبُّهُ فَأَكْرَمَهُ وَنَعَّمَهُ فَيَقُولُ رَبِّي أَكْرَمَنِ , وَأَمَّا إِذَا مَا ابْتَلَاهُ فَقَدَرَ عَلَيْهِ رِزْقَهُ فَيَقُولُ رَبِّي أَهَانَنِ ﴾ . [الفجر/١٥-١٦] فدلّ الفعل المضعّف على التّكثير في الإنعام , وهذا الإنعام هو في الحقيقة ابتلاء من الله تعالى , أي "تعميم بطريق الابتلاء" (٢) , فتناسب الفعل المضعّف الدال على التّكثير في إعطاء النعم مع الابتلاء الذي هو اختبار عن طريق التّعميم , فيمتحن فيه العبد , ويشكر الله إذا نعمه ؟ قال الجوزي : "ابتلاه بمعنى اختبره بالغنى واليسر , فأكرمه بالمال , ونعمه بما وسّع عليه من الإفضال" (٣) , وقال أبو حيان : "وابتلاه معناه اختبره , ويشكر أم يكفر إذا بسط له ؟" (٤) , وقال القرطبي : "أي أمتحنه وأختبره بالنعمة" (٥) .

إنّ اختبار العبد من خلال ابتلائه بالتّعميم يكشف حقيقته , فكم من عبد أنعم الله عليهم بالمال والجاه والمنصب نسى شكر ربّه , بل منهم من تجرّ وتعالى , فصارت النعمة نقمةً عليه , ذلك أنها أصبحت سبباً في كفره . فالمؤمن يبتليه الله تعالى بالفقر والمرض ليخفف عنه يوم القيامة , " فعن أبي هريرة , أنّ النبيّ صلّى الله عليه وسلّم عاد رجلاً من وعك كان به

1 . صلاح الخالدي , لطائف قرآنية , ص ١٧٣ .

2 . أبو السعود , إرشاد العقل السليم إلى مزايا القرآن الكريم , ج ٩ , ص ١٥٦ .

3 . الجوزي , زاد المسير في علم التفسير , ج ٩ , ص ١١٩ .

4 . أبو حيان الأندلسي , البحر المحيط , ج ٨ , ص ٤٦٥ .

5 . القرطبي , الجامع لأحكام القرآن , ج ٢٠ , ص ٥١ .

فقال : أبشِرْ ، فَإِنَّ اللَّهَ يَقُولُ : هِيَ نَارِي أُسَلِّطُهَا عَلَى عَبْدِي الْمُذْنِبِ لِتَكُونَ حَظَّةً مِنَ النَّارِ " (١) .
 أمّا الكافر فله نعيم الدنيا , قال تعالى : ﴿ وَلَوْ أَنَّ يُكُونَ النَّاسُ أُمَّةً وَاحِدَةً لَجَعَلْنَا لِمَنْ يَكْفُرُ
 بِالرَّحْمَنِ لِبُيُوتِهِمْ سُقْفًا مِنْ فِضَّةٍ وَمَعَارِجَ عَلَيْهَا يَظْهَرُونَ ﴾ . [الزخرف/٣٣] أي : " لولا أن
 يرغب الناس في الكفر إذا رأوا الكافر في سعة من الخير والرزق , لأعطيتهم أكثر الأسباب
 المفيدة للتنعم " (٢) . " فالجاهلون لا يعرفون أساس تكريم الله وتفضيله للإنسان , فيظنون هذا
 الإكرام قائما على أساس الإنعام , فكل من أعطاه النعم المادية فقد أكرمه وأحبه وفضّله , وكلّ
 من ضيّقَ عليه رزقه فقد أبعداه وأهاناه , وهذا تصوّر باطل , وفهم مغلوّط مردود , وقد ردّه
 القرآن وأبطله ونقضه حيث قال : (كلا بل لا تكرمون اليّتم) , أي : كلا . ليس الأمر كذلك " (٣) .
 ويروى أن رجلا سأل النبي صلى الله عليه وسلّم , " قال : يا رسول الله ما الأسقام ؟
 قال : أو ما سقمت قط ؟ قال : لا . قال : قمّ عنا فلست منّا . قال ابن عربي : هذا إشارة إلى أنه
 ناقص المرتبة عند ربّه , وعلامة ذلك صحة بدنه على الدوام ... وطلّق خالد بن الوليد زوجته
 ثم أحسن عليها الثناء فقيل : لم طلقتها ؟ قال : ما فعلته لأمر رابني ولا ساعني , لكن لم يصبها
 عندي بلاء " (٤) .

(أنعم) :

ورد الفعل (أنعم) سبع عشرة مرّة في القرآن الكريم , أسند في ستّ عشرة منها إلى الله
 تعالى , وأسند مرّة وحيدة إلى سيدنا محمد صلى الله عليه وسلّم , وقد أفاد الفعل (أنعم) دلالات

-
- 1 . الترمذي , سنن الترمذي , ج ٤ , ص ٤١٢ .
 - 2 . فخر الدين الرازي , التفسير الكبير , ج ٢٧ , ص ١٨١ .
 - 3 . صلاح الخالدي , لطائف قرآنية , ص ١٧٣ .
 - 4 . المناوي , فيض القدير شرح الجامع الصغير , ج ٢ , ص ٤٠٨ .

متعدّدة تتدرج تحت معاني الخفض والدّعة والمال وإعطاء النعم المتعددة من الله تعالى , ويمكن تقسيمها على النحو الآتي :

أ . الإنعام الذي خصّت به بنو إسرائيل :

ورد الفعل (أنعم) للدلالة على إنعام الله تعالى على بني إسرائيل ثلاث مرّات , قال تعالى: ﴿يَا بَنِي إِسْرَائِيلَ اذْكُرُوا نِعْمَتِيَ الَّتِي أَنْعَمْتُ عَلَيْكُمْ﴾ . [البقرة/٤٠/٤٧/١٢٢] وقد تكرر ورود هذه الآية ثلاث مرّات , " فخصهم بالخطاب في هذه الآية والتي بعدها من الآي التي ذكرهم فيها نعمه " (١) , " والنعمة هنا اسم الجنس , فهي مفردة بمعنى الجمع " (٢) , قال البغوي : " هي النعم التي خصّت بها بنو إسرائيل , فلقّ البحر , وإنجاؤهم من فرعون باغراقه , وتظليل الغمام عليهم في التيه , وإنزال المنّ والسلوى , وإنزال التوراة , فهي نعم كثيرة لا تحصى " (٣) .

ب . الإنعام على قريش بإرسال سيدنا محمد صلى الله عليه وسلم :

ورد في قوله تعالى : ﴿ذَلِكَ بِأَنَّ اللَّهَ لَمْ يَكُ مُغَيِّرًا نِعْمَةً أَنْعَمَهَا عَلَى قَوْمٍ حَتَّى يُغَيِّرُوا مَا بِأَنْفُسِهِمْ﴾ . [الأنفال/٥٣] والمقصود من النعمة هنا أن بعث الله سيدنا محمدا صلى الله عليه وسلم في قريش , قال المفسرون : "نعمة الله محمد صلى الله عليه وسلم , أنعم به على قريش وكفروا , فنقله إلى الأنصار " (٤) .

ج . الإنعام بمعنى دفع الضرر :

- 1 . الطبري , جامع البيان عن تأويل آي القرآن , ج ١ , ص ٢٤٩ .
- 2 . ابن عطية , المحرر الوجيز , ج ١ , ص ١٣٣ . القرطبي , الجامع لأحكام القرآن , ج ١ , ص ٣٣١ .
- 3 . تفسير البغوي , ج ١ , ص ٦٦ .
- 4 . الطبري , جامع البيان عن تأويل آي القرآن , ج ١٠ , ص ٢٤ . وكذلك : الرازي , تفسير القرآن (تفسير ابن أبي حاتم) , ج ٥ , ص ١٧١٨ . وكذلك : القرطبي , الجامع لأحكام القرآن , ج ٨ , ص ٢٩ .

ورد في قوله تعالى : ﴿وَإِنَّ مِنْكُمْ لَمَنْ لِيُبْتَئَنَّ فَإِنْ أَصَابَتْكُمْ مُصِيبَةٌ قَالُوا قَدْ أَنْعَمَ اللَّهُ عَلَيْنَا وَإِنْ لَمْ أَكُنْ مَعَهُمْ شَهِيدًا﴾. [النساء/٧٢] فالنعمة التي يجدها المنافق هي سلامته بغيبته عن

المسلمين إن تعرضوا لشدة في أثناء القتال , قال الكلبي : " الخطاب للمؤمنين , والمراد بمن المنافقين , وعبر عنهم بمنكم إذ هم يزعمون أنهم من المؤمنين ... والمعنى أن المنافق تسره غيبته عن المؤمنين إذا هزموا , وشهدا معناه حاضرا معهم " (١) .

د . الإِنْعَامُ بِالصَّحَّةِ وَالْعَافِيَةِ وَالرِّزْقِ :

ورد ذلك في قوله تعالى : ﴿وَإِذَا أَنْعَمْنَا عَلَى الْإِنْسَانِ أَعْرَضَ وَنَأَى بِجَانِبِهِ وَإِذَا مَسَّهُ

الشَّرُّ كَانَ يَتُوسَّأُ﴾ . [الإسراء/٨٣] أي "أنعم على الإنسان بالصحة والعافية والرزق" (٢) . وقال البيضاوي: "بالصحة والسعة" (٣) . وقد ورد مثل ذلك في سورة (فصلت) (٤) .

هـ . الإِنْعَامُ بِالْهُدَايَةِ إِلَى الْإِسْلَامِ :

ورد ذلك في قوله تعالى: ﴿صِرَاطَ الَّذِينَ أَنْعَمْتَ عَلَيْهِمْ﴾ . [الفاتحة/٧] و" المراد منه

نعمة الدين" (٥) , أي: "أنعمت عليهم بطاعتك وعبادتك" (٦) , ذلك أن " نعمة الإسلام عنوان النعم كلها فمن فاز بها فقد حازها بحذافيرها" (٧) . وفي قوله تعالى : ﴿وَإِذْ تَقُولُ لِلَّذِي أَنْعَمَ اللَّهُ عَلَيْهِ﴾ . [الأحزاب/٣٧] أي : " أنعم الله عليه بالإسلام " (٨) . وفي قوله تعالى : ﴿وَوَصَّيْنَا الْإِنْسَانَ بِوَالِدَيْهِ إِحْسَانًا حَمَلَتْهُ أُمُّهُ كُرْهًا وَوَضَعَتْهُ كُرْهًا وَحَمَلُهُ وَفِصَالُهُ ثَلَاثُونَ شَهْرًا حَتَّىٰ إِذَا بَلَغَ أَشُدَّهُ

1 . الكلبي , التسهيل لعلوم التنزيل , ج ١ , ص ١٤٨ .

2 . الشنقيطي , أضواء البيان في إيضاح القرآن بالقرآن , ج ٣ , ص ١٨٢ .

3 . تفسير البيضاوي , ج ٣ , ص ٤٦٤ .

4 . ورد في فصلت/ ٥١

5 . فخر الدين الرازي , التفسير الكبير , ج ١ , ص ٢٠٩ .

6 . الطبري , جامع البيان عن تأويل آي القرآن , ج ١ , ص ٧٦ .

7 . أبو السعود , إرشاد العقل السليم إلى مزايا القرآن الكريم , ج ١ , ص ١٨ .

8 . الجوزي , زاد المسير , ج ٦ , ص ٣٨٧ .

وَبَلَغَ أَرْبَعِينَ سَنَةً قَالَ رَبِّ أَوْزِعْنِي أَنْ أَشْكُرَ نِعْمَتَكَ الَّتِي أَنْعَمْتَ عَلَيَّ وَعَلَىٰ وَالِدَيَّ ﴿١﴾ .
[الأحقاف/١٥] " أي نعمة الدين " (١) .

و . الإِنْعَامُ بِالنَّبِوَةِ :

ورد ذلك في قوله تعالى: ﴿أُولَئِكَ الَّذِينَ أَنْعَمَ اللَّهُ عَلَيْهِمْ مِنَ النَّبِيِّينَ﴾ . [مريم/٥٨]
"أي بالنبوة وغيرها مما تقدم وصفه " (٢) . وفي قوله تعالى حكاية عن سيدنا سليمان : ﴿فَتَبَسَّمْ
ضَاحِكًا مِنْ قَوْلِهَا وَقَالَ رَبِّ أَوْزِعْنِي أَنْ أَشْكُرَ نِعْمَتَكَ الَّتِي أَنْعَمْتَ عَلَيَّ وَعَلَىٰ وَالِدَيَّ﴾ .
[النمل/١٩] أي : "من النبوة والملك والعلم" (٣) . وورد في قوله تعالى : ﴿إِنَّ هُوَ إِلَّا عَبْدٌ
أَنْعَمْنَا عَلَيْهِ وَجَعَلْنَاهُ مِثْلًا لِبَنِي إِسْرَائِيلَ﴾ . [الزخرف/٥٩] والمقصود سيدنا عيسى عليه السلام,
أي " أنعمنا عليه بالنبوة " (٤) , وقال القرطبي: "أي ما عيسى إلا عبدٌ أنعم الله عليه بالنبوة" (٥) .
ز . الإِنْعَامُ بِالمَغْفِرَةِ :

ورد في قوله تعالى حكاية عن سيدنا موسى : ﴿قَالَ رَبِّ بِمَا أَنْعَمْتَ عَلَيَّ فَلَنْ أَكُونَ
ظَهِيرًا لِلْمُجْرِمِينَ﴾ . [القصص/١٧] أي " مننت علي بالمغفرة " (٦) , قال النسفي: "تقديره أقسم
بانعامك علي بالمغفرة لأتوبن فلن أكون ظهيرا للمجرمين" (٧) , وقال البيضاوي: "أي اقسم بانعامك
علي بالمغفرة وغيرها لأتوبن" (٨) .

ح . الإِنْعَامُ بِرَفْعِ الدَّرَجَاتِ بِسَبَبِ الطَّاعَةِ :

- 1 . أبو السعود , إرشاد العقل السليم إلى مزايا القرآن الكريم , ج ٨ , ص ٨٣ .
- 2 . فخر الدين الرازي , التفسير الكبير , ج ٢١ , ص ٢٠٠ .
- 3 . النسفي , تفسير النسفي , ج ٣ , ص ٢٠٨ .
- 4 . المرجع نفسه , ج ٤ , ص ١١٨ .
- 5 . القرطبي , الجامع لأحكام القرآن , ج ١٦ , ص ١٠٤ .
- 6 . السمعاني , تفسير القرآن , ج ٤ , ص ١٢٨ .
- 7 . تفسير النسفي , ج ٣ , ص ٢٣٠ .
- 8 . تفسير البيضاوي , ج ٤ , ص ٢٨٧ .

وذلك في قوله تعالى: ﴿وَمَنْ يُطِعِ اللَّهَ وَالرَّسُولَ فَأُولَئِكَ مَعَ الَّذِينَ أَنْعَمَ اللَّهُ عَلَيْهِمْ مِنَ النَّبِيِّينَ وَالصِّدِّيقِينَ وَالشُّهَدَاءِ وَالصَّالِحِينَ وَحَسُنَ أُولَئِكَ رَفِيقًا﴾. [النساء/٦٩] وتفسيرها " أن كل من أطاع الله وأطاع الرسول فقد فاز بالدرجات العالية والمراتب الشريفة عند الله تعالى" (١).

ط . الإِنْعَامُ بِالثَّبُوتِ عَلَى الْحَقِّ :

ورد في قوله تعالى : ﴿قَالَ رَبُّنَا مِنَ الَّذِينَ يَخَافُونَ أَنْعَمَ اللَّهُ عَلَيْهِمَا ادْخُلُوا عَلَيْهِمُ الْبَابَ فَإِذَا دَخَلْتُمُوهُ فَإِنَّكُمْ غَالِبُونَ﴾. [المائدة/٢٣] أي " أنعم عليهما بالصبر والثبوت لصدق إيمانهما " (٢) .

ي . الإِنْعَامُ بِالْعِتْقِ :

وهو ما أنعم به سيدنا محمد صلى الله عليه وسلم على زيد بن حارثة عندما أعتقه , قال تعالى: ﴿وَإِذْ تَقُولُ لِلَّذِي أَنْعَمَ اللَّهُ عَلَيْهِ وَأَنْعَمْتَ عَلَيْهِ أَمْسِكْ عَلَيْكَ زَوْجَكَ﴾. [الأحزاب/٣٧] أي : " أنعم الله عليه بالإسلام وأنعمت عليه بالعتق " (٣) . فهذه النعمة وصلت في ظاهرها من النبي عليه الصلاة والسلام , وهي في الحقيقة من الله تعالى , " فهو إسناد مجازي ظاهري وليس حقيقيا , فالله تعالى هو الذي قدر لزيد بن حارثة أن يُعتق , وهو الذي ألهم الرسول عليه السلام أن يعتقه" (٤) .

(وُفَى , وَأَوْفَى)

- 1 . فخر الدين الرازي , التفسير الكبير , ج ١٠ , ص ١٣٦ .
- 2 . الكلبي , التسهيل لعلوم التنزيل , ج ١ , ص ١٧٣ .
- 3 . الجوزي , زاد المسير , ج ٦ , ص ٣٨٧ .
- 4 . صلاح الخالدي , لطائف قرآنية , ص ١٧٢ .

" الواو والفاء والحرف المعتل : كلمة تدل على إكمال وإتمام , منه الوفاء : إتمام العهد وإكمال الشرط"^(١) . و" الوفاء : ضد الغدر ، يقال : وفى بعهده وأوفى... ومن قال وفى فإنه يقول تمّ كقولك وفى لنا فلانٌ أي تمّ لنا قوله ولم يغر، وفى هذا الطعام قفيزاً... ومن قال أوفى فمعناه أوفاني حقه أي أتمّه ولم ينقص منه شيئاً ، وكذلك أوفى الكيل أي أتمّه ولم ينقص منه شيئاً... ويقال: وفى بالشيء وأوفى ووفى بمعنى واحد"^(٢) . و"الوفاء ملازمة طريق المؤاساة ومحافظة عهود الخُطاء " ^(٣) .

ورد كلٌّ من الفعلين (وفى , وأوفى) ثمان عشرة مرة في القرآن الكريم , وقد أشار الفعلان إلى معنى الإتمام الذي أشار إليه المعجميون , فورد الفعل المشدّد الدال على قوة المعنى للدلالة على الإيفاء على وجه الكمال الذي هو في الغالب من الله سبحانه وتعالى , وجاء الفعل (أوفى) للدلالة على إيفاء العبد لما طُلبَ منه بحسب الشرع إلا في موضع وحيد لكلّ منهما , دلّ فيه الفعل (وفى) على إيفاء العبد لما طُلبَ منه , ودلّ فيه الفعل (أوفى) على إيفاء الجزاء من الله تعالى , وكان ذلك بما يتناسب مع معاني الآيات الكريمة , وتوضيح ذلك على النحو الآتي :

(وفى) :

ورد الفعل (وفى) ثمان عشرة مرة في القرآن الكريم , دلّ في سبع عشرة منها على إيفاء الجزاء من الله تعالى , ودلّ في موضع وحيد على إيفاء العبد لما طُلبَ منه من الله تعالى. فتناسب الفعل المشدّد الدال على قوة المعنى مع معاني الإيفاء عندما يكون الموفي هو الله تعالى. قال ابن جني : "جعلوا الألفاظ دليلاً المعاني , فأقوى اللفظ ينبغي أن يقابل به قوّة الفعل " ^(٤) ,

1 . ابن فارس , مقاييس اللغة , مادة (وفى) , ج ٦ , ص ١٢٩ .

2 . ابن منظور , لسان العرب , مادة (وفى) , ج ١٥ , ص ٣٩٩ .

3 . الزبيدي , تاج العروس , مادة (وفى) , ج ٤٠ , ص ٢١٩ .

4 . ابن جني , الخصائص , ج ٢ , ص ١٥٥ .

وقد " عنى بذاك أن التضعيف في العين يقوي الحدث معنويا ، ويزيد في انفعاله ، ويعطي للصيغة حركة مخصصة ضمن السياق اللغوي " (١) . لذلك جاء تضعيف العين للدلالة على قوة معنى الإيفاء ، ولاسيما أنّ الموفّي هو الله تعالى . فورد الإيفاء للأجر ، وورد الإيفاء للعمل ، وورد الإيفاء للكسب ، وورد الإيفاء للحساب ، وورد الإيفاء للدين ، وورد الإيفاء للتبليغ وكان الموفّي هو نبيّ الله إبراهيم عليه السلام . فأفاد الفعل (وَفَى) الإيفاء على وجه الكمال من خلال الدلالات الآتية :

أ . إيفاء الأجر يوم القيامة :

ورد الفعل (وَفَى) للدلالة على ذلك سبع مرّات في القرآن الكريم ، فجاء إيفاء الأجر على وجه الكمال يوم القيامة تبشيرا للمؤمنين الذي يحتسبون أعمالهم عند الله تعالى بزيادة الأجر منه تعالى ، وفي ذلك تحفيز للمؤمنين بزيادة اجتهادهم في الدنيا للوصول إلى أعلى المراتب في الجنة بعد دخولها برحمة الله . قال ابن عطية : " توفية الأجور هي قسم المنازل في الجنة فذلك هو بحسب الأعمال ، وأمّا نفس دخول الجنة فبرحمة الله وبفضله " (٢) .

أمّا ورود الفعل (وَفَى) للدلالة على ذلك ففي قوله تعالى: ﴿إِنَّ الَّذِينَ يَتْلُونَ كِتَابَ اللَّهِ وَأَقَامُوا الصَّلَاةَ وَأَنفَقُوا مِمَّا رَزَقْنَاهُمْ سِرًّا وَعَلَانِيَةً يَرْجُونَ تِجَارَةً لَّن تَبُورَ، لِيُوفِّيَهُمْ أُجُورَهُمْ وَيَزِيدَهُم مِّن فَضْلِهِ إِنَّهُ غَفُورٌ شَكُورٌ﴾ . [فاطر/٣٠، ٢٩] أي : "ليوفّيهم أجور أعمالهم" (٣) ، وقوله: ويزيدهم من فضله. هو تضعيف الحسنات، قال بعضهم: هو الشفاعة لمن أحسن إليهم، فعلى هذا يشفع الفقير للغني الذي تصدق عليه" (٤) . وفي قوله تعالى: ﴿إِنَّمَا يُوفِّي الصَّابِرُونَ أَجْرَهُمْ بِغَيْرِ

1 . أحلام ماهر ، صيغة فعل في القرآن الكريم ، ص ٤٢ .

2 . ابن عطية ، المحرر الوجيز ، ج ١ ، ص ٤٤٥ .

3 . أبو السعود ، إرشاد العقل السليم إلى مزايا القرآن الكريم ، ج ٧ ص ١٥٢ .

4 . السمعاني ، تفسير القرآن ، ج ٤ ، ص ٣٥٧ .

حَسَابٍ ﴿[الزمر/١٠] " أي بغير تقدير , وقيل: يزداد على الثواب لأنه لو أعطي بقدر ما عمل
 لكان بحساب , وقيل : بغير حساب أي بغير متابعة ولا مطالبة كما تقع المطالبة بنعيم الدنيا" (١).
 وفي قوله تعالى : ﴿فَأَمَّا الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ فَيُوَفِّيهِمْ أُجُورَهُمْ وَيَزِيدُهُمْ مِنْ فَضْلِهِ﴾.
 [النساء/١٧٣] أي : "من غير أن يفوتهم منها شيء" (٢) , و"أجورهم أن يدخلهم الجنة" (٣). وفي
 قوله تعالى : ﴿وَأَمَّا الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ فَيُوَفِّيهِمْ أُجُورَهُمْ وَاللَّهُ لَا يُحِبُّ الظَّالِمِينَ﴾.
 [آل عمران/٥٧] أي : "يعطيهم ثواب عملهم" (٤) . وفي قوله تعالى : ﴿وَمَا تَنْفَقُوا مِنْ
 خَيْرٍ يُؤَفِّ إِلَيْكُمْ وَأَنْتُمْ لَا تُظْلَمُونَ﴾. [البقرة/٢٧٢] "أي أجره وثوابه أضعافا مضاعفة" (٥). وفي
 قوله تعالى : ﴿وَمَا تَنْفَقُوا مِنْ شَيْءٍ فِي سَبِيلِ اللَّهِ يُؤَفِّ إِلَيْكُمْ وَأَنْتُمْ لَا تُظْلَمُونَ﴾ [الأنفال/٦٠] أي
 "يؤف إليكم في الآخرة , الحسنه بعشر أمثالها إلى سبعمائة ضعف إلى أضعاف كثيرة" (٦). وفي
 قوله تعالى : ﴿كُلُّ نَفْسٍ ذَائِقَةُ الْمَوْتِ وَإِنَّمَا تُوَفَّقُونَ أُجُورَكُمْ يَوْمَ الْقِيَامَةِ﴾. [آل عمران/١٨٥]
 "أي تعطون ثواب أعمالكم على الكمال يوم القيامة" (٧) . قال الفخر الرازي : "بين تعالى أن تمام
 الأجر والثواب لا يصل إلى المكلف إلا يوم القيامة ، لأن كل منفعة تصل إلى المكلف في الدنيا
 فهي مكدره بالغموم والهموم وبخوف الانقطاع والزوال ، والأجر التام والثواب الكامل إنما يصل
 إلى المكلف يوم القيامة" (٨) .

ب . إيفاء العمل يوم القيامة :

- 1 . القرطبي , الجامع لأحكام القرآن , ج١٥ , ص٢٤١ .
- 2 . الشوكاني , فتح القدير , ج١ , ص٥٤٢ .
- 3 . الرازي , تفسير القرآن (تفسير ابن أبي حاتم) , ج٤ , ص١١٢٤ .
- 4 . السمرقندي , بحر العلوم , ج١ , ص٢٤٤ .
- 5 . أبو السعود , إرشاد العقل السليم إلى مزايا القرآن الكريم , ج١ , ص٢٦٤ .
- 6 . القرطبي , الجامع لأحكام القرآن , ج٨ , ص٣٨ .
- 7 . تفسير النسفي , ج١ , ص١٩٦ .
- 8 . فخر الدين الرازي , التفسير الكبير , ج٩ , ص١٠٢ .

ورد الفعل (وفى) للدلالة على إيفاء جزاء العمل يوم القيامة أربع مرّات, فجاء إيفاء جزاء العمل على وجه الكمال تبشيرا بالثواب لمن آمن وعمل صالحا , وتخويفا من العذاب لمن عمل سوءا .

أما ورود الفعل (وفى) للدلالة على ذلك ففي قوله تعالى: ﴿وَإِنَّ كُلَّ لَمَّا لِيُوفِّيَهُمْ رَبُّكَ أَعْمَالَهُمْ﴾. [هود/١١١] أي : " يوفيهم جزاء أعمالهم في الآخرة ، فجمعت الآية الوعد والوعيد, فإن توفية جزاء الطاعات وعد عظيم وتوفية جزاء المعاصي وعيد عظيم" (١) . وقيل لَمَّا مصدر لمّ وجاءت بغير تنوين حملا للوصل على الوقف فهي على هذا كقوله : وتاكلون التراث أكلا لَمَّا . أي جامعا للمال المأكول , فالتقدير على هذا : وإن كَلَّا ليوفينهم ربك أعمالهم توفية لَمَّا أي جامعة لأعمالهم جمعا" (٢) . وفي قوله تعالى: ﴿وَلِكُلِّ دَرَجَاتٍ مِمَّا عَمِلُوا وَلِيُوفِّيَهُمْ أَعْمَالَهُمْ وَهُمْ لَا يُظْلَمُونَ﴾. [الأحقاف/١٩] قال الطبري: "المحسن منهم بإحسانه ما وعد الله من الكرامة , والمسيء منهم بإساءته ما أعدّه من الجزاء... فلا يجازي المسيء منهم إلا عقوبة على ذنبه... ولا يبخس المحسن منهم ثواب إحسانه" (٣) . وفي قوله تعالى: ﴿وَوُفِّيَتْ كُلُّ نَفْسٍ مَّا عَمِلَتْ وَهُوَ أَعْلَمُ بِمَا يَفْعَلُونَ﴾. [الزمر/٧٠] "معناه جوزيت كمالا" (٤) . وفي قوله تعالى : ﴿يَوْمَ تَأْتِي كُلُّ نَفْسٍ تُجَادِلُ عَن نَّفْسِهَا وَتُوَفَّى كُلُّ نَفْسٍ مَّا عَمِلَتْ وَهُمْ لَا يُظْلَمُونَ﴾. [النحل/١١١] أي : "توفى كل نفس جزاء ما عملت من غير بخس ولا نقصان" (٥) .

ج . إيفاء الكسب يوم القيامة :

- 1 . فخر الدين الرازي , التفسير الكبير , ج١٨ , ص٥٦ .
- 2 . القرطبي , الجامع لأحكام القرآن , ج٩ , ص١٠٥ .
- 3 . الطبري , جامع البيان , ج٢٦ , ص٢٠ .
- 4 . ابن عطية , المحرر الوجيز , ج٤ , ص٥٤٢ .
- 5 . فخر الدين الرازي , التفسير الكبير , ج٢٠ , ص١٠١ - ١٠٢ .

ورد الفعل (وَفَى) للدلالة على إيفاء جزاء الكسب ثلاث مرّات , فجاء إيفاء جزاء الكسب على وجه الكمال يوم القيامة بيانا لحقيقة الكسب في الدنيا , فحقيقة الكسب ليست في كسب المال أو الجاه أو غيره , وإنما في كسب الحسنات يوم القيامة من خلال العمل الصالح .

أما ورود العفل (وَفَى) للدلالة على ذلك ففي قوله تعالى : ﴿وَاتَّقُوا يَوْمًا تُرْجَعُونَ فِيهِ إِلَى اللَّهِ ثُمَّ تُوَفَّى كُلُّ نَفْسٍ مَّا كَسَبَتْ وَهُمْ لَا يُظْلَمُونَ﴾. [البقرة/٢٨١] "أي جزاء ما عملت من خير أو شر" (١) . " وفي هذه الآية نص على أن الثواب والعقاب متعلق بكسب الإنسان" (٢) . وقوله تعالى: ﴿فَكَيْفَ إِذَا جَمَعْنَاهُمْ لِيَوْمٍ لَا رَيْبَ فِيهِ وَوُفِّيَتْ كُلُّ نَفْسٍ مَّا كَسَبَتْ وَهُمْ لَا يُظْلَمُونَ﴾ [آل عمران/٢٥] أي " ما عملت من خير أو شر" (٣) . قال السعدي : "ذلك اليوم يوم توفية النفوس ما كسبت ومجازاتها بالعدل لا بالظلم ، وقد علم أن ذلك على قدر الأعمال" (٤) . وفي وقوله تعالى : ﴿وَمَا كَانَ لِنَبِيِّ أَنْ يَغُلَّ وَمَنْ يَغُلَّ يَأْتِ بِمَا غَلَّ يَوْمَ الْقِيَامَةِ ثُمَّ تُوَفَّى كُلُّ نَفْسٍ مَّا كَسَبَتْ وَهُمْ لَا يُظْلَمُونَ﴾ [آل عمران/١٦١] " أي تعطى كل نفس مكلفة جزاء ما عملت من خير أو شر تاما وافيًا " (٥) . " وهذه الآية تعم كل من كسب خيرا أو شرا" (٦) .

د . إيفاء الحساب يوم القيامة :

ورد الفعل (وَفَى) للدلالة على إيفاء الحساب مرّة وحيدة في القرآن الكريم , فجاء إيفاء الحساب للدلالة على إيفاء الكافر عذابه , قال تعالى: ﴿وَالَّذِينَ كَفَرُوا أَعْمَالُهُمْ كَسْرَابٍ بِقْبَعَةٍ

1 . الشوكاني , فتح القدير , ج ١ , ص ٢٩٨ .

2 . ابن عطية , المحرر الوجيز , ج ١ , ص ٣٧٨ .

3 . السيوطي , الدر المنثور , ج ٢ , ص ١٧١ .

4 . السعدي , تيسير الكريم الرحمن في تفسير كلام المنان , ج ١ , ص ١٢٦ .

5 . الألوسي , روح المعاني , ج ٤ , ص ١١١ .

6 . الشوكاني , فتح القدير , ج ١ , ص ٣٩٤ .

يَحْسِبُهُ الظَّمَانُ مَاءً حَتَّى إِذَا جَاءَهُ لَمْ يَجِدْهُ شَيْئًا وَوَجَدَ اللَّهَ عِنْدَهُ فَوَفَّاهُ حِسَابَهُ وَاللَّهُ سَرِيعُ الْحِسَابِ ﴿٣٩﴾ [النور/٣٩] قال الفخر الرازي : " أي وجد عقاب الله الذي توعد به الكافر " (١) .
وقال السمعاني: "ومعناه أنه لقي الله في الآخرة . (فوفاه حسابه) أي:جزاء عمله" (٢) . "وهذا في الظاهر خبر عن الظمان والمراد به الخبر عن الكافر " (٣) .

هـ . إيفاء الدين يوم القيامة :

ورد الفعل (وفى) للدلالة على ذلك مرة وحيدة , قال تعالى : ﴿يَوْمَئِذٍ يُوفِّيهِمُ اللَّهُ دِينَهُمُ الْحَقَّ وَيَعْلَمُونَ أَنَّ اللَّهَ هُوَ الْحَقُّ الْمُبِينُ﴾ [النور/٢٥،٢٤] و"الدين في هذه الآية الجزاء" (٤) . "أي حسابهم وجزاءهم" (٥) . قال الفخر الرازي: "الدين بمعنى الجزاء مستعمل كقولهم كما تدين تدان" (٦) . وقال الألويسي: "التوفية إعطاء الشيء وافيا، والدين هنا الجزاء ومنه كما تدين تدان... أي يوم تشهد عليهم أعضاؤهم المذكورة بأعمالهم القبيحة يعطيهم الله تعالى جزاءهم المطابق لمقتضى الحكمة وافيا تماما" (٧) .

لقد تناسب إيراد الإيفاء للدين في هذا الموضع مع معنى الآية , فقد نزلت هذه الآية فيمن قذفوا عائشة رضي الله عنها , قال تعالى: ﴿إِنَّ الَّذِينَ يَرْمُونَ الْمُحْصَنَاتِ الْغَافِلَاتِ الْمُؤْمِنَاتِ لُعُنُوا فِي الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ وَلَهُمْ عَذَابٌ عَظِيمٌ، يَوْمَ تَشْهَدُ عَلَيْهِمْ أَلْسِنَتُهُمْ وَأَيْدِيهِمْ وَأَرْجُلُهُمْ بِمَا كَانُوا يَعْمَلُونَ , يَوْمَئِذٍ يُوفِّيهِمُ اللَّهُ دِينَهُمُ الْحَقَّ وَيَعْلَمُونَ أَنَّ اللَّهَ هُوَ الْحَقُّ الْمُبِينُ﴾ [النور/٢٣-٢٥] "فهذا الوعيد

- 1 . فخر الدين الرازي , التفسير الكبير , ج٢٤ , ص ٨ .
- 2 . السمعاني , تفسير القرآن , ج ٣ , ص ٥٣٦ .
- 3 . الجوزي , زاد المسير في علم التفسير , ج ٦ , ص ٤٩ .
- 4 . ابن عطية , المحرر الوجيز , ج ٤ , ص ١٧٤ .
- 5 . القرطبي , الجامع لأحكام القرآن , ج ١٢ , ص ٢١٠ .
- 6 . فخر الدين الرازي , التفسير الكبير , ج ٢٣ , ص ١٦٩ .
- 7 . الألويسي , روح المعاني , ج ١٨ , ص ١٣٠ .

للقاذفين لعائشة" (١) . "وقيل : نزلت في عائشة إلا أنه يراد بها كل من اتصف بهذه الصفة" (٢) .
 وإيراد الدين بمعنى الجزاء — الذي هو مستعمل كقولهم كما تدين تُدان — في هذا الموضع
 يتناسب مع المعنى ، فجاء التعبير عن الجزاء بالدين للدلالة على إدانة قاذفي المحصنات يوم
 القيامة ، فظلمهم للمؤمنات العفيفات ديناً في أعناقهم يُدانون به يوم القيامة . فيُجازون جزاءً وافياً
 بسبب ظلمهم وقذفهم ، وتدينهم أعضاؤهم التي كانوا يستعملونها للظلم ، فتصبح شاهداً عليهم .

و . إيفاء العمل في الدنيا :

وهذا الإيفاء متعلق بأفعال الكفار في الدنيا ، فإن عملوا خيراً فإن الله يوفهم أجره في
 الدنيا كاملاً ، قال تعالى: ﴿مَنْ كَانَ يُرِيدُ الْحَيَاةَ الدُّنْيَا وَزِينَتَهَا نُوَفِّ إِلَيْهِمْ أَعْمَالَهُمْ فِيهَا وَهُمْ فِيهَا لَا
 يُنْخَسِرُونَ﴾ . [هود/١٥] قال الواحدي: "من أتى من الكافرين فعلاً حسناً من إطعام جائع وكسوة
 عار ونصرة مظلوم من المسلمين ، عجل له ثواب ذلك في دنياه بالزيادة في ماله" (٣) . وقال الفخر
 الرازي: "المراد من توفية أجور تلك الأعمال هو أن كل ما يستحقون بها من الثواب فإنه يصل
 إليهم حال كونهم في دار الدنيا ، فإذا خرجوا من الدنيا لم يبقَ معهم من تلك الأعمال أثر من آثار
 الخيرات ، بل ليس لهم منها إلا النار" (٤) .

ز . إيفاء تبليغ الدين :

ورد الفعل (وفى) للدلالة على إيفاء تبليغ الدين مرةً وحيدة في القرآن الكريم ، قال
 تعالى: ﴿أَمْ لَمْ يُنَبِّأْ بِمَا فِي صُحُفِ مُوسَى ، وَإِبْرَاهِيمَ الَّذِي وَفَّى ، أَلَا تَزِرُ وَازِرَةٌ وِزْرَ أُخْرَى﴾ .
 [النجم/٣٦-٣٨] والمعنى : "وفى وأتم ما التزمه وأمر به ، أو بالغ في الوفاء بما عاهد الله ،

- 1 . الكلبى ، التسهيل لعلوم التنزيل ، ج ٣ ، ص ٦٣ .
- 2 . القرطبي ، الجامع لأحكام القرآن ، ج ١٢ ، ص ٢٠٩ .
- 3 . الواحدي ، الوجيز في تفسير الكتاب العزيز ، ج ١ ، ص ٥١٥ .
- 4 . فخر الدين الرازي ، التفسير الكبير ، ج ١٧ ، ص ١٦٠ .

وتخصيصه بذلك لاحتماله ما لم يحتمله غيره كالصبر على نار نمرود , حتى أتاه جبريل عليه السلام حين ألقى في النار فقال ألك حاجة فقال أمّا إليك فلا , وذبح الولد , وأنه كان يمشي كل يوم فرسخا يرتاد ضيفا فإن وافقه أكرمه وإلا نوى الصوم , وتقديم موسى عليه الصلاة والسلام لأن صحفه وهي التوراة كانت أشهر وأكبر عندهم " (١) , فجاء الفعل مشددا للدلالة على إيفاء سيدنا إبراهيم ما طلب منه على أتم وجه , " قال الزجاج قوله وفى أبلغ من وفى لأن الذي امتحن به من أعظم المحن " (٢) .

بعد تتبع الآيات التي ورد فيها الفعل (وفى) , يلاحظ أنه دلّ على الإيفاء على وجه الكمال , فورد الإيفاء سبع عشرة مرّة من جهة الله تعالى , فإله تعالى هو الموفّى , وبالتالي سيكون وفاؤه على أكمل وجه , بل سيتضمّن الزيادة في الأجر , فيدخل المؤمن الجنّة برحمته لا بعملهم , ويُعاقب المسيئين بذنوبهم المستحقة لا بذنوب غيرهم. وورد الفعل (وفى) مرّة وحيدة من جهة غير الله , وكان في حقّ نبي الله إبراهيم عليه السلام , فجاء الفعل مشددا في هذا الموضع ليبدل على احتمال سيدنا إبراهيم ما لم يحتمله غيره كما وضّح المفسرون .

(أوفى) :

ورد الفعل (أوفى) ثمان عشرة مرّة في القرآن الكريم , فجاء للدلالة على الإيفاء الذي هو من جهة العبد في سبعة عشر موضعا , وجاء للدلالة على الإيفاء الذي هو من الله تعالى في موضع وحيد . أمّا دلالاته على الإيفاء الذي هو من جهة العبد فجاء مخففا من التشديد ليتناسب

1 . تفسير البيضاوي ج ٥ ص ٢٥٩ . وكذلك : إرشاد العقل السليم إلى مزايا القرآن الكريم ، أبو السعود ، ج ٨ ، ص ١٦٣ . وانظر : الألوسي ، روح المعاني ، ج ٢٧ ، ص ٦٥ .
2 . الجوزي ، زاد المسير ، ج ٨ ، ص ٧٩ .

مع إيفاء البشر الذي لا يكون على وجه الكمال وإنما يتفاوت بين الناس ، لذلك فالجنة منازل ومقامات ، والناس يدخلون الجنة — كما سبق — برحمة الله تعالى لا بأعمالهم ، أمّا وفاءهم لما عليهم من الواجبات فلوضعهم في منازل ودرجات داخل الجنة ، وقد ذُكرَ سابقاً قول ابن عطية : توفية الأجور هي قسم المنازل في الجنة فذلك هو بحسب الأعمال ، وأمّا نفس دخول الجنة فبرحمة الله وبفضله . وقد أدى الفعل (أوفى) معناه عندما جاء للدلالة على الإيفاء من جهة العبد من خلال الدلالات الآتية :

أ . إيفاء العهد :

والمقصود من العهد " كل ما عُوهدَ الله عليه ، وكل ما بين العباد من المواثيق"^(١) ، وبناءً عليه يكون العهد هو ما طُلبَ من العبد من أمر أو نهي . أمّا ورود الفعل للدلالة على إيفاء العهد فقوله تعالى: ﴿بَلَى مَنْ أَوْفَى بِعَهْدِهِ وَاتَّقَى فَإِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ الْمُتَّقِينَ﴾. [آل عمران/٧٦] والمقصود "أداء الواجبات والاجتناب عن المناهي"^(٢) ، قال ابن عطية: "تقول العرب وفي بالعهد وأوفى به بمعنى ، وأوفى هي لغة الحجاز"^(٣) . وقوله تعالى: ﴿وَبِعَهْدِ اللَّهِ أَوْفُوا ذَلِكُمْ وَصَّاكُمْ بِهِ لَعَلَّكُمْ تَذَكَّرُونَ﴾. [الأنعام/١٥٢] قال ابن كثير: "بأن تطيعوه فيما أمركم ونهاكم ، وتعملوا بكتابه وسنة رسوله وذلك هو الوفاء بعهد الله"^(٤) . وقوله تعالى: ﴿الَّذِينَ يُوفُونَ بِعَهْدِ اللَّهِ وَلَآ يَنْقُضُونَ الْمِيثَاقَ﴾. [الرعد/٢٠] " أي بجميع عهود الله وهي أوامره ونواهيه التي وصى بها عبده ، ويدخل في هذه الألفاظ التزام جميع الفروض وتجنب جميع المعاصي"^(٥) . وقوله تعالى: ﴿وَأَوْفُوا بِعَهْدِ اللَّهِ إِذَا عَاهَدْتُمْ﴾. [النحل/٩١] " وظاهر الآية أنه شامل لجميع العهود فيما بين

1 . ابن منظور ، لسان العرب ، مادة (عهد) ، ج ٣ ، ص ٣١١ .

2 . أبو السعود ، إرشاد العقل السليم إلى مزايا القرآن الكريم ، ج ٢ ، ص ٥١ .

3 . ابن عطية ، المحرر الوجيز ، ج ١ ، ص ٤٥٩ .

4 . ابن كثير ، تفسير القرآن العظيم ، ج ٢ ، ص ١٩١ .

5 . القرطبي ، الجامع لأحكام القرآن ، ج ٩ ، ص ٣٠٧ .

العبد وربّه ، وفيما بينه وبين الناس " (١) . قال ابن عطية : " وعهد الله لفظ عام لجميع ما يعقد باللسان ويلتزمه الإنسان من بيع أو صلة أو موافقة في أمر موافق للديانة، وبالجملة كل ما كان طاعة بين العاهد وبين ربّه كان فيه نفع للغير أو لم يكن " (٢) . وقوله تعالى: ﴿ وَأَوْفُوا بِالْعَهْدِ إِنَّ الْعَهْدَ كَانَ مَسْئُولًا ﴾ . [الإسراء/٣٤] قال الشوكاني : " كل ما أمر الله به ونهى عنه فهو من العهد ، فيدخل في ذلك ما بين العبد وربّه وما بين العباد بعضهم البعض ، والوفاء بالعهد هو القيام بحفظه على الوجه الشرعي والقانون المرضي " (٣) . وقوله تعالى : ﴿ إِنَّ الَّذِينَ يُبَايِعُونَكَ إِنَّمَا يُبَايِعُونَ اللَّهَ يَدُ اللَّهِ فَوْقَ أَيْدِيهِمْ فَمَنْ نَكَثَ فَإِنَّمَا يَنْكُثُ عَلَى نَفْسِهِ وَمَنْ أَوْفَى بِمَا عَاهَدَ عَلَيْهِ اللَّهُ فَسَيُؤْتِيهِ أَجْرًا عَظِيمًا ﴾ . [الفتح/١٠] أي " الذين يبايعونك بالحديبية يا محمد... ومن أوفى بما عاهد عليه الله : قيل في البيعة وقيل في إيمانه . فسويّته أجرا عظيما يعني في الجنة " (٤) . وقوله تعالى : ﴿ يَا بَنِي إِسْرَائِيلَ اذْكُرُوا نِعْمَتِيَ الَّتِي أَنْعَمْتُ عَلَيْكُمْ وَأَوْفُوا بِعَهْدِي ﴾ . [البقرة/٤٠] قال البيضاوي: " وأوفوا بعهدي : بالإيمان والطاعة " (٥) . وقول جمهور المفسرين أن المراد أوفوا بما أمرتكم به من الطاعات ونهيتكم عنه من المعاصي " (٦) .

وقد ورد الإيفاء بالعهد بلفظ (العقد) في قوله تعالى: ﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا أَوْفُوا بِالْعُقُودِ ﴾ . [المائدة/١] قال ابن كثير: "يعني اليهود ، يعني ما أحل الله وما حرّم وما فرض وما حدّ في القرآن كله" (٧) . وقال النسفي: "الظاهر أنها عقود الله عليهم في دينه من تحليل حلاله وتحريم

1 . الشنقيطي ، أضواء البيان ، ج ٢ ص ٤٣٨

2 . ابن عطية ، المحرر الوجيز، ج ٣ ، ص ٤١٧ .

3 . الشوكاني ، فتح القدير ، ج ٣ ، ص ٢٢٦ . وانظر : القرطبي ، الجامع لأحكام القرآن ، ج ١٠ ، ص ٢٥٦ .

4 . القرطبي ، الجامع لأحكام القرآن ، ج ١٦ ، ص ٢٦٨

5 . تفسير البيضاوي ، ج ١ ، ص ٣٠٨ .

6 . فخر الدين الرازي ، التفسير الكبير ، ج ٣ ، ص ٣٣ .

7 . ابن كثير ، تفسير القرآن العظيم ، ج ٢ ، ص ٤ .

حرامه"^(١)، وقال ابن عطية: "معنى الآية أمر جميع المؤمنين بالوفاء على عقد جارٍ على رسم الشريعة، وفسر الناس لفظ العقود بالعهود"^(٢). "وإنما سمى الله تعالى هذه التكاليف عقوداً كما في هذه الآية لأنه تعالى ربطها بعباده كما يربط الشيء بالشيء بالحبل الموثق. واعلم أنه تعالى تارة يسمي هذه التكاليف عقوداً... وتارة عهوداً"^(٣). فالعقود في هذه الآية بمعنى العهود^(٤).

ب . إيفاء الكيل :

ورد الفعل (أوفى) للدلالة على إيفاء الكيل سبع مرّات ، فجاء الفعل مخففاً ليبدل على إيفاء الكيل بما هو مطلوب ، فالزيادة في الكيل ليست واجبة ، أمّا التطفيف فمحرم ، قال الزمخشري : " الكيل على ثلاثة أضرب : واف ، وطفيف ، وزائد . فأمر بالواجب الذي هو الإيفاء، ونهى عن المحرم الذي هو التطفيف ، ولم يذكر الزائد ، وكأن تركه عن الأمر والنهي: دليل على أنه إن فعله فقد أحسن وإن لم يفعله فلا عليه"^(٥). أمّا ورود الفعل (أوفى) للدلالة على إيفاء الكيل فورد في قوله تعالى: ﴿وَأَوْفُوا الْكَيْلَ إِذَا كِلْتُمْ وَزَنُوا بِالْقِسْطِ الْمُسْتَقِيمِ﴾. [الإسراء/٣٥] " أي أتموه ولا تخسروه"^(٦). وفي قوله تعالى : ﴿وَأَوْفُوا الْكَيْلَ وَالْمِيزَانَ بِالْقِسْطِ﴾. [الأنعام/١٥٢] أي : "أتموه من غير نقص"^(٧).

1 . تفسير النسفي ، ج ١ ، ص ٢٦٦ .

2 . ابن عطية ، المحرر الوجيز ، ج ٢ ، ص ١٤٣ .

3 . فخر الدين الرازي ، التفسير الكبير ، ج ١١ ، ص ٩٧ .

4 . " العَقْدُ : العهد ، والجمع عَقُود ، وهي أوكد العُهُود . " (ابن منظور ، لسان العرب ، مادة : عقد ، ج ٣ ، ص ٢٩٧) . وقال أبو هلال العسكري : " العقد أبلغ من العهد ، تقول : عهدت إلى فلان بكذا أي ألزمته إياه ، وعقدت عليه وعاقدته ألزمته باستيثاق ، وتقول عاهد العبد ربه ولا تقول عاهد العبد ربه إذ لا يجوز أن يقال استوثق من ربه . " (أبو هلال العسكري ، الفروق اللغوية ، ص ٣٦٥) .

5 . الزمخشري ، الكشاف ، ج ٣ ، ص ٣٣٧ .

6 . أبو السعود ، إرشاد العقل السليم إلى مزايا القرآن الكريم ، ج ٥ ، ص ١٧١ .

7 . الواحدي ، الوجيز في تفسير الكتاب العزيز ، ج ١ ، ص ٣٨٢ .

وورد ثلاث مرّات حكاية عن سيدنا شعيب , فورد في قوله تعالى : ﴿ وَيَا قَوْمِ أَوْفُوا
 الْمِكْيَالَ وَالْمِيزَانَ بِالْقِسْطِ وَلَا تَبْخَسُوا النَّاسَ أَشْيَاءَهُمْ وَلَا تَعْتُوا فِي الْأَرْضِ مُفْسِدِينَ ﴾ . [هود/٨٥]
 وفي قوله تعالى : ﴿ أَوْفُوا الْكَيْلَ وَلَا تَكُونُوا مِنَ الْمُخْسِرِينَ ﴾ . [الشعراء/١٨١] وفي قوله تعالى
 : ﴿ فَأَوْفُوا الْكَيْلَ وَالْمِيزَانَ وَلَا تَبْخَسُوا النَّاسَ أَشْيَاءَهُمْ ﴾ . [الأعراف/٨٥] قال الشوكاني : "
 أمرهم بإيفاء الكيل والميزان لأنهم كانوا أهل معاملة بالكيل والوزن , وكانوا لا يوفونهما " (١) .

وورد مرتين في قصة سيدنا يوسف , فورد مرّة في قوله تعالى حكاية عن سيدنا يوسف:
 ﴿وَلَمَّا جَهَّزَهُمْ بِجَهَّازِهِمْ قَالَ أَتُنْتُونِي بِأَخٍ لَكُمْ مِنْ أَبِيكُمْ أَلَا تَرَوْنَ أَنِّي أُوفِي الْكَيْلَ وَأَنَا خَيْرُ
 الْمُنزِلِينَ﴾ . [يوسف/٥٩] "يعني : أتم الكيل ولا أبخسه . وقوله : وأنا خير المنزلين . قال مجاهد
 : أنا خير المضيفين ، وكان قد أحسن ضيافتهم" (٢) . وورد في قوله تعالى حكاية عن إخوة سيدنا
 يوسف: ﴿قَالُوا يَا أَيُّهَا الْعَزِيزُ مَسْنَا وَأَهْلْنَا الضَّرُّ وَجِئْنَا بِبِضَاعَةٍ مُرْجَاةٍ فَأَوْفِ لَنَا الْكَيْلَ وَتَصَدَّقْ
 عَلَيْنَا إِنَّ اللَّهَ يَجْزِي الْمُتَصَدِّقِينَ﴾ . [يوسف/٨٨] " والمعنى أنها بضاعة تُدفع ولا يقبلها كل أحد,
 قال ثعلب:البضاعة المزجاة الناقصة غير التامة" (٣) , وقولهم " فأوف لنا الكيل يريدون كما تبيع
 بالدرهم الجياد لا تنقصنا بمكان دراهمنا , هذا قول أكثر المفسرين" (٤) . وقيل كانت دراهم
 زيوفا, وقيل صوفا وسمنا , وقيل الصنوبر والحبّة الخضراء , وقيل الأقط وسويق المقل . فأوف
 لنا الكيل: فأتّم لنا الكيل . وتصدق علينا: برد أختنا , أو بالمسامحة وقبول المزجاة , أو بالزيادة
 على ما يساويها " (٥) .

ج . إيفاء النذر :

- 1 . الشوكاني , فتح القدير , ج ٢ , ص ٢٢٤ .
- 2 . السمعاني , تفسير القرآن , ج ٣ , ص ٤٤ .
- 3 . القرطبي , الجامع لأحكام القرآن , ج ٩ , ص ٢٥٣ .
- 4 . المرجع نفسه , ج ٩ , ص ٢٥٤ .
- 5 . تفسير البيضاوي , ج ٣ , ص ٣٠٦ .

النذر "هو ما يَنْذُرُه الإنسان فيجعلُه على نفسه نَحْبًا واجِبًا ، وجمعه نُذُورٌ" (١) . وقد ورد الفعل (أوفى) للدلالة على إيفاء النذر مرتين ، فورد في قوله تعالى : ﴿ يُؤْفُونَ بِالنَّذْرِ وَيَخَافُونَ يَوْمًا كَانَ شَرُّهُ مُسْتَطِيرًا ﴾ . [الإنسان/٧] أي : " إذا نذروا في طاعة الله وفوا به " (٢) ، قال الشوكاني: "النذر في الشرع ما أوجبه المكلف على نفسه فالمعنى يوفون بما أجبوه على أنفسهم" (٣) . وورد في قوله تعالى : ﴿ ثُمَّ لِيَقْضُوا تَفَثَهُمْ وَلِيُوفُوا نُدُورَهُمْ وَلِيَطَّوَّفُوا بِالْبَيْتِ الْعَتِيقِ ﴾ . [الحج/٢٩] والمعنى : " قال ابن عباس هو نحر ما نذروا من البدن وقال غيره ما نذروا من أعمال البر في أيام الحج ، فإن الإنسان ربما نذر أن يتصدق إن رزقه الله رؤية الكعبة ، وقد يكون عليه نذور مطلقة فالأفضل أن يؤديها بمكة " (٤) .

أما دلالة الفعل (أوفى) على الإيفاء من جهة الله تعالى فورد - كما سبق - مرة وحيدة، قال تعالى : ﴿ يَا بَنِي إِسْرَائِيلَ اذْكُرُوا نِعْمَتِيَ الَّتِي أَنْعَمْتُ عَلَيْكُمْ وَأَوْفُوا بِعَهْدِي أُوفِ بِعَهْدِكُمْ وَإِيَّايَ فَارْهَبُونِ ﴾ . [البقرة/٤٠] "أي أرضى عنكم وأدخلكم الجنة" (٥) .

يُلاحظ في هذه الآية ورود الفعل على وزن (أفعل) فيما هو إيفاء من جهة الله تعالى ، بينما ورد الفعل (وفى) للتعبير عن هذا المعنى في جميع المواضع الأخر التي سبق الحديث عنها . ولعل دلالة الفعل (أوفى) في هذا الموضع هي أن بني إسرائيل قد علموا نعم الله تعالى الكثيرة التي خصهم بها عبر التاريخ نحو فلق البحر ، وإنجائهم من فرعون باغراقه ، وتظليل الغمام عليهم في التيه، وتفجير عيون الماء من الحجر، وإنزال المن والسلوى ، وإنزال التوراة ، واصطفائه منهم الرسل ، واستنقاذه إياهم مما كانوا فيه من البلاء والضراء إلى التمكين لهم في

1 . ابن منظور ، لسان العرب ، مادة (نذر) ، ج ٥ ، ص ٢٠٠ .

2 . الواحدي ، الوجيز في تفسير الكتاب العزيز ، ج ٢ ، ص ١١٥٨ .

3 . الشوكاني ، فتح القدير ، ج ٥ ، ص ٣٤٧ .

4 . الجوزي ، زاد المسير في علم التفسير ، ج ٥ ، ص ٤٢٧ .

5 . فخر الدين الرازي ، التفسير الكبير ، ج ٣ ، ص ٣٣ .

الأرض، فهي نعم كثيرة لا تُحصى . فجاء الفعل (أوفى) مخففاً منسجماً مع الفعل الذي سبقه في قوله : أوفوا بعهدي ، ليكون التركيز على الإيفاء الذي هو من الفعل (أوفى) ، والذي يختصّ بإيفاء العبد لما طُلبَ منه من عبادات وواجبات . فبنو إسرائيل ليسوا بحاجة إلى بيان عظم ثواب الله تعالى وعطائه لما أنزل عليهم من الدلائل والبراهين الكثيرة ، ولا سيّما البراهين الملموسة التي عاشوها وتعمّوا بها . فحقق جواب الشرط (أوفى) من خلال مجيئه على وزن (أفعل) انسجماً مع فعل الشرط الذي هو أيضاً على وزن (أفعل) من موضعين، الأول: على المستوى الصوتي من خلال انسجام فعل الشرط وجواب الشرط بمجئيهما على الوزن نفسه . والثاني: على المستوى الدلالي ليكون التركيز على الإيفاء الذي دلّ عليه الفعل (أوفى)، والذي اختصّ بإيفاء العبد لما طُلبَ منه ، فبنو إسرائيل لم يوفوا بعهد الله حتّى يومنا هذا .

الخاتمة وأهمّ النتائج

لقد راعى التعبير القرآني دلالات الأبنية بما ينسجم مع معاني الآيات وسياقاتها . وكلمة زاد البحث في الأبنية الصرفية في القرآن الكريم ، زاد التعرّف على إعجازه على مستواه اللغوي . فقد راعى العبارة الأنسب ، وجاء بالوزن الأليق في كلّ موضع ، فليس هنالك ما هو أنسب ولا أليق ممّا ورد في القرآن الكريم ، ولا عجب في ذلك ، فهو كلامٌ من عند الله تعالى أعجز به فصحاء العرب ، فأقرّ الكفار أنفسهم بإعجازه منذ زمن الفصاحة ، فقال الوليد بن المغيرة وهو رأس الكفر : " إن له والله لحلاوة ، وإن عليه لطلاوة ، وإن أعلاه لمثمر ، وإن أسفله لمغدق ، وما هو بقول البشر " (١) .

1 . البغوي ، معالم التنزيل ، ج ٥ ، ص ٣٩ .

بعد البحث في دلالات (أفعل ، وفعل) فيما سبق من الآيات ، يتبين أن الوزنين قد وردا في القرآن الكريم لدلالات عديدة ، منها ما جاء منسجما مع بنية السياق ، ومنها ما جاء منسجما مع قوة الخطاب والموقف في السياق ، ومنها ما جاء منسجما مع المعنى المعجمي الدقيق ، ومنها ما جاء منسجما مع معنى معين ، كانسجام التعبير عن نزول السكينة من خلال الفعل المخفف (أنزل) ، مع معنى السكينة الذي يدل على الطمأنينة والسكون والخفة . ومنها ما جاء لغير ذلك من الدلالات التي سبق الحديث عنها . وفي نهاية الدراسة ، يمكن إيجاز الدلالات العامة لوزني (أفعل ، وفعل) فيما سبق من الأفعال على النحو الآتي :

١. دلّ الفعل (بدل) على تغيير الشيء عن حاله دون إبداله بشيء آخر ، ودلّ الفعل (أبدل) على جعل شيء مكان شيء آخر .

٢. دلّ الفعل (بلغ) على التبليغ في أثناء الدعوة . ودلّ الفعل (أبلغ) على الإبلاغ بعد التولي والإعراض ، وغالبا ما يكون الإبلاغ عن عذاب الله تعالى .

٣. دلّ الفعل (بين) على توضيح الدين وشرحه . ودلّ الفعل (أبان) على القدرة على الإفصاح .

٤. دلّ الفعل (ثبت) على التثبيت الذي هو وسيلة لتحقيق أمر ما ، ودلّ الفعل (أثبت) على أمر ما ليكون نتيجة محققة أو مرجوة .

٥. جاء الفعل (ثوب) في حق الكفار ، وجاء الفعل (أثاب) في حق المسلمين .

٦. جاء الفعل (دلّى) مشددا ليعبر عن التكرار والمواظبة ، وليعبر عن معنى التللية التي هي في موضع الإطماع فيما لا يُجدي نفعاً . وجاء الفعل (أدلى) للدلالة على إرسال الشيء بغية الحصول على فائدة ما ، كالحصول على الماء أو المال .

٧ . جاء الفعل (صلّى) للدلالة على المبالغة , وتصوير شدة تعذيب الأسود بن عبد الأسد , وجاء بالتشديد انسجاما مع إيقاع الآيات . وجاء الفعل (أصلى) للدلالة على إلقاء من يعصي الله في النار .

٨ . جاء الفعل (عجل) للدلالة على استعجال جزاء الشرّ في الغالب , وجاء الفعل (أعجل) للدلالة على استعجال اللقاء بدافع الشوق , وهو ما جاء في حق سيدنا موسى عليه السلام .

٩ . جاء الفعل (عظم) للدلالة على تعظيم شعائر الله , وجاء الفعل (أعظم) للدلالة على إدخال الله تعالى المؤمنين الجنة .

١٠ . جاء الفعل (عمى) بمعنى عدم إدراك ما هو واضح وجليّ , وجاء الفعل (أعمى) بمعنى جعل الكفار كأنهم عمي .

١١ . دلّ الفعل (غشى) على تمكّن شيء من شيء آخر في مواقف خاصة . ودلّ الفعل (أغشى) على التغطية من خلال التعاقب أو الإضلال أو الكآبة .

١٢ . اختصّ الفعل (كبر) بتكبير الله تعالى , أمّا الفعل (أكبر) فدلّ على إكبار ما هو دون الله , اندهاشا منه وإعجابا به .

١٣ . دلّ الفعل (كثّر) على جعل الشيء كثيرا . ودلّ الفعل (أكثر) على الإتيان بالشيء الكثير .

١٤ . دلّ الفعل (كرّم) على معنى التشريف , فكان التكريم درجة عالية يمنحها الله تعالى إلى من كرّمه من خلقه , كتكريم آدم عليه السلام بسجود الملائكة له . ودلّ الفعل (أكرم) على العناية التي يقدمها المُكْرَمُ إلى المُكْرَم , وكثيرا ما تكون هذه العناية من خلال تقديم المال .

١٥ . دلّ الفعل (كره) على جعل الشيء كريها . ودلّ الفعل (أكره) على القهر والإجبار .

١٦. دلّ الفعل (كَفَّلَ) على حضانة زكريا عليه السلام لمريم بنت عمران , ورعايته إياها رعاية شاملة بالغة . ودلّ الفعل (أكفل) على الضمّ والتمليك بشكل عام , بحيث تكون الرعاية من خلال الإنفاق .

١٧. دلّ الفعل (مسك) على التمسك بالدين . وجاء الفعل (أمسك) لعدّة معاني كإمساك الطير في السماء , وإمساك السماء والأرض , وإمساك الأرواح , وإمساك الزوجة , وإمساك الجوارح الصيد , وحبس الشياطين .

١٨. دلّ الفعل (مكّن) على التمكين من خلال ملك , أو سلطان , أو بسطة في الخلق , أو سيادة , أو غير ذلك . ودلّ الفعل (أمكن) على الظفر في أثناء القتال .

١٩. جاء الفعل (مهّل) للدلالة على تمهيل الكفار في الدنيا , وجاء الفعلان (مهّل , وأمهل) مجتمعين لعدّة دلالات : كتغيير البنية لتسكين قلب الرسول صلى الله عليه وسلم , أو للتغاير , فيكون كلّ كلاما مستقلا , أو للتأكيد , أو لغير ذلك .

٢٠. دلّ الفعل (نبأ) على الخبر نفسه , ودلّ الفعل (أنبأ) على شيء آخر خارج تفاصيل الخبر .

٢١. جاء الفعل (نجى) للدلالة على ما هو أهم وأكّد من أنجى على الأغلب .

٢٢. جاء الفعل (نزل) للدلالة على التنجيم , والأهمية , والتكثير , والتريث , وغير ذلك . وجاء الفعل (أنزل) للدلالة على العموم , والدلالة على الإنزال دفعة .

٢٣. دلّ الفعل (نعم) على التنعيم الذي هو ابتلاء من الله تعالى , ودلّ الفعل (أنعم) على النعم المتعددة التي تُعطى للإنسان .

٢٤. جاء الفعل (وصّى) للدلالة على أمور الدّين , وجاء الفعل (أوصى) للدلالة على الأمور المادية .

٢٥ . دلّ الفعل (وَفَى) على الإيفاء على وجه الكمال , والذي هو في الغالب من الله سبحانه وتعالى . ودلّ الفعل (أَوْفَى) على إيفاء العبد لما طُلبَ منه بحسب الشرع .

قائمة المصادر والمراجع

- ١ . ابن أبي حاتم، عبد الرحمن بن محمد الرازي (ت٣٢٧هـ) ، تفسير ابن أبي حاتم، تحقيق أسعد محمد الطيب، ط٢، ١٩٩٩م ، المكتبة العصرية ، بيروت .
- ٢ . ابن جني، أبو الفتح عثمان ابن جني (ت٣٩٢هـ) ، الخصائص ، تحقيق محمد علي النجار ، ط٢، ٢٠٠١م ، عالم الكتب ، بيروت .
- ٣ . ابن الجوزي، عبد الرحمن بن علي (٥٩٧هـ) ، زاد المسير في علم التفسير ، ط٣، ١٤٠٤هـ ، المكتب الإسلامي ، بيروت .
- ٤ . ابن سيده، أبو الحسن علي بن إسماعيل النحوي (ت٤٨٥هـ)، المخصص ، تحقيق خليل إبراهيم جفال ، ط١ ، ١٩٩٦م ، دار إحياء التراث العربي، بيروت.

٥. ابن عاشور، محمد الطاهر بن محمد (ت ١٣٩٣هـ) ، التحرير والتنوير، ط١، ٢٠٠٠م، مؤسسة التاريخ العربي، بيروت .
٦. ابن عطية، أبو محمد عبد الحق بن غالب الأندلسي (ت ٥٤٦هـ)، المحرر الوجيز في تفسير الكتاب العزيز ، تحقيق عبد السلام عبد الشافي محمد ، ط١ ، ١٩٩٣م ، دار الكتب العلمية، لبنان .
٧. ابن عقيل ، بهاء الدين عبد الله بن عقيل الهمداني (ت ٧٦٩هـ) ، شرح ابن عقيل على ألفية ابن مالك ، تحقيق محمد محيي الدين عبد الحميد ، ط٢ ، ١٩٨٥م ، دار الفكر، دمشق.
٨. ابن فارس، أبو الحسين أحمد بن فارس (ت ٣٩٥هـ) ، الصحابي في فقه اللغة، تحقيق عمر فاروق الطباع ، ط١ ، ١٩٩٣م ، بيروت .
٩. ابن فارس، أبو الحسين أحمد بن فارس (ت ٣٩٥هـ) ، مقاييس اللغة ، تحقيق عبد السلام محمد هارون ، ط٢ ، ١٩٩٩م ، دار الجيل ، بيروت .
١٠. ابن القطاع، أبو القاسم علي بن جعفر السعدي (ت ٥١٥هـ) ، الأفعال، ط١ ، ١٩٨٣م، عالم الكتب ، بيروت .
١١. ابن كثير ، أبو الفداء إسماعيل بن عمر (ت ٧٧٤هـ)، قصص الأنبياء ، تحقيق مصطفى عبد الواحد ، ط١ ، ١٩٦٨م ، مطبعة دار التأليف ، (د.م) .
١٢. ابن كثير ، أبو الفداء إسماعيل بن عمر (ت ٧٧٤هـ)، تفسير القرآن العظيم ، ط١، ١٤٠١هـ ، دار الفكر، بيروت .
١٣. ابن ماجه، أبو عبد الله محمد بن يزيد القزويني ، سنن ابن ماجه ، تحقيق بشار عواد معروف، ط١ ، ١٩٨٨م ، دار الجيل ، بيروت .

١٤. ابن منظور ، محمد بن مكرم (ت ٧١١هـ) ، لسان العرب ، ط ١ ، ١٩٦٨م ، دار صادر ، بيروت .
١٥. أبو حيان الأندلسي، محمد بن يوسف (ت ٧٤٥هـ)، البحر المحيط ، تحقيق الشيخ عادل أحمد عبد الموجود وزملائه، ط ١، ٢٠٠١م، دار الكتب العلمية، بيروت.
١٦. أبو السعود، محمد بن محمد العمادي (ت ٩٥١هـ) ، إرشاد العقل السليم إلى مزايا القرآن الكريم، ط ٢ ، ١٩٩٠م ، دار إحياء التراث العربي ، بيروت .
١٧. أبو عودة، عودة خليل، التطور الدلالي بين لغة الشعر ولغة القرآن، ط ١ ، ١٩٨٥م ، مكتبة المنار ، الأردن .
١٨. الأحمدي، موسى بن محمد بن الملياني ، معجم الأفعال المتعدية بحرف ، ط ١ ، ١٩٨٣م ، دار العلم للملايين، بيروت .
١٩. الأزهري، أبو منصور محمد بن أحمد (ت ٣٧٠هـ) ، تهذيب اللغة ، تحقيق محمد عوض مرعب ، ط ١ ، ٢٠٠١م ، دار إحياء التراث العربي ، بيروت .
٢٠. الاسترأبادي، محمد بن الحسن النحوي (ت ٦٨٦ هـ)، شرح شافية ابن الحاجب، تحقيق محمد نور وزملائه ، ط ١ ، ٢٠٠٥م ، دار إحياء التراث العربي ، بيروت .
٢١. أسعد، توفيق، صيغة أفعال ودلالاتها في القرآن الكريم ، ط ١ ، ١٩٩٠م ، منشأة المعارف ، الإسكندرية .
٢٢. الألوسي، محمود بن عبد الله (ت ١٢٧٠هـ) ، روح المعاني ، ط ١ ، ١٩٨٠م ، دار إحياء التراث العربي، بيروت .
٢٣. البخاري، أبو عبد الله محمد بن إسماعيل (ت ٢٥٦) ، صحيح البخاري، تحقيق مصطفى ديب البغا ، ط ٣ ، ١٩٨٧م ، دار ابن كثير، بيروت .

٢٤. البغوي، الحسين بن مسعود (ت ٥١٦ هـ) ، معالم التنزيل ، تحقيق محمد عبد الله النمر وزملائه ، ط٤ ، ١٩٩٧م ، دار طيبة للنشر والتوزيع ، (د.م) .
٢٥. البقاعي، برهان الدين إبراهيم بن عمر (ت ٨٥٥ هـ) ، نظم الدرر في تناسب الآيات والسور، تحقيق عبد الرزاق غالب المهدي ، ط١ ، ١٩٩٥م ، دار الكتب العلمية ، بيروت .
٢٦. البلخي، مقاتل بن سليمان بن بشير (ت ١٥٠ هـ) ، تفسير مقاتل ، تحقيق أحمد فريد، ط١ ، ٢٠٠٣م ، دار الكتب العلمية ، بيروت.
٢٧. البيضاوي، عبد الله بن عمر (ت ٦٩١ هـ) ، أنوار التنزيل ، ط١ ، ١٩٩٦م ، دار الفكر ، بيروت .
٢٨. الترمذي، أبو عيسى محمد بن عيسى (ت ٢٧٩ هـ) ، سنن الترمذي ، تحقيق أحمد محمد شاكر وآخرين ، (د.ط) ، ١٩٨٠م ، دار إحياء التراث العربي ، بيروت.
٢٩. الثوري، سفيان بن سعيد (ت ١٦١ هـ) ، تفسير سفيان الثوري، ط١ ، ١٤٠٣ هـ ، دار الكتب العلمية ، بيروت .
٣٠. الجحيشي، هلال علي محمود، العدول الصرفي في القرآن الكريم ، رسالة دكتوراه ، ٢٠٠٥م ، جامعة الموصل ، العراق .
٣١. الجرجاني، عبد القاهر بن عبد الرحمن (ت ٤٧١ هـ) ، المفتاح في الصرف ، تحقيق علي توفيق الحمد، ط١ ، ١٩٨٧م ، مؤسسة الرسالة ، بيروت .
٣٢. حميد، أحلام ماهر محمد، صيغة فعل في القرآن الكريم — دراسة صرفية دلالية، ط١ ، ٢٠٠٨م ، دار الكتب العلمية ، بيروت.

٣٣. الخازن، علي بن محمد بن إبراهيم (ت ٧٢٥هـ)، **لباب التأويل في معاني التنزيل** ، ط١ ، ١٩٧٩م ، دار الفكر ، بيروت .
٣٤. الخالدي ، صلاح عبد الفتاح ، **مع قصص السابقين في القرآن** ، ط١ ، ١٩٨٨م ، دار القلم ، دمشق .
٣٥. الخالدي ، صلاح عبد الفتاح ، **لطائف قرآنية** ، ط١ ، ١٩٩٢م ، دار القلم ، دمشق .
٣٦. الرازي، محمد بن أبي بكر (ت ٧٢١هـ) ، **مختار الصحاح** ، تحقيق محمود خاطر، (د.ط) ، ١٩٩٥م ، مكتبة لبنان ناشرون ، بيروت .
٣٧. الراغب الأصفهاني، الحسين بن محمد (ت ٥٠٢هـ) ، **المفردات في غريب القرآن** ، تحقيق محمد سيد كيلاني ، (د.ط) ، ١٩٩٠م ، دار المعرفة ، لبنان .
٣٨. رضا، محمد رشيد(ت ١٣٥٤هـ) ، **تفسير المنار**، ط١ ، ١٩٩٠م ، الهيئة المصرية العامة للكتاب، مصر .
٣٩. الزركشي، بدر الدين محمد بن عبد الله (ت ٧٩٤هـ)، **البرهان في علوم القرآن** ، تحقيق محمد أبو الفضل إبراهيم ، ط١ ، ١٩٥٧م ، دار إحياء الكتب العربية ، (د.م) .
٤٠. الزمخشري، أبو القاسم محمود بن عمر (ت ٥٣٨هـ)، **المفصل في صنعة الإعراب** ، تحقيق علي بو ملح، ط١ ، ١٩٩٣م ، مكتبة الهلال، بيروت.
٤١. الزمخشري، أبو القاسم محمود بن عمر (ت ٥٣٨هـ)، **الكشاف عن حقائق التنزيل وعيون الأقاويل في وجوه التأويل** ، تحقيق عبد الرزاق المهدي، (د.ط) ، ١٩٩٧م ، دار إحياء التراث العربي، بيروت .
٤٢. السامرائي، فاضل صالح، **التعبير القرآني** ، ط١ ، ١٩٩٨م ، دار عمار ، عمان .

- ٤٣ . السامرائي، فاضل صالح، **لمسات بيانية في نصوص من التنزيل** ، ط ١ ، ١٩٩٩ م ، دار الشؤون الثقافية العامة ، بغداد .
- ٤٤ . السامرائي، فاضل صالح، **بلاغة الكلمة في التعبير القرآني** ، ط ١ ، ٢٠٠٠ م ، دار الشؤون الثقافية العامة ، بغداد .
- ٤٥ . السعدي، عبد الرحمن بن ناصر (ت ١٣٧٦هـ) ، **تيسير الكريم الرحمن في تفسير كلام المنان**، تحقيق ابن عثيمين ، (د.ط) ، ٢٠٠٠ م ، مؤسسة الرسالة ، بيروت .
- ٤٦ . السمرقندي، نصر بن محمد بن أحمد (ت ٣٦٧ هـ) ، **بحر العلوم** ، تحقيق محمود مطرجي ، (د.ط.ت) ، دار الفكر ، بيروت .
- ٤٧ . السمعاني، أبو المظفر منصور بن محمد (ت ٤٨٩هـ)، **تفسير القرآن** ، تحقيق ياسر بن إبراهيم وزميله ، ط ١ ، ١٩٩٧ م ، دار الوطن ، الرياض .
- ٤٨ . سيبويه، أبو بشر عمرو بن عثمان (ت ١٨٠هـ)، **الكتاب**، تحقيق عبد السلام محمد هارون، ط ١ ، ١٩٩١ م ، دار الجيل، بيروت .
- ٤٩ . السيوطي ، عبد الرحمن بن الكمال (ت ٩١١ هـ) ، **الدر المنثور** ، ط ١ ، ١٩٩٣ م ، دار الفكر ، بيروت .
- ٥٠ . السيوطي ، عبد الرحمن بن الكمال (ت ٩١١ هـ) ، **أسرار ترتيب القرآن** ، تحقيق عبد القادر أحمد عطا ، (د.ط.ت) ، دار الاعتصام ، القاهرة .
- ٥١ . الشنقيطي، محمد الأمين بن محمد بن المختار (ت ١٣٩٣هـ)، **أضواء البيان في إيضاح القرآن بالقرآن** ، تحقيق مكتب البحوث والدراسات ، ط ١ ، ١٩٩٥ م ، دار الفكر للطباعة والنشر، بيروت .

٥٢. الشوكاني، محمد بن علي (ت ١٢٥٠هـ) ، فتح القدير الجامع بين فني الرواية والدراية من علم التفسير ، (د.ط.ت) ، دار الفكر ، بيروت .
٥٣. الطالقاني، أبو القاسم إسماعيل بن عباد (ت ٣٨٥هـ) ، المحيط في اللغة ، تحقيق الشيخ محمد حسن آل ياسين، ط ١ ، ١٩٩٤م ، عالم الكتب ، بيروت .
٥٤. الطبري، محمد بن جرير (ت ٣١٠هـ) ، جامع البيان عن تأويل آي القرآن ، ط ١ ، ١٤٠٥هـ ، دار الفكر، بيروت.
٥٥. العتوم، أيمن علي ، تناوب معاني الأبنية الصرفية في لغة القرآن الكريم ، رسالة دكتوراه ، ٢٠٠٧ م ، الجامعة الأردنية ، عمان .
٥٦. العسكري، أبو هلال الحسن بن عبد الله (ت نحو ٣٩٥هـ) ، معجم الفروق اللغوية ، تنظيم الشيخ بيت الله بيات ومؤسسة النشر الإسلامي ، ط ١ ، ١٩٩٢م ، مؤسسة النشر الإسلامي ، قم .
٥٧. العسكري ، أبو البقاء عبد الله بن الحسين (ت ٦١٦هـ) ، التبيان في إعراب القرآن ، تحقيق علي محمد البجاوي ، (د.ط) ، ١٩٧٦م ، عيسى البابي الحلبي وشركاه للنشر ، القاهرة .
٥٨. الفخر الرازي، محمد بن عمر التميمي (ت ٦٠٤هـ) ، التفسير الكبير ، ط ١ ، ٢٠٠٠م ، دار الكتب العلمية، بيروت .
٥٩. الفراهيدي ، الخليل بن أحمد (ت ١٧٥هـ) ، كتاب العين ، تحقيق مهدي المخزومي وزميله ، (د.ط) ، ١٩٨٠م . دار ومكتبة الهلال ، بيروت .
٦٠. الفيروزآبادي ، محمد بن يعقوب (ت ٨١٧ هـ) ، تنوير المقباس من تفسير ابن عباس ، (د.ط) ، ٢٠٠٠ م ، دار الكتب العلمية ، لبنان.

٦١. الفيومي، أحمد بن محمد بن علي المقرئ الفيومي ، المصباح المنير في غريب الشرح الكبير للرافعي ، ط١ ، ١٩٩٤م ، المكتبة العلمية ، بيروت .
٦٢. القشيري، أبو القاسم عبد الكريم بن هوازن (ت ٤٦٥هـ) ، لطائف الإشارات ، تحقيق عبد اللطيف حسن عبد الرحمن ، ط١ ، ٢٠٠٠م ، دار الكتب العلمية ، بيروت .
٦٣. الكرمانى، محمود بن حمزة بن نصر (ت ٥٠٥هـ) ، أسرار التكرار في القرآن ، تحقيق عبد القادر أحمد عطا ، ط٢ ، ١٣٩٦هـ ، دار الاعتصام ، القاهرة .
٦٤. الكلبي ، محمد بن أحمد بن محمد الغرناطي (ت ٧٤١هـ) ، التسهيل لعلوم التنزيل ، ط٤ ، ١٩٨٣م ، دار الكتاب العربي ، لبنان.
٦٥. الماوردي، أبو الحسن علي بن محمد بن حبيب (ت ٤٥٠هـ) ، النكت والعيون، تحقيق السيد ابن عبد المقصود بن عبد الرحيم ، (د.ط) ، ١٩٩٢م ، دار الكتب العلمية ، بيروت.
٦٦. مجاهد، أبو الحجاج مجاهد بن جبر (ت ١٠٢هـ) ، تفسير مجاهد ، تحقيق عبد الرحمن الطاهر محمد السورتي ، ط٢ ، ١٩٣١م ، دار المنشورات العلمية ، بيروت .
٦٧. مسلم، أبو الحسين مسلم بن الحجاج القشيري (ت ٢٦١هـ) ، صحيح مسلم ، تحقيق محمد فؤاد عبد الباقي ، (د.ط) ، ١٩٥٤م ، دار إحياء التراث العربي ، بيروت .
٦٨. المناوي، محمد بن عبد الرؤوف (ت ١٠٣١هـ) ، فيض القدير شرح الجامع الصغير، ط١ ، ١٣٥٦هـ ، المكتبة التجارية الكبرى ، مصر .
٦٩. النحاس، أبو جعفر أحمد بن محمد (ت ٣٣٨هـ) ، إعراب القرآن ، تحقيق زهير غازي زاهد ، ط٣ ، ١٩٨٨م ، عالم الكتب ، بيروت.
٧٠. النسفي، أبو البركات عبد الله بن أحمد (ت ٧١٠هـ) ، تفسير النسفي ، (د.ط،ت.م).

٧١. النمّاس، مصطفى، بحث في صيغة (أفعل) بين النحويين واللغويين واستعمالاتها العربية، مجلة الجامعة الإسلامية، ج٢٤، ص٤١٩-٤٥٠، ع٥٣، (١٩٩٨م).
٧٢. النيسابوري، نظام الدين الحسن بن محمد بن حسين (ت ٧٢٨ هـ)، تفسير غرائب القرآن ورغائب الفرقان، تحقيق الشيخ زكريا عميران، ط١، ١٩٩٦م، دار الكتب العلمية، بيروت.
٧٣. الهندي، علاء الدين علي المتقي بن حسام الدين (ت ٩٧٥ هـ)، كنز العمال في سنن الأقوال والأفعال، تحقيق بكرى حياني، ط٥، ١٩٨١م، صفوة السقا، مؤسسة الرسالة، (د.م).
٧٤. الواحدي، أبو الحسن علي بن أحمد (ت ٤٦٨ هـ)، الوجيز في تفسير الكتاب العزيز، تحقيق صفوان عدنان داوودي، ط١، ١٤١٥ هـ، دار القلم، بيروت.
٧٥. ياقوت، محمود، فقه اللغة وعلم اللغة، (د.ط)، ١٩٩٥م، دار المعرفة الجامعية، الإسكندرية.

Abstract**The Semantic Similarity of Two Verb Forms: 'af'ala and fa''ala in
The Holy Qur'an****By****Ala'adīn Mohammad Aed Al- massa'ed****Supervisor****Prof.Dr. Abdelkarīm Mujahid Mardawy**

This study is about the semantic similarity of two verbs which have ('af'ala and fa''ala) forms in the Holy Qur'an .The tow forms have the same meaning. They are (twenty five) verbs. This study try to explain the semantic similarity of each form, depends on verses from the holy Qur'an.

It consists of an introduction, three chapters, and an end .the introduction view the semantic similarity ('af'ala and fa''ala) in Arabic language briefly. However, Arabic language books study it in details.

The three chapters: the first one is about the verbs which have the semantic similarity of ability. The second one includes the semantic similarity of bringing. The last one focuses on caring semantic similarity.The method which is used to classify verbs is the common semantic similarity of verbs.This study speaks about the semantic similarity of each verb when it comes on 'af'ala form and when it comes on fa'ala form depends on linguistic and illustration books.

The end includes the main results of the research. It explains that there are many semantic similarities of two forms. Some of them connect with the linguistic meaning, the other connect with the context, and some of them deal with the way of delivery.